جلال العشرى

أصيلاً.. ومعاصرًا

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٩

obeikandl.com

obeikandl.com

إهـــداء

الى صغيرتى منى

حبة القلب من قلبى

والأمل كل الأمل

لك يا حبى

ج. ع

obeikandl.com

obeikandl.com

تقديم

تميز جلال العشرى بدأبه واصراره • وأفضل ما فيه أنه عمل فى الحقل الثقافى بعيدا عن الاثرة متجها للعامة •

عمل بصبر ومثـابرة • مثبتـا فى كل مرة يصدر فيها مؤلفا انه يكتب حبا فى المعرفة ورغبة فى اشاعة الثقافة بين الناس •

كانت الثقافة بالنسبة له خبزا وعطرا • وكان يحب أن يمنح الخبر والعطر للجميع •

ان أقل ما يمكن أن نفى به بعضـا من ديونه على الحركة الأدبية أن يصدر له مثل هذا الكتاب التذكارى الذى أتوجه بالتحية الخالصـة لكل من شارك فيه وعمل لاصداره •

آملين فى خطوات أخرى تفى حقه •

فقد كان جلال العشرى نقيا •• وذهب نقيا•

وزير الثقافة

« فاروق حسنى »

obeikandl.com

obeikandl.com

الموضوعية

كان جلال العشرى صديقا من أصدقاء العمر وهو بالنسبة لى أخ وزميل عاصرته وعاصرنى منذ كنا طلبة ندرس الأدب بالجامعة وعرفت فيه اخلاصه الشديد للعلم ولذاته الموضوعية الثاقبة واهتمامه العميق بالفلسفة أولا فقد كان تلميذا أثيرا لدى أستاذنا د • زكى نجيب محمود وسكرتيرا لتحرير مجلة « الفكر المعاصر » والتى ساهمت فى تشكيل فكر جيلنا بل وجيل كامل وكما كانت اهتماماته بالنقد المسرحى كانت أيضا بصماته فى تحرير مجلة « المسرح » وتبلور من خلال ذلك وجود نقد موضوعى يعتمد على النظرة العلمية فى تحليل الأعمال المسرحية ويأخذ عمله مأخذ الجد الشديد معتبرا أن وظيفة الناقد لا تقل فى أهميتها عن وظيفة المبدع فهو الذى ينير الطريق أمام المبدعين وهو الذى يؤرخ للحركة المسرحية وهو واحد من القلائل الذين قيموا الحركة المسرحية المصرية منذ الستينيات وحتى الآن سواء من خلال النقد التطبيقى والمتابعة العريقة لكل ما يخرج من نصوص جادة

obeikandl.com

أو من خلال التنظير واستخراج النتائج التى تشكل ملامح الحركة النقدية المصرية وهو واحد من أرزن نقادنا ويدل على ذلك مجموعة الكتب الضخمة ـ أكثر من عشرين كتابا ـ التى أخرجها والتى تجعل منه نسيجا خاصا بين النقاد المسرحيين ، وهو واحد من الذين ظلوا على اخلاص شديد للفلسفة عموما وللنقد المسرحى خصوصا فى زمن أصبح فيه من النادر أن نجد الناقد المسرحى المتخصص فيما عدا الأستاذ فؤاد دوارة وغيره قليلون ٠

● ان محنتى فى جلال العشرى جسيمة ولكن فجيعة النقد المسرحى فيه أكثر جسامة ٠٠ !!

د٠ سمير سرحان

رئيس مجلس ادارة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

obeikandl.com

جلال العشري

بعد الرحيل

obeikandl.com

obeikandl.com

دمعة حزينة

د٠ زكى نجيب محمود

كنت أتوقع للأستاذ الناقد الأديب جلال العشرى ان يكتب رثائى ، واذا بالمنية تسرع اليه فأرثيه ، والمنايا ــ كما قال عنها زهير ــ تخبط خبط عشــواء ، من تصب تمته ، ومن تخطىء يعمر فيهرم ، لقد كان لى ابنا عزيزا وزميلا وصديقا ، اما البنوة فقد بدأت منذ كان طالبا للفلسفة فى كلية الآداب ، فكان يطلعنى على بواكير فكره آنا بعد آن ، فأجد ان الذى بين يدى انما هو عقل نضج فى سن مبكرة ، ومع العقل قلم قادر بحسن التعبير ، فتنبأت له بما يشبه اليقين انه سيضطلع بدور ملحوظ فى حياتنا بعد التخرج ، ولكنه فاجأنى قبيــل تخرجه بأول كتاب يصدره ، جعل له عنوانا غير مألوف ، صاغه من مصطلح يعرفه الدارسون لعلم المنطــق وهو « الــكل ولا واحد » ، واما ما طواه تحت هذا العنوان من مادة فهو شىء يتصل بجوانب من الفكر العربى عند السلف ، فرأيت فى هذا كله مؤشرا قويا الى ما قد اختاره لنفسه مجالا لنشاطه العقلى ، اذ اختار ان يكون ناقدا للفــكر والأدب ، بما هــو

موهوب فيه من قوة التدليل والتعليل من جهة ، ورهافة الحس الأدبى من جهة أخرى ، وذلك هو ما حققته له الأيام ٠

وأكمل دراسته الجامعية وخرج الى ميدان الكفاح وكان ميدانه بصفة خاصة هو « النقد » فأرهف له مواهبه ، وجعل نفسه على صلة مباشرة بتيارات الفكر والأدب والنقـــد فى أرجاء العالم المتقدم ، لا ليأخذ عنها دون تمحيص بتعمقها ويميز طيبها من خبيثهـا ، بـل يتدبر المنقول ليتمثل منه ما استطاع وأراد ان يتمثله فيضيفه قوة الى قوة فطرته ومن ثم التقت عنده الروافد من ماض ومن حـاضر ، ليصوغهـا جميعا فى رؤية نقدية نافذة مرهفة ٠

وحدث سنة ١٩٦٥ ان عهدت الى وزارة الثقافة باصدار مجلة « الفكر المعاصر » ، فكان أول من اتجهت اليه ليشاركنى فى أداء المهمة الكبرى على وجه مقبول هـو المرحوم الأستاذ جلال العشرى ، فلم أكن استطيع أن أجد ممن حولى أقدر منه على اخراج المجلة كما اخرجناها أداة لنشر الفكر المعاصر بين المثقفين والله يعلم كم بذل من جهـــد وكم ضحى لوجـه الله والثقافة ٠

ولم تنقطع بيننا الصلات فقد كان يتفضل بزيارتى آنا بعد آن فأنعم بالاستماع الى حديثه ، وكنت أتابع ما يكتبه ، وتملؤنى الفرحة كلما وجدت له شيئا منشورا ، أو استمعت الى حديث له مذاع ، وقد كان له فى هذا المجال فضل مذكور ومشكور خصوصا فى ندوات النقد الأدبى فى البرنامج الثانى أو فى البرنامج العام ، ومؤلفاته النقدية الرفيعة تشهد على امتيازه ٠

لكن الموت عاجله فانطفـأت فى حياتنا الثقافية شـعلة هادية ، وبقيت لنا مؤلفاته تنوب عنه وجودا حيا لا يموت وسراجا منيرا لا ينطفىء ٠

جلال العشرى ٠٠ الطيف العابر

د٠ مصطفي محمود

كانت بداية معرفتي بجلال صباح ذات يوم بروزاليوسف منذ أكثر من ثلاثين عاما وكان حينذاك يحضر لرسالة فى الفلسفة الاسلامية وجلس يناقشنى فى مبدأ الشك عتد هيزنبرج وفوجئت بعقل مرهف مطلع ومتابع لكل جديد فى ميدان الفكر ٠٠ والفكر العلمى بوجه خاص ٠٠ لا تفوته ملاحظة ٠٠ كما فوجئت بمحصول لغوى غير عادى يسعف صاحبه بالتعبير المبتكر وينجده فى أى مأزق وما أكثر مآزق الفلسفة ٠٠ وأغلبها مآزق تعبير ٠٠ لأن الفلسفة تجريد ٠٠ والتجريد يخلق دائما أزمة فى البحث عن لفظ مناسب لأشياء غامضة لا توجد لها ألفاظ ٠

وكانت بداية صداقة خصبة ومثمرة وبداية تقدير محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس ٠٠ ومذبحة أدبية أشبه بمذبحة المماليك كانت نوعا من المحاكمة للأدب المصرى قديمه وحديثه رفض فيها الاثنان وجرما كل أدب لا يخدم الصراع الطبقى ولا يدفع بالتغيير الاجتماعى الى الشيوعية ٠ واعجاب متبادل جمع بيننا على مسافة عمر ٠

وكان يواكب هذه المرحلة ثورة نقدية طلع بها علينا ثم أعقب هذه الثورة تيار من الارهاب الأدبى لكل قلم يخرج عن النهج المطلوب وزفة أدبية من التمجيد والتعظيم لكل أدب يسارى ولكل قلم يركب الموجة ولو كان ضعيفا أو تافها ·· وصادف فى تلك الفترة أن كتبت قصة قصيرة عن زبال ففوجئت بها تترجم الى الانجليزية والفرنسية وتنشر فى مجلة الغد الى جانب أسماء كبيرة ·· واستوقفنى هذا الاستقبال الحماسى والغريب لقصة كانت فى نظرى شيئا عاديا ··

ثم ظهر كتابى الله والانسان (الذى صودر بحكم محكمة أمن الدولة فى رمضان عام ١٩٥٦) ففوجئت بمقال بقلم محمود أمين العالم فى مجلة الرسالة على ثلاث صفحات يمجد ويبارك الكتاب ويبشر بظهور موهبه رائدة فى الفكر والأدب وقلم سوف يذكره القراء طويلا اسمه مصطفى محمود ·

وكان للشاعر والصحفى الفنان كامل الشناوى فى هذه الأيام رأى آخر فى كتابى فقد قال حينئذ لقد قرأت الكتاب فوجدت مصطفى محمود يلحد على سجاده ·· وما أظنه ذلك الكافر الذى تصوره الرفاق ·

وكانت لمحه ملهمه من الصديق الشاعر فقد كان الكتاب بداية ايمان ولم يكن بداية الحاد وكان ايذانا بتطور فكرى سوف يأخذ صاحبه الى اتجاه آخر مضاد ·

ومع رحلتى الى الشاطىء المضاد من الشك الى الايمان كانت رحلة النقاد من التمجيد الى الهجوم وكان تحولهم الدرامى من الاشادة والتهليل الى الاغفال والاهمال ·· كان ذلك حال أكثرهم فيما عدا قليل ومنهم جلال العشرى الذى

رأى فى هذا التطور علامة اخلاص ولم ير فيه رده اجتماعية أو نكسة فكرية كما رأى بقية الرفاق ·· وتوج هذا الرأى بدراسة جادة ومستوعبة فى كتابه الذى أسماه ·· مصطفى محمود شاهد على عصره ··

وقدرت فى جلال هذا الموقف المتفرد وهـــذه الأصالة الذاتية التى استطاع ان يقاوم بها تيارا عارما وموضة أدبية وارهابا فكريا كان له ضغطه فى ذلك الوقت ·· وقد برهن جلال دائما على تلك الأصالة وكان دائما قادرا على أن يعصم نفسه من النفاق الأدبى والمجاملة والسباحه فى تيار المنفعه والشلل التى كانت تساند بعضها بعضا وتجرى وراء المصالح والمغانم ·· وكان قادرا ان يحتفظ برأسه عاليا فوق الأمواج·

ثم بدأ جلال يصدر مؤلفاته وكتبه ودراساته متوالية ·· واستطاع أن ينفرد بأسلوب وصياغة وبنيان لغـــوى متميز وكان من القلائل من النقاد الذين امتلكوا حليـــة البساطـــة والمدخل الآسر المتع الى قلب القارىء ··

وفرقت بيننا دوامة العمل ·· هو غرق فى المسرح ·· وأنا فى المركز الاسلامى وفى الـكتب الصـــوفية وفى دنيا ابن عربى والنفرى والغزالى والحلاج ·· ولكن ظللنـــا عـــلى اتصال على البعد ·· الى ان علمت بمرضه ··

وحينما رأيته أحسست وكأنما كبر مائة عام
وكان التدهور سريعا ··

ولم يستطع الطب ولا العلم ان يفعل شيئا ··

وحينما وقفت الى جوار فراشه وهو فى غيبوبة كاملـــة رأيت الموت يطل من عينين ذابلتين واستشعرت ذلـــك السر الرهيب الذى لا يغلب والذى يسكن فينا ·· ذلك الشىء الذى

اسمه العدم ·· والذى ينتظر دوره وميقاته ليعلن عن وجوده فى صلف وكبرياء ·· وليجذبنا الى عالم الظلمة والفناء ·

ونظرت فى عيون من حولى من زواره وقد تحجرت فيها الدموع ·

وعدت أنظر اليه وكأنما أسأله :

يا صاحبى ما آخر الترحـــال
وأين ما مضى من سالف الليـال
أين الصبا وأين رنه الضحـك
ذابت ··· ؟!
كأنها رسم عـــلى المـــاء
أو نقش عـــلى الرمـــال
كأنهـــا ـ لـــم تكـــن
كأنها خيال
أيقتل الناس بعضهم بعضـا
على خيـــــــــال
عـــلى متـــاع كلـه زوال
فى شاشة الوهم ومرآة المحـال
الهى ياخالق الوجد ··من نكون
من نحن ·· من همو ··ومن أنا
وما الذى يجـــرى أمامنـا
وما الزمان والوجود والفنا
وما الخلق والاكوان والدنا

ومن هناك .. من هنـــا
أصابنى البهت والجنـــون
ما عـــــدت أدرى
وما عـاد يعبر المقـــال

لهفى عليك يا صديق العمر .. ماذا أقول وماذا أكتب ..

ان الشعر لا يكفى والكلام لا يفيد والصمت لا يجـدى والحزن فتاك والخسارة لا تعوض ولا حول ولا قوة الا بالله .

obeikandl.com

الناقد والانسان

ثروت أباظة

لقد بلغ بى الحزن مداه لوفاة رجل اعتبره أخـا عزيزا لى تربطنى به أقوى العـلاقات الشخصية الى جانب اعجـابى الشديد به ككاتب وناقد واعجـابى به كانسان من أرق من عرفت ومن أكثر الناس شرفا وصدقا ونزاهة مع النفس ٠

obeikandl.com

جلال العشرى وأحزان هذا الجيل

رجاء النقاش

فقد الحياة الثقافية ناقدا مثقفا و كاتبا واعيا وانسانا شديد الاخلاص للفكر والأدب والفن هو جلال العشرى • وقد مات جلال فى الخمسين من عمره بمرض الكبد اللعين والذى قضى على الكثيرين من أهلنا واخوتنا وأصدقائنا ، وخاصة هؤلاء الذين نشئوا فى القرية المصرية ، وعاشوا طفولتهم يستحمون فى مياه النيل ويشربون بأكفهم من قطراته المليئة بالطين والبلهارسيا • وتكون النتيجة هى أن تكمن البلهارسيا فى أكبادهم سنوات طويلة ، ثم تقضى على هذه الأكباد بالتليف ، وعندما « يتليف » الكبد يعجز الطب ، وينتهى الأمر •• فلا علاج لتليف الكبد فى الطب الحديث أو القديم ، ولا بديل للكبد فى جسم الانسان•

والحقيقة أن « جلال العشرى » يقدم فى حياته التى انكسرت فى منتصف الطريق وفى مرحلة النضج نموذجا للكفاح الثقافى المخلص الذى يستحق منا أن نقف أمامه ونلقى عليه الكثير من الضوء •

جاء الى القاهرة من قريته بعد أن أتم تعليمه الثانوى ودخل كلية الآداب قسم الفلسفة فى جامعة القاهرة ، وتخرج فيها أواخر الخمسينيات ٠

انها قصة الكثيرين من المشتغلين بالأدب والفن والثقافة من جيل جلال العشرى ، وكان هذا الجيل منذ البداية يعرف ان « الجامعة » وحدها لا تكفى فى اطفاء الظمأ الروحى الذى تمتلىء به النفوس ، ولذلك فقد كان أبناؤه يبحثون عن جامعة أخرى خارج الجامعة ، وهذه الجامعة الأخرى كانت تتمثل فى الأساتذة والأدباء الكبار الذين كانوا يملئون حياة القاهرة بنور العقل والفكر والفن فى الخمسينيات ولم تكن الحياة فى تلك الفترة قد ازدحمت كما هى الآن ، ولم تكن المطالب المادية قد أصبحت عسيرة وصعبه كما هو الأمر فى هذه الأيام ، وكان يكفى الواحد منا أن يحصل على عشرة قروش في اليوم حتى يستطيع أن يقوم بترتيب أموره في الطعام والمواصلات،أما الثقافة فقد كنا نعتمد فيها على مكتبة الجامعة ودار الكتب والمكتبات العامة ، أو نقوم بالاستعارة من الأساتذة والأصدقاء القادرين على شراء الكتب ٠

وفى تلك الفترة كانت هناك ظاهرة اختفت الآن من الحياة الثقافية وهى ظاهرة « الأساتذة » الذين كنا نسعى اليهم ونتلقى منهم العون والتوجيه فى مشاكل الفكر والأدب، بل كنا نطلب منهم العون والتوجيه فى مشاكلنا الشخصية أيضا وكان هؤلاء الأساتذة يرحبون بنا ويفتحون صدورهم لنا ، وكان الواحد منهم يشعر بالضيق الشديد اذا لم يجد أبنا له من التلاميذ والمريدين الذين يلتفون حوله ويترددون عليه ، وكنت أنتمى الى مجموعة تتردد على « قهوة عبد الله » بالجيزة ، وهى القهوة التى كتب عنها محمود السعدنى كتابه البديع « مسافر على الرصيف » ، وكان من بين هذه المجموعة

أسماء لمعت بعد ذلك وأصبح لها تأثيرها الواسع فى الحياة الثقافية ومنهم فاروق شوشة وسمير سرحان وأبو المعاطى أبو النجا وسليمان فياض وغيرهم كثيرون ممن يساهمون الآن مساهمة قوية فى الانتاج الفكرى والعمل الثقافى . وكانت هذه المجموعة تلتف حول الناقد الكبير الراحل أنور المعداوى ، والناقد الكبير الدكتور عبد القادر القط أمد الله له فى العمر والصحة والعافية ، ومن هذين القطبين الكبيرين تعلمنا الكثير ، ووجدنا ألوانا من الرعاية والاهتمام والحنان، وعرف معظمنا طريقه فى الثقافة ، بل كان بعضنا ـ وأنا منهم ـ يعتمد على هذين الأستاذين اذا ما تعرضنا لأزمة مادية تهددنا بالتوقف عن مواصلة تعليمنا ، فكنا نجد المعونة الصادقة المخلصة التى لا يبذلها الا الآباء للأبناء .

وكان « العقاد » فى هذا الوقت يقيم ندوته الأسبوعية كل يوم جمعة فى منزله ، فاتجه جلال العشرى الى العقاد واقترب منه وأصبح من أكثر تلاميذه متابعة له والتزاما بندوته الأسبوعية ، وكان العقاد يحب جلال العشرى ويعتبره من أنجب تلاميذه وأكثرهم اخلاصا وجدية .

وقد تأثر جلال العشرى بالعقاد تأثرا واضحا ، فأخذ عنه « النزعة الموسوعية » فى الثقافة ، واهتم بالقراءة الواسعة فى الأدب والفكر والفلسفة والعلوم المختلفة ، والحقيقة أن العقاد كان جامعة مفتوحة لكل تلاميذه الذين عرفوه معرفة مباشرة ، أو الذين عرفوه عن طريق كتبه ودراساته ومقالاته الكثيرة المتنوعة ، فقد كان يدفع هؤلاء التلاميذ دائما نحو فهم جديد للأدب ، وكان يرفض النظر للأدب على أنه ألفاظ جميلة ، وخيالات مجردة بعيدة عن واقع الحياة ، وكان الأدب عنده فكرا عميقا وفلسفة ومعرفة ورؤية واسعة لتاريخ الانسان ومشاكله وصراعاته المختلفة مع نفسه

ومع واقعه ، والحقيقة أن العقاد هو أكثر الأساتذة الكبار اثارة « لشهوة » المعرفة فى نفوس الذين يقتربون منه بالقراءة أو بالاتصال الشخصى المباشر ٠

وقد كنت واحدا من الذين تعلموا من العقاد ـ عن طريق القراءة ـ أكثر بكثير مما تعلمته فى الجامعة ، ذلك لأنى لم أر العقاد سوى مرة واحدة فى زيارة لبيته لم تزد على نصف ساعة سنة ١٩٥٨ ٠

أما جلال العشرى فقد قرأه واستوعبه وعرفه معرفة وثيقة وواظب على الاتصال به ما يقرب من عشر سنوات ، امتدت حتى وفاة العقاد فى مارس سنة ١٩٦٤ ٠

وقد ظل جلال العشرى طيلة حياته يعيش وفى داخله « عقاد » يحركه ويجسد أمامه مثلا ثقافيا أعلى يفتح له نوافذ الحياة والفكر ، حتى لقد كان « جلال » كثيرا ما يقلد العقاد فى طريقة حديثه ومنهجه فى التفكير والتعبير ، وكنا نلاحظ عليه ذلك فيعترف به راضيا ومعتزا ، ويقول : هذا مثلى الأعلى ، ولا يمكن لأى مفكر أو كاتب أو مثقف أن يعيش بلا مثل أعلى يحتذيه ، ويجعل منه مصباحا يهديه ٠

وهذا كلام صحيح وصادق ، فالحياة الخالية من المثل العليا جحيم ، وهى حياة مليئة بالاضطراب والظلام ، لأن الانسان عموما ـ والمفكر على وجه الخصوص ـ يحتاج الى دليل ، وخاصة فى مراحل النشأة والتكوين ، ولعل أكبر ما تعانيه الأجيال الجديدة الآن هى خلو حياتها من هذه المثل العليا الواضحة القوية التى تهدى وتنير ٠

لقد أخذ جلال العشرى عن أستاذه العقاد شمول فهمه للأدب كفرع من فروع المعرفة الانسانية ، وأخذ عنه الجدية فى العمل الثقافى ، فكان جلال على الدوام واحدا من أبناء

جيلنا الذين لا يكفون عن القراءة والترجمة ومتابعة الحياة الثقافية عربيا وعالميا بل لقد أوشك أن يقلد العقاد فى حياته الشخصية ، فينصرف تماما الى العمل الثقافى وحده دون أن يهتم بانشاء أسرة يجد فيها الدفء والرعاية ، وكان كلما اقترب من الزواج وتكوين أسرة ينتهى به الأمر الى الهروب السريع ، وكأنه يريد أن يؤجل هذا المشروع أو يلغيه نهائيا من حياته ، حتى استطاع فى آخر الأمر ان يتخذ القرار ويتزوج فى وقت متأخر جدا وقد كان راضيا بحياته الجديدة وخاصة عندما وجد زوجة تقدر مهنته وتساعده مساعدة صادقة على التفرغ لعمله الفكرى دون أن تفرض عليه مايكرهه من حياة اجتماعية صاخبة ، وعندما مات جلال فى الأسبوع الماضى ترك وراءه زوجته الطبيبة وطفلين صغيرين مازالا فى بداية الطريق ، لأن جلال تأخر فى الزواج ، وعاجله الموت قبل الأوان .

كان الأستاذ الثانى فى حياة جلال العشرى هو زكى نجيب محمود ، عرفه وهو طالب فى قسم الفلسفة ، وزكى نجيب أستاذ لامع فى هذا القسم ، ثم ازدادت صلته به من خلال حبهما المشترك للعقاد ، فقد كان زكى نجيب من أوائل تلاميذ العقاد فى الجيل السابق ومن أكثر المرتبطين به والعارفين بأفكاره وشخصيته ، وزكى نجيب أيضا يشبه العقاد فى اتساع ثقافته واخلاصه العميق للعمل الفكرى وادراكه الدقيق لحقيقة الأدب ، باعتباره فرعا من فروع المعرفة الانسانية الشاملة وليس جمالا شكليا ولا بلاغة فى رصف الألفاظ أو تركيب الصور أو ابهار الناس بالألوان الفاقعة والايقاعات العالية .. فالأدب ليس فنا يخاطب الأذن ، وانما هو فى جوهره وفى معناه الصحيح فن يخاطب العقل بالفكر ، ويخاطب القلب بالمشاعر القوية الصادقة .

وقد ظل جلال العشرى وثيق الصلة طيلة حياته بالدكتور زكى نجيب ، ومثلما تعلم جلال من العقاد تعلم أيضا من زكى نجيب أستاذه الثانى ، فكان مثله على خلق كريم ، واستقامة عالية فى السلوك ، وكان على الدوام يحمل لزملائه فى مهنة القلم مشاعر طيبة خالية من روح المنافسة العنيفة القاسية التى انتشرت فى الأوساط الثقافية منذ وقت طويل ٠٠ لا يذكر لجلال العشرى أنه كان جارحا فى قول أو كلمة مكتوبة ، أو أنه سعى يوما الى التقليل من جهود زملائه المشتغلين بالأدب والثقافة والنقد ، بل لقد كتب الكثير عن زملائه بطريقة دقيقة متأنية وافية ، مما جعل له فى قلوب الجميع مكانة طيبة ، فقد كان حريصا ـ بقدر ما يستطيع ـ على أن يكتب عن المعاصرين له ، لا عن الراحلين ، ولا عن البعيدين عنه ، مما يدل على سماحة نفسه ، واستعداده للعطاء الحقيقى الذى يمكن أن يصبح قوة للآخرين ٠٠ كان فى جوهره « محبا » فقد كان يبحث دائما عن نقط الالتقاء والاتفاق ، ويجتهد فى الكشف عن الجوانب الايجابية فى الأعمال والشخصيات الأدبية التى يتناولها بالنقد والتفسير ، ويعمل على تقديمها للناس فى اطار حى من الفهم والتقدير ، وقد أوقعته عاطفته الطيبة نحو الناس فى « مجاملات أدبية » عديدة كان البعض يتصورها ـ خطأ ـ على انها نفاق ووسيلة لتحقيق مكاسب شخصية ، والحقيقة أن هذه المواقف كلها كانت صادرة عن « نزعة الحب » التى يحملها جلال نحو الحياة والناس ، فجلال لم يأخذ حقه أبدا فى حياته الأدبية ، رغم ما أعطاه للكثيرين من اهتمام نقدى وما بذله فى هذا المجال من جهود كبيرة ، وقد كان بين أصدقائه الذين اهتم بهم وبانتاجهم الأدبى المختلف شخصيات لها نفوذ واسع فى الحياة الثقافية والحياة العامة ٠٠ ومع ذلك لا أعرف أن

أحدا قد ساعد جلال العشرى فى حياتـه الأدبيـة أو حياته الشخصية مساعدة جدية ، وقد كان جلال في كثير من الأوقات يجد صعوبة فى الوصول الى منابر مناسبة للتعبير عن آرائه، ولولا اهتمام صديقنا الأستاذ محمد جلال رئيس تحريـر مجلة الاذاعة والتليفزيون به ووفاؤه له لمات جلال العشرى دون أن يكون له منبـر مناسب يكتب فيه ويقـدم آراءه واجتهاداته المختلفة للحياة الثقافية ٠

وأريد هنا أن استثنى الدكتـور مصطفى محمـود من الكبار الذين اتصل بهم جـلال العشرى ، فقد كتب جـلال كتابا جميلا عن مصطفى محمود ، وظل مصطفى محبا لجلال مقدرا لفضله حتى النهاية ، وكان مصطفى محمود هو الوحيد من كبار كتابنا الذى لم يتخل عن جلال ، وخاصة فى سنوات مرضه ، فكان يهتم به ويرعاه ويبـذل كـل ما يستطيع فى سبيل تذليل العقبات المختلفة التى تقابله وهـو يحـاول التغلب على مرضه ويلتمس العـلاج من داء « الكبد » الذى قضى عليه فى آخر الأمر ، لقد ظل الدكتور مصطفى محمود يتابع حالة صديقه جلال العشرى باهتمام صادق منذ البداية حتى النهاية ٠٠ وهذا مـوقف نبيـل وكريم من مصـطفى محمود ، فى عصر عز فيه الوفاء بين الناس حتى لو كانوا أقرب الأصدقاء ، بل حتى لو كانوا أهلا يرتبطـون بصلـة الدماء والأرحام ٠

لم يكن جلال العشرى فى حياته يهتم كثيرا بالسياسـة فقد كانت ترتبط بالعواطف والتقلبات التى لا يحتملها قلبه الوديع ٠ ولكن « جلال » لسوء الحظ عاش فى عصر تلعب فيه السياسة دورا أساسيا فى كل المجالات ومنها مجـال الثقافة التى ارتبطت بالسياسة فى عصرنا أشد الارتباط ، ولاشك فى أن عدم اهتمام جلال العشرى بالسياسة فكـرا

وعملا قد آثر تأثيرا ملموسا على رؤيته لبعض القضايا الثقافية المهمة ودفعه للاهتمام بالجانب الفنى والفكرى العام ، وأبعده عن الرؤية الاجتماعية للأدب والثقافة ، فى الوقت الذى كان فيه الاهتمام بالسياسة كفيلا بأن يجعل مواهبه أكثر انطلاقا ، وان يجعل لتأثيره وشعبيته مدى أوسع وأعمق ٠

على أن جلال العشرى فى آخر الأمر كان واحدا من أجمل وأذكى أبناء جيلنا ، الذى يمكن أن نسميه باسم جيل « الوسط » وكان يمثل فى شخصيته كل كفاح هذا الجيل وجهاده الشاق الطويل من أجل الثقافة ، وكان جلال فى نفس الوقت نموذجا حيا للناقد الأديب الذى أعطى ولم يأخذ ، وها هو يرحل عنا بعد أن قدم الينا ما يقرب من عشرين كتابا هى عصارة فكره وثقافته وموهبته وحياته ٠٠ فماذا أخذ ؟ ٠٠ لا شىء ٠٠ فلم يحصل يوما على جائزة من الجوائز التى تهبط على من يستحقون ومن لا يستحقون ، ولم يحصل على موقع بارز فى الحياة الثقافية كما كان يستحق دائما ، ولم يستطع وهو يترك وراءه زوجة وطفلين أن يحقق لأسرته مكسبا ماديا يحميها فى مستقبل الأيام ، ولقد قال لى أخوه وأخى الناقد الأستاذ فتحى العشرى : ان جلال لم يترك وراءه لأولاده سوى معاشه الضئيل من عمله الصحفى ، وفترة عمله الرسمى بالصحافة لا تزيد على عشر سنوات مما يجعل المعاش ضئيلا ومحدود القيمة ٠

وأنا واثق من صحة هذا الكلام ، فأنا أعرف جلال ، وأعرف مهنة النقد التى لا تعطى لأصحابها أى فرصة لكسب أى شىء يحميهم أو يحمى عائلاتهم ، ورغم الاهتمام النظرى بمهنة النقد فى حياتنا الثقافية ، فانها فى حقيقتها مهنة لا ثمن لها ، وهى مهنة مليئة بالمتاعب والمنغصات ، وكل

النقاد يعانون فى حياتهم معاناة قاسية ، ما لم يكن لديهم عمل آخر يعتمدون عليه فى مواجهة مشاكلهم المختلفة ٠

فهل نأمل بعد أن انكسر جلال العشرى وقلمه النبيل الجميل أن يهتم اتحاد الأدباء وأن تهتم وزارة الاعلام التى كان يعمل بها من أجل الحصول على معاش استثنائى لهذا الأديب الراحل الذى كنا ننتظر منه الكثير لولا ان عاجله القضاء الذى لا راد له ؟

نرجو ذلك ٠

ويكفى « جلال العشرى » انه عاش حياته بأمانة واخلاص وجدية فكرية كاملة ، حاملا فى قلبه أحزان جيله الذى يعانى من آلام وهموم واحباطات متواصلة ٠

آخر كتب جلال العشرى

عبد الفتاح البارودى

كتب الناقد الراحل جـــلال العشرى هى التى ستخلد ذكراه ·· لماذا ؟! لأنه من هذا النوع من النقاد والأدبـــاء الذين يستهويهم اصدار الكتب ·· ويكفى أن أذكر أنه مات فى عز الشباب ومع ذلك ترك ثروة كبرة من الكتب المؤلفـة والكتب المترجمة والدراسات ··

فى التأليف ترك ١٦ كتابا ، وفى الترجمة ترك خمسـة كتب ، وفى الدراسـات ترك خمسـة كتب ·· والغريب أن معظم هذه الكتب لهـــا صلـة وثيقـة بالمسرح ، بينما فى (الفلسفة) ـ وهى تخصصه المدرسى ـ لم يكتب غير كتاب واحد عنوانه (حقيقة الفلسفات الاسلامية) ، ولم يترجم غير كتاب واحد عنوانه (من الوجودية الى العبث) ، وفى (الدراسات) لم يكتب غير (الموسوعة الفلسفية المختصرة) التى اشترك فيها مع آخرين ·

ومع ذلك فان اهتماماته المسرحية برهنت على انه أخلص

للمسرح بعقلية الدارس الفلسفى ، وطبعـا هناك ارتباط عضوى بين المسرح والفلسفة ٠

وأنا الآن لست بصدد تقييمه ، وانما أذكر له انه تفانى فى خدمة المسرح ، وتفانى فى نقد المسرحيات ، وتفانى فى تدريس النقد المسرحى فى المعهد العـالى للفنون المسرحية ، وتفانى فى اعداد برنامجه التليفزيونى (تياترو) ، وفى كل هذه النواحى كان دؤوبا وشديد الاخلاص ٠

وبدهى انى لا أستطيع الآن تناول كل هذه الموضوعات، ولهذا سأحاول القاء الضوء على آخر ما أصدره من كتب ، وهو كتاب (المسرح وجه وقناع) ٠٠ وطبعا لا أزعم أننا كنا متفقين فى الرؤية المسرحية ، ولكن اختلافنا لم يؤثر فى صداقتنا ٠

فى أحدث كتبه هذا بدأ موضوعاته بمقـدمة نشرهـا بعنوان (مستقبل المسرح فى مصر) ، فكيف صور أو تصور هذا المستقبل ؟! الواقع انه سجل ملخصا للأحداث والمراحل المسرحية التى تشكل تاريخنا المسرحى ، وأراد بذلـك أن يلقى الضوء على ايجابياتنا وسلبياتنا بشكل موضـوعى ٠٠ فقط لاحظت انه لم يدقق فى تحقيق بعض الأحداث وبعض التواريخ ٠

فمثلا عندما تحدث عن (فرقة المسرح الحـديث) التى أنشأها (زكى طليمات) سنة ١٩٥٠ قال انها اعتمدت على (خريجى) معهد التمثيل ٠٠ والحقيقة انها اعتمدت عـلى (أسرة) هذا المعهد ٠٠ فمثلا كان من نجومها (سميحة أيوب وسناء جميل) مع انهما كانتا وقتئذ (طالبتين) ٠٠ أيضا قال ان هذه الفرقة ضمت الى صفوفها (صفـوة) الممثلين

والممثلات ممن يملأون سماء حياتنا المسرحية ·· هذا ربما يوهمنا بأن هذه الفرقة نجحت بسبب انضمام (صفوة الممثلين) اليها ، بينما الذى حدث ان زكى طليمات رفض أن يضم اليها أحدا من الممثلين المحترفين ، وصمم على ألا ينضم اليها أحد من خارج أسرة المعهد ·· وكل أعضائها كانوا اما طلبة واما متخرجين فقط وبدون أى استثناء ·

هذه الفرقة حققت نجاحا كبيرا ، فلماذا لم تستمر ؟! لم يحقق الناقد الراحل جلال العشرى هذه النقطة ، واكتفى بقوله انها (لم يقدر لها الاستمرار) بعد ما قدمت من (روائع) الفن المسرحى ·

كيف اختفت هذه الفرقة رغم انها قدمت روائع ؟! كان المفروض أن يدقق فى الاجابة على هذا السؤال ، أولا لأن هذه الفرقة لم تفشل ، ولم تتوقف ، وانما انضمت الى الفرقة القومية التى سميت الفرقة المصرية للتمثيل والموسيقى ·· وأسباب ذلك تستحق البحث ، لأن لها دلالات مهمة فنيا وتاريخيا ·

والكتاب بعد ذلك حافل بفصول كثيرة هى فى أصلها مقالات نقدية لمجموعة كبيرة من الأعمال المسرحية ·

عموما كلنا نشعر بأن موت جلال العشرى خسارة كبيرة لحياتنا المسرحية ·· فهل تفكر هيئة المسرح فى اعداد ندوات لمناقشة كل مؤلفات هذا الزميل العزيز ؟!

لا يستطيع الموت ..

محمد جلال

كيف ينعى الانسان قطعة من نفسه ؟

لم يكن جلال العشرى مجرد زميل فى أسرة صحافة .. بل كان بالنسبة لى شاهدا على مشوارى الروائى ..

عاش معى حياتى الروائية خلجة .. خلجة ..

لقد اصطحبته .. واصطحبنى فى كل خطوة خطوتها فى عالمى الروائى ..

أشعر الآن ان شيئا من نفسى قد ضاع ..

فهل أجده فى ذكرياتى الحلوة معه ..

ان الموت لا يستطيع أن يطفىء الشموع .. وجلال العشرى كان شمعة متوهجة بالكلمة التى شربت من نهر العقاد .. وتفتحت فى فلسفة زكى نجيب .. ورست على شاطىء جيلنا لتجعل شجرته تورق بالأصالة والمعاصرة .. والحب .

obeikandi.com

كان ابنا بارا

صبرى العسكرى

تصعب الكتابة عن جلال العشرى الانسان والفنان والناقد وهو الذى كتب عنا وعن كتاباتنا الكثير • فأنى لنا أن نعطيه أو تعطيه الدنيا ولو بأقل مما أعطانا •

لقد كان فى عجلة من أمره ، ومن الدنيا • أعطى ولم يشأ أن ينتظر لكى يأخذ مقابلا • شأنه شأن ابن الدنيا البار ، الذى يعرف للحياة معناها الحقيقى • كفاح لكى يتعلم • وكفاح لكى يتثقف • ثم التفرغ كلية لكى يثقف الآخرين بجهد لا يكل • حتى انه ترك لنا عشرين كتابا فى المسرح والثقافة والأدب والترجمة • غير مبال بانه اذا كان قد فرغ من كتابتها فى ذلك العدد القليل من السنين ، فانما كان من جهة أخرى قد جار بالضرورة على شبابه وصحته • وكأن القاعدة لديه فى تناول الدنيا من حوله كانت ان يحب ، وأن يخلص • وأن يبدع ، ولا شىء آخر •

وانه لمن اليسير لكل باحث أن يكتشف فى أعمال جلال العشرى انه انما كان يختار للنقد الفنى والأدبى العمل الذى يحبه • وكان يخلص فيه الرأى والنظر • ثم يقدمه للقارىء بلغة الشاعر • واحساس الفنان • ورؤية المبدع • ومن هنا ـ لا من مكان آخر على حد تعبيره الشائع ـ كان مميزا بين أبناء جيله • وكان لكتاباته مذاقها الخاص •• حتى فيما بين من اختلفوا معه أو اختلف هو معهم •

ليست كلمات رثاء ، هذه التى أسوقها على الورق ليلة رحيل جلال العشرى عنا وعن دنيانا • انما هى قطرة حب • آخذها من بحر عطائه الذى لن تنحسر أمواجه عنا وعن الأجيال القادمة • ما بقيت الكلمة الشريفة مقروءة فى دنيانا ••

ضريبة العمل بالنقد

فؤاد دوارة

فقدنا المفاجىء للناقد اللامع جلال العشرى يمثل بالنسبة لى خسارة كبيرة على المستوى الشخصى أولا ، لأنه كان زميلا وصديقا على أكبر قدر من الطيبة والمثالية · أما الخسارة على المستوى العام فهى أكثر بكثير لأننا فقدناه وهـــو فى مقتبل عمره وأوج نشاطه وانتاجه الخصب الغزير · والناقد بالذات لا ينضج الا مع تقدير العمر وتراكم الخبرات ويزيـد من حزنى عليه ما أعلمه من أنه باعتباره ناقدا فقد ظل يعرف بانتاج الآخرين ويسهم فى بناء شهرتهم ومجدهم فى حياتهم وبعد رحيلهم فاذا رحل هو فندر من يهتم بالتعريف بانتاجه واضافاته بل قد لا يجد من يرثيه ــ الرثاء الذى يتناسب مع قدره وجهوده الكثيرة فى خـدمة الأدب والثقافـة · وتلـك ضريبة الاشتغال بالنقد فى بيئة لم تقدره بعد حق قدره ·· رحم الله الناقد المعطاء جلال العشرى وعوضنا وعوض الحركة الأدبية فى فقده ··

أهم نقاد الستينيات

علـى سـالم

جلال العشرى من أهم نقاد جيل الستينيات ومارس النقد كتابة وتدريسا وكان متابعا لكل الأعمـال المسرحيـة التى تعرض ومتواجدا أيضا فى حقـل الدراسـات الفلسـفية . وبالتأكيد هو خسارة ضخمة أن نفتقده اليوم ونحن فى أشد حاجة لأمثاله من المخلصين .

opeikandi.com

نختلف ونتفق

صبرى موسى

جلال العشرى ناقد ممتاز وانسان ممتاز ورحل قبل أن يكمل رسالته فى تقييم ومتابعة الأدب والفن والمسرح بوعى وموضوعية بعيدا عن الأفتعال والنفاق والهوى • وأنا شخصيا كنت اختلف معه وكنت أتفق معه ولكن دائما كان يجمعنا طموح واحد وأمل واحد كبير هو أمل قومى ورؤية ثاقبة لتوحيد الكلمة ولذلك فرغم كل خلاف يحدث عند أى مفترق كان يزول سريعا لأنه ظل الى وقت رحيله أقرب الأصدقاء •

بين ربيع موسكو .. وخريف القاهرة ؟

فتحي سعيد

لا يبرح المـرء يستقرى مضاجعـه
حتى يبيت بأقصاهن مضطجعـا !

واختار جلال العشرى مضجعه الأخـير فى وطنـه الأثير اختار مصر بعد أن جمعنا لقاء طويل فى « موسكو » كان يحلم فيه بعلاج حاسم لعلة الكبد المقروحة وعذابات أعوام المرض التى طالت فى رحاب التقدم العلمى الكبير للسوفيت .

كان ذلك فى ربيع العام المنصرم .. وهو يطوى أطراف عباءته الخضراء ايذانا بالرحيل .

واستقبلتنا « موسكو » بالشمس التى جـاءت معنـا بعد احتجاب طويل.. وما لبثت أن ذابت أمام لهب الجليد وصقيع ما تحت الصفر .

واكتست أشجار الشوارع التى تنتشر على الجانبين بغلالة بيضاء نسجتها أنامل الرذاذ المتساقط من جبهة السحب الحبلى بثلج الشتاء الرهيب فبدت وهى تتراقص وتميس على عصف عزف الرياح كأنها راقصات باليه حماء تنافس حمامـات « البولشوى » ذات الهديل والايقاع وقد ارتدت ثيابا بيضا شفت عن جسدها النحيل في ليلة عرس عارية الرداء !

وأوينا الى فندق « روسى » العتيق فى الميدان الأحمر لنستقبل الصباح البارد وقد استلقى نهر موسكو الرقراق تحت الشرفة • وبدا كأنه حفيد جدنا العريق النيل وقد وهن فيه الجسد واشتعل الموج شيبا وناء بأطواق الحديد وغابات « الكبارى » الحجرية •• ! ولاحت قباب الكرملين الذهبية الزاهية وقد غسلتها دموع السماء وانطلقنا عبر ردهات الفندق ذى العشرة آلاف غرفة تطل بمداخل أربعة على الجهات الأربعة يضل فيها من لا يتقن فن عبور هذه الطوابق والقدرة على قطع هذه المسافات حتى يتاح له الخروج والدخول ببطاقة خاصة يتحقق منها ومنك مسئول الأمن عند كل باب •• وكأننا فى قلعة تفوق سجن الأباطرة القدامى !

وانطلقنا بعد أن وقفنا فى طابور الطابق المخصص للافطار حتى حان دورنا وحصلنا على افطارنا وتوجهنا لتوقيع أول اتفاقية ثقافية بين مصر والاتحاد السوفيتى بمقر اتحاد الكتاب الأنيق ومطعمه الفاخر الرشيق وتمت مراسم التوقيع فى حشد كبير ثم بدأنا نناقش برنامج الزيارة الذى عرضه « ايجور » مسئول العلاقات الخارجية وبدأ الخلاف •• فالبرنامج لم نخطر به مسبقا ولم يتم باتفاق وتضمن رحلات طويلة بالقطار تستغرق أربعة وعشرين ساعة •• ذهابا وعودة ••

ولا طاقة لجلال العشرى بتحملها •• فقد بدا عليه الأرهاق والأعياء لمجرد عذاب الرحلة اليومية من غرفنا وطوابق الافطار حتى الخروج الى الميدان الأحمر •

واقترح « سعد الدين وهبة » رئيس الوفد أن نعدل البرنامج مادام لم نتفق عليه فى القاهرة وأن يكون السفر بالطائرة توفيرا للوقت والمشقة ••

ورفضوا ·· متمسكين بأن البرنامج لن يعدل وتم حجز القطارات والفنادق وعلينا أن نستعد للسفر فى الثامنة مساء اليوم ·

واقترحت أن نذهب بالقطار ونعود بالطائرة ·· وقاموا باتصال وهمى ·· ادعوا بعده أن لا توجد أماكن بالطائرات لا فى الذهاب ولا فى الاياب وتدخل سفيرنا المصرى « صلاح البسيونى » ونصح الوفد السوفيتى بعدم التعنت ومراعاة آداب الضيافة وأنه يعلم جيدا « كدبلوماسى » بأن هناك أماكن فى الطائرات لأعضاء الحزب وضيوف موسكو وأصروا على موقفهم ·

وقال جلال : لو ركبت القطار سأقضى نحبى ·· فأنا مريض !

ورد « ايجود » فى تجاوز لحدود اللياقة :

لماذا تأتون بأدباء مرضى ولا تأتون بأدباء أصحاء ؟

وسادت لحظة استياء صامتة بددها شاعر موسكو الشهير « روبيرت وجدستفينسكى » سكرتير عام اتحاد الكتاب بقوله :

أنا شاعر حقا ·· ولكن داخل الاتحاد بيروقراطى جدا !

وعلى كل حال ·· نعدكم بمحاولة أخرى ··

ولم تتم أية محاولات فانطلقنا فى موسكو وضواحيها على سجيتنا نجوب المسارح والمتاحف والمعارض والحدائق والأسواق والريف ·· وبيوت الفنانين والمكتبات والحوانيت ·· فى صحبة صديقنا الاعلامى « د· سامى عمارة » وكانت متعة هذه الجولات لقاءنا بالمستشرقين الروس فى معهدهم ودار الصداقة المشتركة وما دار فيها من حوار ثقافى مشترك

حول المسرح والشعر والثقافة ٠٠ وحركة الترجمة التى قامت على اتصالات شخصية وتصنيفات معينة فانحصرت فى أسماء وأعمال دون أخرى ودون استقراء عادل لخريطة الابداع المصرى ٠٠

واستمرت الحوارات ساعات طويلة كان جلال العشرى رغم ضعفه الشديد نجم المائدة الذى استفزه هذا التقييم للأدب المصرى ٠٠ فانطلق يتحدث فى طلاقة وتدفق وعنفوان عن تاريخ المسرح وتطور الفن والأصالة والمعاصرة ٠٠ ووجوب الالمام بما قدمه الأدباء المصريون على اختلاف ألوانهم من ابداع حقيقى ٠

كان هناك ٠٠ عميد المستشرقين وشيخهم الجليل د٠ جريجورى شاربتوف الذى درس بمصر ود٠ فاليرا والميزا زاده ود٠ توهيل عثمانوف وبوريس رومانوف وماوتشوف ود أوسبيسكا وجالينا باكون لوا وجابنيتا وكانز خستال وهم أساتذة للأدب المصرى وعلماء لغويات ولهجات ٠

كانت غرفة جلال فى مواجهة غرفتى تماما ٠٠ يطل على مبنى الكرملين الذهبى والميدان الأحمر ٠٠ وأطل أنا على نهر موسكو الفياض ٠

وكان يقضى أغلب وقته فى الفراش نائما أو مسترخيا حتى يطرق بابى لنقضى أمسيات الليل الأخيرة فى مشاهدة احتفالات التلفزيون بأعياد « لينين » والثورة لنسهر طويلا ويومض قلبه بنبضات اشراقات النجوى وذكريات الصبا والجامعة ونضال الشباب ومعاناته وصراعات العمل فى النقد والصحافة وأمله الكبير فى انجاز ما لم يضفه بعد الى كتبه العديدة رصيدا جديدا ٠٠

وتكاشفنا كثيرا ·· وكأن غربة السفر وحدها ·· هى مفتاح القلوب المطوية التى صدأت فى غبار القاهرة الملوث ·

كان نفس الشيء ·· ونفس النجاوى فى غرفتنا بفندق « المنصور » فى مربد العام الماضى بالعراق ··

وكأنه كتب على أن أعاشر جلال فى عاميه الأخيرين مغتربا عليلا وحيدا فى غرف الفنادق ·· وطالما غضب اذا لم أشاركه ساعات الليل الأخيرة ! واكتشفت أعماقه أكثر ·· صدق وأصالة وصفاء نفس وروح ·· وطموح لا يتوقف ·· واحساس موضوعى بقيمته الفنية ورغبة فى الحياة لا يحجبها مرضه ·· وقدرة على النفاذ لأعماق الأشياء وعشق للمعرفة والجمال والثقافة ·· ورقة قلب ومشاعر تجعله أقرب الى الشعراء من النقاد وطالت أماسينا وفتح كل منا للآخر قلبه الموصد في زحام المدينةوكنت أتأمله وهو ينطلقمفعما بالحديث والحوار وطرح الأفكار وقد احتدب الأنف منه ·· وغارت العينان واصفرت وكمد اللون وعلته خضرة داكنة ظللت الجبهة واليدين ووهن الصدر فلا يقوى على تنفس الهواء وينبعث صوته خافتا شاحب النبرات والكلمات وكأنه منبعث من جوف قبو مهجور ·· ولكن لا يكف عن التعلق بأهداب الحياة والأمل فى الشفاء والبقاء ·

وأنظر اليه وأقول له :

ولى كبد مقـــروحة من يبيعنى

بها كبدا ليست بذات قـروح !

ويرد قائلا :

أبى الناس كل الناس لا يشترونها

ومن يشترى ذا علة بصحيح !

ونتبادل النظرات وننتزع البسمات لنطارد ذلك الشبح الخفى الذى يتدلى من سقف الغرفة منذرا بقدوم العاصفة .. تلك العاصفة الغافية وراء صفرة عينيه وتكاد تقتلع بقايا الضوء منها كما تقتلع جذور الأشجار وتلوى بأغصانها الخضر .. وأتركه وهو يطبق أجفانه على فجر جديد يحلم فيه بالشفاء والانتصار على الداء !

فى تمام التاسعة صباحا كان موعدنا مع أطباء مستشفى اتحاد الكتاب وانطلقنا فى صحبة مرافقتنا « أولجا » العاشقة للأدب العربى وقد تسلل برد الصباح الى عظامنا لنجد كل شىء معدا فى نظام ودقة ويستقبلنا مدير المستشفى .. ويعطى تعليماته للمختصين .

وبدأت عمليات الفحص الشامل .. من قسم الى قسم فى هدوء وصمت وانتهيب من كافة الفحوص وانتظرت جلال طويلا وخرج بعد حين من غرف التحاليل وقد غارت وجنتاه وغرقت ثيابه فى دمائه فقد كان أخذ عينة من دمه أو كبده أمرا شاقا مؤلما .. فقد وهنت عظامه لطول ماغرسوا فيها من ابر .. وجف دمه لكثرة ما صبوه فى القنانى والأنابيب ولم يعد فى جسده بقية !

وخرجنا فى انتظار التقارير .. وأعطونى التقرير الخاص بى وماطلوا فى تقرير جلال يوما بعد يوم .. الى أن رحلنا على وعد منهم بارساله عن طريق الحقيبة الدبلوماسية ولم يصل التقرير حتى الآن !

ومر الربيع وانطوت موجة الصقيع .. فى ربوع روسيا ليهل الخريف وتسطع شمس القاهرة ..

ويأتى صوت جلال شاحبا معروقا ليقول لى : أنه أنجز مقالين « لمجلة الشعر » وطالما وعدنى بالاسهام فيها ومقالا

آخر تم عن «ديوان شعر » سلمه « لصفحة الأدب فى الأخبار » وثالثا « لمجلة الاذاعة » وبعض حلقات برنامجه التلفزيـونى « تياترو » قبل دخوله للمستشفى لاجراء بعض الفحوص لمدة يومين فقط ·· ثم يستجمع بعدها طاقته لانجاز بعض الكتب التى تشغله ويود أن يفرغ لها ·

ومر اليومان ·· ولم يعد جلال الى بيته وانما عاد الى لحد بيت لا يعود منه أحد !

ورحل جلال العشرى فى الخريف وهو فى عمر الربيع بعد ·· اقتلعته العاصفة وهو فى موسم القطاف ·· بعد أن قال كلمته قبل الرحيل تاركا لنا لوعة الذكرى وحرقة الدمع وانفراط الصحبة والبكاء عليه وعلى أنفسنا :

ويجرى على من مات دمعى وما لـه

بكيت ·· ولكنى بكيت على نفسى !

الكاتب .. الناقد .. والانسان !

علوى طه الصافى

رحل الناقد المسرحى والأديب الصحفى جلال العشرى .. رحل بعد معاناة مع المرض الذى لم يرحمه .. وبرحيله ترجل فارس من فرسان الكلمة العربية .. وغاب عن مسرح الحياة والفن واحد من النجوم التى كانت تضيىء خشبة « المسرح » المصرى بأضوائه النقدية الكاشفة .

كان جلال العشرى أول الأدباء الذين ألتقى بهم فى كل زيارة لى الى القاهرة .. وكان لا يتركنى طيلة أيام وجودى فيها نتنقل بين معالم قاهرة المعز ومكتباتها .

كان عشقه لوطنه مصر يسكن قلبه .. واخلاصه للكلمة يحتل عقله ووجدانه .. وكانت الحركة المسرحية والنقدية تستأثر على اهتمامه لأنه كان يرى فى المسرح أنه « أبو الفنون » .. واهتمامه هذا قاده الى التغلغل فى أعماق هذا « الأب الروحى » .. والتعرف الى أعلامه فى بلاده .. وبلاد الغرب .. فاستطاع أن يكتسب ثقافة متزاوجة بين

« الأصالة والمعاصرة » ·· وأن يجعل منه « شاهد على عصره» رغم أن تخصصه كان يبحث عن « حقيقة الفلسفات الاسلامية » ·

« لم يسدل الستار فى وجه « اتجاهات المسرح المعاصر » وكان يدعو فى كتاباته الى « عصرنة » المسرح المصرى بصورة خاصة ، والمسرح العربى بصورة عامة ·· لأنه كان يدرك بحكم علاقته بالمسرح وأشكاله وثقافته أن المسرح أقدر من غيره من الفنون الأخرى فى صناعة المتغيرات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والحياتية على وجه العموم ·· فالحياة عنده مسرح كبير كما يقول شكسبير ·

ولكى يدعم دعوته الى « عصرنة المسرح » وتوجهاته لخدمة قضايا مجتمعه الكبير قام بترجمة عدد من المسرحيات والدراسات المسرحية أذكر منها :

- ــ « أنظر وراءك في سخط» مسرحية جون أوزبورن ·
- ــ « القرد الكثيف الشعر » ليوجين أونيل ·
- ــ « الجنينة » لادوارد البى ··
- ــ « فكرة المسرح ·· دراسة تطبيقية للمسرح » لفرانسيس فرجسون ·

وكان كتابه الذى ألفه بعنوان « صرخات فى وجه العصر » الذى اشتمل على عدد من دراسات أعلام المسرح يمثل صوته « الداخلى » لمواجهة تحديات العصر بكل ما يتناغم فيه من « ايجابيات » وما تتصادم على خشبته من « سلبيات » ·

تعود معرفتى وصداقتى بجلال منذ عام ١٩٧٢ ٠ أى ما يقارب الستة عشرة عاما ٠٠ ثم تنامت هذه الصداقة وقويت حين أصدرت مجلة « الفيصل » الثقافية الشهرية ٠٠ كنا نسهر مع المخرج الفنان الأستاذ « عدلى فهيم » الى وقت متأخر من الليل لأنه يومها لم يكن مرتبط بحياة زوجية تلزمه عن الصحافة والفن وأهله ٠٠ وكانت له وجهات نظر واقعية بحكم تنقله فى أجواء « مهنة المتاعب » حين كان مديرا لتحرير مجلة « الفكر المعاصر » المحتجبة والتى كان يرأس تحريرها الدكتور زكى نجيب محمود ٠٠ ثم غيرها من المجلات التى كانت « مجلة الاذاعة والتلفزيون » محطته الأخيرة ٠٠ الى جانب اشرافه على بعض مسلسلات الكتب ٠٠

وأذكر عنه عند لقائى به عام ١٩٧٢ م ٠ فى القاهرة أننى أجريت معه حوارا مطولا ضمن مجموعة من الحوارات واللقاءات التى أجريتها مع بعض أدباء ونقاد مصر مثل الدكتور غالى شكرى ٠٠ والكاتب المسرحى الفريد فرج ٠٠ والشاعر الراحل أمل دنقل ٠٠ والروائى الشاب جمال الغيطانى الذى بهر النقاد برواياته المتفردة ، واسقاطاته التاريخية لأحد العصور التى وجد بها ملامح عصره ، وأحداث عصره ٠٠ وقد نشرت هذه اللقاءات فى مجلة « اليمامة » الأسبوعية التى تصدر فى مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية حين كنت أشرف على صفحاتها الثقافية والفكرية ٠٠ وكان لهذه اللقاءات أصداؤها فى الوسط الأدبى السعودى من منطلق أن هذه الأسماء الجديدة لم تتوقف عند معطيات توفيق الحكيم ، وطه حسين ، ومحمد مندور ، ومحمد غنيمى هلال ٠٠ بل برزت لتضيف أشياء جديدة الى المكتبة العربية والى ما قدمه غيرهم ممن سبقوهم من الأسماء والأعلام الأدبية المشهورة التي ولدت من معطف مجلة

« الرسالة » للأديب الرائد أحمد حسن الزيات ، ومجلات « المقطم » و « المقتطف » و « الهلال » وغيرها من المجلات التى قامت بدور مؤثر فى الحياة الأدبية المصرية والعربية .. كما عرفت العالم العربى بعدد من الأصوات العربية مثل الشاعر الشابى من تونس ، وأدباء المهجر مثل الفيلسوف اللبنانى الراحل ميخائيل نعيمة ، ونسيب عريضة ، وجبران خليل جبران .. وغيرهم من رواد التيار المهجرى الذى استفاد من وجوده فى الغرب ، واحتكاكه بالظواهر الأدبية والفنية فى المهجر .

ومرت الأيام والسنون بصداقتى مع جلال العشرى بعيدا عن المصالح الدنيوية والمادية .. وكانت تدور بيننا مناقشات تحتد حينا ، وتخفت أحيانا أخرى .. يصعد بعضها جبالا ، وينساب بعضها الى الأودية والغيطان .. وقد شهد نهر النيل كثيرا من هذه المناقشات الأدبية والفنية والفكرية التى كانت تدور بيننا .. ونحن نسير على أقدامنا لتحط رحالها فى فندق شيراتون القاهرة .. أو فندق سميراميس (كما أذكر) قبل أن يهدم وتختفى صالاته وأروقته التى كانت تحفل بالعديد من وجوه الأدب والفن .. يلتقون هناك للاسترواح من ناحية ، ومواصلة ما انقطع من نقاشاتهم وحواراتهم من ناحية أخرى .. وكان جلال يحرص على أن ينتشلنى وحدتى ليأخذنى الى أحد المسارح المنتشرة فى القاهرة لمشاهدة مسرحية جديدة .. لم يكن جلال مجرد واحد من المشاهدين والمتفرجين والمصفقين .. بل كان يسلم نفسه بالكامل للمسرحية من بدايتها الى نهايتها ليطالع قراء مجلة « الاذاعة والتلفزيون » بنقده الذى لا يخلو من الحدة فى بعض الأحيان .. وهى حدة الناقد الفنان الغيور على المسرح في بلاده وما قد يعتريه من « هرطقات »

و « سفسطات » و « تسطيح » و « روبابكيا » تهدم ولا تبنى، تشوه سمعة المسرح وتهبط بدوره الى « التهميش» و «الضحك على الناس » دون هدف أو قضية ·· وهذا ما كان يجر عليه غضب بعض العاملين فى مجـــال المسرح الذين لا يهتمون الا بالقشور ، وتضييـــع وقت المشـاهد ، وتمييـــع قضاياه الحياتية والمصيرية ·

وكان جلال يضيق بروتين الوظيفة ، وساعات العمـــل « البيروقراطية » ·· ويحرص أن يكون بعيـــدا عن هـــذه القيود ·· كالعصافير البرية التى تقتل غناءها الأقفاص ·· حتى أنه حين عمل معنا فى الرياض لعدة شهور بعيدا عـــن القاهرة وحياتها الصاخبة ، ومسرحـــه الذى خلـــق له طلب العودة الى القاهرة دون أن يكمل سنوات عقـــده بمجـــلة « الفيصل » فاحترمت رغبته وضربت بمواد العقد عـــرض الحائط ·· فعاد الى حبيبته ومعشوقته الدائمة « القاهرة » دون أن تنقطع صلته بالمجلة حيث ظل مندوبا لها يوافيهـــا بالجديد من معطيات الأدباء والنقـــاد فى مصر الى ما قبـــل وفاته بأشهر ·

وكان لا يبخل من حين لآخر بآرائه فى المجلـــة سلبـــا وايجابا التى كانت تلقى منه كل عناية لثقتى فى صداقته ، وفى حبه للمجلة ·

وهذه صورة من صور جلال الانسانية التى عرف بها من خلال علاقاته وصداقاته الانسانية ووفائه الصـــادق لهذه العلاقات ·

وكان « جلال » يعتز بأستاذه العقـــاد الأديب المفـــكر والفيلسوف الرائد ·· ولا تفوته جلســـة من جلساتـــه ·· ويعترف أنه أحد تلامـــذة العقـــاد فى عصر « جاحـــد » و « مغرور » !!

لهذا كان واحدا ممن شاركوا فى اصدار كتاب بعنوان « العقاد ·· دراسة وتحية » بالاشتراك مع آخرين أمثال الدكتور زكى نجيب محمود ·· والدكتور عثمان أمين والعوضى الوكيل ·· وأنيس منصور ·

ويتجسد وفاء جلال العشرى لأصدقائه فى كتابه عن الدكتور مصطفى محمود الذى اختار له عنوان « مصطفى محمود شاهد على عصره » متأثرا بعنوان كتاب لمالك بن نبى ·

ولا أدعى أننى قرأت كل آثار الصديق جلال العشرى التى كان يصدر فى العام أثرا أو أثرين منها راصدا « جيل بعد جيل » مهتما بالظواهر الفنية المسرحية العالمية من خلال مترجماته لهذه الظواهر ، أو الكتابة عنها وعن أعلامها ·· وقد نشرت له مجلة « الفيصل » أغلب موضوعات كتابه « صرخات فى وجه العصر » ·

كما شارك فى نقل « الفلسفية المختصرة » عن الانجليزية بالاشتراك مع فؤاد كامل ·· وعبد الرشيد الصادق ·· هذه الموسوعة القيمة التى راجعها وأشرف عليها وأضاف شخصيات اسلامية الى الشخصيات الفلسفية العالمية الدكتور زكى نجيب محمود ·· أمثال : ابن خلدون ·· وابن باجة ·· وابن رشد ·· وابن سينا ·· وابن طفيل ·· وأبو حامد الغزالى ·· والسلطان محمود الغزنوى ·· والجوينى ·· والجاحظ ·· وغيرهم ·

وقد ملأت هذه الموسوعة فراغا كبيرا فى المكتبة العربية ·· اذ تعرف المثقف العربى من خلالها على عدد كبير من الفلاسفة الغربيين واليونانيين ، الى جانب تعرفه على مذاهبهم الفلسفية التى سادت ·· وأشهر أعمالهم ·

ويأتى اشتراك الصديق جلال العشرى فى ترجمة هذه

الموسوعة العالمية من عمق تخصصه الدراسى فى الفلسفة الاسلامية ٠

ولم يتوقف عطاء جلال عند النقد المسرحى ، والترجمة والعمل الصحافى ٠٠ بل أسهم فى البرامج الاذاعية والتلفزيونية ٠٠ هذه البرامج التى أكسبته جمهورا كبيرا من المستمعين للاذاعة ومشاهدى التلفاز ٠

وهو بهذه المساهمات الاذاعية والتلفازية يؤكد عمق علاقته بالناس ٠٠ المثقف منهم ٠٠ والمتعلم ٠٠ وحتى الأمى لأن هاتين القناتين لا تحتاجان الى القراءة والكتابة ٠٠ فكأنه بعمله يتجاوز كل العوائق والاحباطات ليصل الى كل الجماهير الذين قد لا يستطيعون مشاهدة ما يعرض من مسرحيات بحكم ظروفهم الاجتماعية ٠٠ أو دخلهم المحدود ٠

وهى مساهمة أو دعوة من « جلال » الى ضرورة تثقيف المجتمع وتوعيته بشؤون حياته ، وما يحيط به من قضايا مهما كانت العوائق التى تتمثل فى « الأمية » التى يحزنه انتشارها فى بلاده الحضارية ٠٠ أو « الفقر » الذى يضع سدودا فى وجه ذوى « الدخل المنخفض » أو « اللا دخل » على الاطلاق ٠

ومن صفات الصديق جلال العشرى حرصه على التعرف على الأدباء العرب ٠٠ وتشجيع الناشئة منهم بوضع مقدمات لكتبهم أو دواوينهم ٠

كما يتميز ببساطته ٠٠ وبعده عن الغطرسة والترفع على الآخرين ٠٠ وكان لا يحب الأضواء ٠٠ وتجنب الدخول فى الأحزاب السياسية ٠٠ لأنه كان يؤمن أن لعبة السياسة المتغيرة لا تتفق مع روح الفنان والناقد ٠٠ وبعده عن عالم السياسة والأضواء لم يعزله عن مجتمعه وقضايا مجتمعه

وأمته العربيـة ·· فالفن عنده والأدب فى غيـاب الانسان والقضية هو فـن أو أدب مريض معـوق ·· أو سفسطائية جوفاء !!

وفى رأى جـــلال « أن الأديب المعاصر لا بد أن يلتزم بقضايا مجتمعه وهموم عصره حتى يصبح لأدبه قيمة ومعنى ·· ويتحول الى سلاح حقيقى لمواجهة العدو بمعناه الشامل ايجابا لا سلبا ·

وهو يرى « أن الابداع الأدبى أسبق ·· ولكن الابداع النقدى عندما يتجاوز مرحلة النقـــد التطبيقى حيث يقف الناقد أمام عمل أدبى أو فنى بعينه ·· عندما يتجاوز النقد هذه المرحلة ، ويصل الى مستوى النظرية يصبح فى هـذه الحالة أسبق من الابداع الأدبى ·· بمعنى أنه يتحول الى أداة من أدوات الأديب أو الفنان ·· وبدونها يصبح جاهلا غير مطلع على النظريات الجمالية ·· والناقد ليس أديبـــا فاشلا كما يقال » ·

كما يرى « أن من أسوأ الصفات التى يمكن أن تلحق بناقد ما أن يخضع تقييمه الأدبى لمزاجه الشخصى ، أو الهوى العارض ·· ولا شك أن الناقد المزود بالثقافة والعلم قادر على أن يحمى ضميره من الزلل ·· أما الناقد الجاهل ـ وهو ليس ناقدا على الاطلاق وان أمسك القلم ، وسـود مئـات الصفحات ـ فهو عرضة للخضوع لهواه الشخصى ، ومزاجه العابر ·· والعلاقات الشخصية بين النقاد والأدباء فى الوطن العربى قد أثمرت هبوطا فى موازين النقد ، وانحطاطا فى معايير التقييم » ·

لهذا لم يكن جلال « شلليا » ولا صاحب « زفة » ·· ولم يكن همه أن يرضي « زيـــد » من الأدبـاء ·· أو يغضب

« عمرو » من النقاد ·· بل كان حرا فى فكره ، وفى آرائه ·· وكان صريحا لا يجامل على حساب فنه ونقده ·· فعاش بعيدا عن مثل هذه الأجواء ·· وكان يفرق بين العلاقات الانسانية والصداقات ، وبين فكره وفنه ، ورأيه المستقل الذى لا تحكمه النزعات الشخصية ·

وهو بالرغم من اعترافه بأستاذية العقاد له الا أن هذا الشعور لم يحل دون ابداءه رأيه فى أستاذه سلبا أو ايجابا فهو يقول عن شعر أستاذه الذى يحبه ويحترمه كما يحترم فكره وعلمه الشموليين « أنا لست من المعجبين بشعر العقاد ·· ولكن هذا لا ينفى على الاطلاق أن العقاد شاعر ، وشاعر مجدد أيضا ·· وان كان تجديده النظرى أسبق من تجديده الشعرى ·· ولكنى أعتقد أن عبد الرحمن شكرى ، والمازنى، وخليل مطران من أدباء ذلك الجيل الرائد فى نهضتنا الحديثة ، أكثر أهمية بما لا يقاس من العقاد فى تاريخ الشعر العربى الحديث » ·

كما قال عن صديقه الحميم الدكتور مصطفى محمود ·· قال عن قصصه « هو صديقى ·· وهو يمتلك عبارة دافقة وقصيرة تجعله من خيرة كتاب المقالة ·· وهو يكتب القصة لكنه لا يمتلك البناء القصصى » !!

وبمنتهى الصراحة البعيدة عن المجاملات والعلاقات الشخصية التى تتحكم فى بعض النقاد قال رأيه فى عدد من النقاد كما يراهم من منظوره النقدى الخاص ·

فقد قال عن مندور « ليس من شك فى أن مندور كان بحق شيخا للنقاد ·· فقد توارت فيه أبعاد النقد الثلاثة : الموهبة من ناحية ·· والثقافة من ناحية أخرى ·· والممارسة من ناحية ثالثة وأخيرة » ·

قال جلال هذا الكلام بعد رحيل مندور ·· وهو بهذا الاطراء والمديح كان بعيدا عن رغبة البعض فى كسب رضى النقاد ·· ولو قال هذا الرأى فى حياة مندور فقد نوصمه بالمجاملة ومحاولة كسب رضا مندور ·· وهو ناقد رائد دون أدنى شك ·

وقال عن صديقه الناقد رجاء النقاش انه « امتداد للدكتور محمد مندور بفارق واحد هو غلبة الممارسة ·· ورجاء فى نقده اما أن يكون « مع » واما أن يكون « ضد » ·· وتستطيع أن تتعرف على رأيه من بداية قراءتك لما يكتبه من نقد ·· وهو ناقد عاطفى متحمس » ·

قال « جلال » هذا الكلام عن رجاء النقاش ناقدا ، وهو فى عنفوان تألقه داخل بلاده وخارجها ·· وكان رجاء يومها يحرض الأدباء على نقده ·· وكان يمثل ظاهرة نقدية لها شهرتها ونجوميتها ·· وكان بعض النقاد والأدباء يخشون صولاته النقدية « الغاضبة » فى بعض الأحيان ·· وكانت كل هذه الأمور كفيلة باسقاط أى صوت ضده ·· ومع ذلك لم يسكت صوت « جلال » من الادلاء برأيه فى الوقت الذى كان رجاء النقاش فى قمة مجده الأدبى ·

ومثله صديقه الناقد غالى شكرى الذى يمثل أحد أركان النقد الحديث فى مصر مع رجاء النقاش · وله شهرته وسمعته وبريقه ·· ومع ذلك لم يجامله جلال ·· ولم تؤثر عليه شهرة غالى وبريقه النقدى ·· فقال عنه : « غالى شكرى امتداد للدكتور لويس عوض بفارق واحد هو قلة التطبيق وقلة الشمول والاحاطة ·· ولكنه يصلح كمدرس أو محاضر فى الجامعات ·· ان روح المدرس لديه تغلب على روح الناقد ، ولهذا فهو محق فى نيل الدكتوراه ليصبح فيما بعد مدرسا فى الجامعات » ·

وقد صدقت توقعات جلال بنيل غالى شكرى للدكتوراه وبالاستقلالية نفسها التى يمتلكها جلال العشرى ·· قال آراء جريئة عن عدد من الكتاب والأدباء والشعراء فى مصر والوطن العربى ·

حدثنى عن السياب·· والبياتى ··وصلاح عبد الصبور ·· ونزار قبانى ·· وأمل دنقل ·· وممدوح عدوان ·· وغادة السمان ·· وكوليت خورى ·· والماغوط ·· وأنيس منصور ·· وهذه الآراء التى أوردتها سابقا وما سأورده تاليا ، أدلى بها فى حوار أجريته معه عام ١٩٧٢ م · ونشرته مجلة « اليمامة » السعودية ·· وهو حوار سوف يضمه كتاب لى يحتوى على عدد من الحوارات التى أجريتها مع عدد من الكتاب والنقاد والأدباء والمؤرخين والشعراء فى عدد من الأقطار العربية ·· هذا الكتاب الذى أقوم الآن باعداده للنشر لقناعتى بأنه يمثل مجموعة من الأصوات الأدبية المؤثرة سواء داخل محيط قطرها ، أو على مستوى العالم العربى ·

ولا أرى ما يحول دون نشر بعض آراء الصديق جلال العشرى فى الأسماء التى أشرت اليها آنفا ليزداد القارىء العربى معرفة بالمسار المستقل الذى اختطه جلال فى حياته النقدية ·

قال عن كوليت خورى : « ان قصر ثقافتها تحول بينها وبين امتلاك ناصية الشكل الأدبى الناجح » ·

وقال عن غادة السمان : انها « هى الكاتبة التى يتوازن عندها شكل الأدب ومضمونه » ·

وقال عن الشاعر السياب : « فى تقديرى أن أشعر شعراء الشعر الحديث هو بدر شاكر السياب لتوازن ثقافته

مع معاناته ، مع قدرته على التصوير والتعبير فضلا عن تجديده لشكل الشعر العربى الحديث » :

وقال عن الشاعر البياتى : انه « يتميز بمعاناته الوجدانية ·· كما يتميز بلجوئه الى الاسطورة والتاريخ ·· ويعيب على البياتى فى اتجاهه الجديد تكراره لنفسه ولقصائده ، حتى أصبحت دواوينه الأخيرة أقرب الى الديوان الواحد » ·

وقال عن صلاح عبد الصبور انه : « يتميز بتأملاته الفكرية ·· وتطويع الشعر الحر للغة الأداء المسرحى أو التمثيلى ·· ويعيب مسرح عبد الصبور غلبة الفكر الشعرى على الشعر المسرحى الملتحم بدم المسرح ، وواقع الحياة ·· وصلاح عبد الصبور كان له الفضل بعد عبد الرحمن الشرقاوى فى تحرير الشعر المصرى من قيود الرومانسية ·· والكلاسيكية على السواء » ·

وقال عن الشاعر نزار قبانى انه « شاعر الصياغة الجميلة المترفة التى تجعل منه شاعرا للمناسبات ·· لا المناسبات الفردية أو الشخصية كما فى الشعر القديم ولكن المناسبات التى يخوضها الوطن العربى ·· وهو شاعر بلا موقف ·· وبلا قضية ، وبلا اتجاه ·· يرتدى لكل مناسبة زيها بحيث يكون جاهزا باستمرار فوق خشبة المسرح ، ولكن الحضور الوقتى شىء والبقاء الدائم شىء آخر ·· لذا فهو شاعر حاضر وليس شاعرا باقيا ·· » ·

كما قال عن أمل دنقل انه « فى تقديرى الأمل الجديد للشعر الجديد ·· لكن أمل ينقصه جانب الثقافة ، والثقافة الغربية بالذات حتى يستطيع أن يطور شعره ويخرج من مرحلة التعبير الذاتى الى مرحلة التناول الموضوعى والا بقى

فى نفس الطريق الذى لا يزال فيه الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى » ٠

وقال عن الشاعر السورى ممدوح عدوان انه « دون مستوى أمل دنقـــل لنقص ثقافتــه من ناحيــة ، ولاتجاهه الرومانتيكى من ناحية أخرى » ٠

وقال عن أنيس منصور ان « خطه البيانى فى انحدار ٠٠ فالرجل الذى تحدث عن الفلسفة وبعض الأمور الجادة ، عاد ليتحدث عن كلوديا كاردينالى الممثلة ٠٠ ومارلين مونرو ٠٠ والذين هبطوا من السماء ٠٠ فأنيس يتحول الى منتج كتب ٠٠ وقد قل قراؤه في مصر ، ولم يبق منهم الا الموجودون فى البلاد العربية » ٠

وقال عن الماغوط انه « الذى يكتب قصيدة النثر بروعة واقتدار » ٠

هذه هى جملة آراء لجلال قالها فى عــدد من النقــاد والأدباء والشعراء ٠٠ وهى آراء ربما لم يطالعها القارىء العربى ٠٠ وربما أنها لا تمثل ما يدعو اليه بالنظرية النقدية لأنها آراء مختصرة قيلت فى حوار لمجلــة ٠٠ وهى تعكس صورة من رؤى جلال فى حدته ٠٠ وهدوءه ٠٠ واستقلالية رأيه ٠٠ وتركيزه على عنصر الثقافة ٠٠

رحمك الله يا جلال وأسكنك فسيح جناته ٠٠

جلال العشرى ٠٠ شباب خالد ٠٠

محمد السيد شوشة

دخل جلال العشرى فى عداد « نوابغ الشباب الخالدين، برحيله عن هذا العالم وفى يده القلم ، فى سن الشباب لأن صورته سوف تطبع فى أذهان الناس فى صورة الشباب الخالد الذى لا يعرف الهرم ٠

واذا كان قد رحل فى سن الخمسين سن النضوج ، فانه لم يقترب من سن الشيخوخة وظل قريبا من الشباب ٠

سيظل خالد الشباب كتوت عنخ آمون والزعيم الشاب مصطفى كامل وشهيد الجامعة محمد عبد الحكم الجراحى والموسيقار سيد درويش والمخرج السينمائى كمال سليم والشعراء أبو القاسم الشابى وأحمد فتحى ومحمد عبدالمعطى الهمشرى وسلوى حجازى ومن الفنانين أنور وجدى وأحمد سالم وعبد الحليم حافظ ومحمد فوزى وآسمهان وكاميليا ٠

هنيئا لك يا صاحب القلم المبدع ، أن تظل فى وجدان قرائك شبابا على طول !

مات المتابع الدءوب

د٠ على شلش

كان جلال العشرى نمطا نادر الظهور ــ بمقاييس اليوم ــ فىحركتنا النقدية ٠ فقد كان يتميز بمقدرة مدهشة على متابعة ما يجرى على ساحة الأدب وفنونه ، وجلد عجيب على موالاة هذه المتابعة للكلمة الأدبية المكتوبة ، سواء ظهرت بين دفتى كتاب مطبوع أو على خشبة مسرح ٠ وكان فى متابعته المرنة الجلود هذه حريصا على البحث عن قيم الجمال وتشجيع أنصارها ٠

كان لا يكل ولا يمل فى متابعة الابداع الأدبى ، مطبوعا فى كتاب أو منطوقا على خشبة مسرح ، على طول محافظات البلاد ومواطن الابداع فيها ٠ فقد جوب فى هذه المحافظات ، من أقصاها الى أدناها ، فرحا بما يجد من ابداع ، ومشجعاً لما يجد من مواهب ٠ ويوم يكتب تاريخ الابداع فى السنوات الثلاثين الماضية سوف نكتشف المساهمة الحقيقية لجلال العشرى فى احتضان كل جديد وتشجيع كل موهبة طالعة ٠ ومع ذلك فكتبه العديدة تشهد بهذه المساهمة ، لأن فيها يكمن سجل مهم ــ كأنه يوميات الابداع ــ لكل ما استجد على ساحتنا

obeikandl.com

الأدبية عبر السنوات التى عاشها من عمره النقدى • ولا يمكن لمؤرخ لهذا الابداع أن يحقق مهمته دون الرجوع الى متابعات جلال العشرى ، متابعاته الجلود الدءوب • ويا له من عبء قام به ، وأدى فروضه ، حتى آخر جولة له مع مرضه المضنى! ويالها من مسؤولية حملها على كتفيه طوعا واختيارا !

وقد ساعده على القيام بهذا العبء وحمل تلك المسؤولية طموح مبكر الى المشاركة والتأثير فيما يدور على ساحة الأدب، وعقل مستنير رتبت أركانه وحركته دراسة الفلسفة والمنطق بالجامعة • كما ساعده على هذا وتلك استعداده الفطرى لحب البشر ، ومصادقة الناس ، والاندماج فى همومهم • بل كان الحب والعطف مفتاحه الى ثمار الابداع ، والدخول فى معتركات الحياة ودهاليز الأدب •

كان يعيش تجربة الابداع قبل أن يكتب عنها ، ويندمج مع المبدع قبل أن يقدمه للناس • وفي كلتا الحالتين كان يفعل ذلك بحب وعطف تلقائيين •

ومن هذا كله ، أو بسبب هذا كله ، تصبح متابعاته النقدية من أهم الشهود على عصرنا ، ويصبح هو ـ اذا شئنا تعبيرا أثيرا لديه ـ شاهدا على عصره ، شاهدا محبا للحياة ، عطوفا على البشر ، صبورا على مكاره الزمن ، ودءوبا على المتابعة •

لم يعد فى مقدور أحد اليوم أن ينذر نفسه وجهده للمتابعة ، بالرغم من أهمية المتابعة وضرورتها فى رصد الظواهر وتقييمها • ولكن عسى أن يولد عندنا من يستطيع ملء الفراغ الذى تركه المتابع الدءوب •• جلال العشرى • وعسى أن يشجع المثل الذى ضربه لنا على ظهور متابع جديد ، أو متابعين جدد • فنحن أحوج ما نكون الى هذا وأولئك •

جيلنا يتساقط

د. نبيل راغب

فقدت الحركة النقدية فى مصر والبلدان العربية برحيل جلال العشرى ناقدا قل أن نجد نظيرا له فقد تسلح منذ شبابه الباكر بالفلسفة والفن والأدب وكانت معرفته شاملة بحيث كان يتصدى للأعمال الأدبية والفنيـة من أكثر من روايـة بموضوعية لا تسمح له بأن يتدخل بذاتيته أو منظوره الشخصى فقد كان ايمانه كناقد أن دور الناقد يتمثل فى أن يزيل كل الحواجز بين العمل الفنى والمتلقى حتى لو كان أحـد هـذه الحواجز هو الناقد نفسه ولذلك نجد فى كتب (مسرح أو لا مسرح) و (صرخات فى وجـه العصر و (ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة) و (سقوط الأقنعة) ــ خريطة علميـة بمعنى الكلمة لحياتنا الأدبية والفنية ، كما كان يملك قدرة فذة على ترجمة أمهات الكتب فى الفلسفة والفـكر والنقـد الفنى لكى يجعل منها نافذة للناقد العربى كى يطل على أروع منجزات الحياة الفكرية والفنية لعالمنا المعاصر . وكان قـد بدأ حياته بعمل كبير وهو الاشتراك مع الأستاذ الدكتور زكى

نجيب محمود فى تأليف (الموسوعة الفلسفية) والتى لم تطبع الا مرة واحدة للأسف برغم شدة حاجتنا اليها الآن كذلك كان جلال العشرى منبع اشعاع سواء على صفحات المجلات التى عمل بها مثل مجلة (الفكر المعـــاصر) ومجلـة (الاذاعـة والتليفزيون) وأيضا كان ينتشر بمقالاته الجيدة والراقيـة فى معظم صحف ومجلات مصر والعـــالم العربى ولم يقتصر نشاطه على الصحافة بل امتد ليشمل أيضا جهازى الاذاعـة والتليفزيون فقد كان نجما بازغا فى معظم البرامج الثقافية فى الاذاعة وخاصة فى البرنامج الثانى وبرنامج (مع النقاد) على وجه التحديد ، كذلك كان يشارك دائما بنصيب وافر فى البرامج التليفزيونية والدليل على ذلك برنامجـه الأسبوعى المتميز (تياترو) الذى يغطى فيه كل مظاهر وأحداث الحركة المسرحية العربية كل أسبوع ٠

أما عن جلال العشرى الصديق والزميل فكان مثاليا فى أخلاقه دون أن يتشدق بالمثالية مثلا عندمـا كان يتولى أى منصب ثقافى سواء فى مؤسسة أو هيئة أو حتى فى القطـاع الخاص كان يسعى الى أصدقائه وزملائه لكى يفتح لهم مجال النشر وأنا مدين له بنشر كتابى (التفسير العلمى للأدب) الذى نلت عليه جائزة (اليونسكو الدولية عام ١٩٨١) ، كما أن هناك خاصة فى جلال العشرى وهو أنه كان يترك دائما أعماله وسلوكياته تتحدث عن نفسها وكان يرفـض دائمـا المساس أو ارتياب الزملاء ولو بكلام عابر فقد كان يرى أن الناقد والمفكر صاحب رسالة وليست وظيفة وهذه الرسالة لابد أن تكون نصب عينيه طوال حياته ولذلك كان جلال العشرى ناقدا وفيلسوفا واعيا فى كل لحظة من لحظات حياته التى أنطفأت كانطفاء الشعلة المتوهجة ٠٠ لكننا كلنا نشعر بعقدة الذنب تجاه هذا الزميل والصديق الوفى فعندما بدأ مرضـه

يشتد عليه منذ عام أو أكثر كان يلح بأن نذهب ونزوره أو على الأقل نسأل عنه وقد زرته أنا منذ خمسة أشهر ولا أستطيع أن أسامح نفسى أنه خاطبنى بالتليفون أكثر من مـرة حتى أزوره ثم قابلته فى مبنى الاذاعة والتليفزيون منذ أسبوع فقط وشكى لى أن لا أحد يسأل عنه وهو فى أشد الحاجة الى الأصدقاء فوعدته أن أزوره فى ظرف يومين أو ثلاثة ويوم رحيله قررت أن أخاطبه تليفونيا وعندما مددت يـدى لكى أدير قرص التليفون • دق التليفون فى بيتى واذا بصديقى الكاتب الصحفى « محمد جبريل » يبلغنى بالنبأ الحزين ولذلك لم يؤثر رحيل صديقى في نفسى مثلما أثر رحيل جلال العشرى وقبله زهير الشايب وأمل دنقل • فجيلنا جيل خاض أهوالا مستمرة ومتجددة قد لاتبدو على سطح الحياة الثقافية والفنية ذات أمواج صاخبة ولكنها احباطات جعلت جيلنا يتساقط مثل أوراق الشجر قبل قدوم الخريف •

جلال العشرى ٠٠ بديهية أدبية

د٠ عبد العزيز شرف

« بديهية أدبية » آخر عناوين الراحل العزيز جـــلال العشرى الذى كتب لهذه الصفحة يقول : ان نجيب محفوظ بديهية أدبية ٠٠ ان الأرض الأم الذى أنجبت نجيب محفوظ، هى التى أنجبت أجيال ما قبل محفوظ وما بعد محفوظ ، وسوف تنجب الى ما شاء الله ، أبناء نابغين فى كل مجال من مجالات الابداع والابتكار ٠

وكأنما آثر الموت أن يختطفه من بيننا ، ونحن فى غمرة احتفالاتنا وأفراحنا القومية ، ليؤكـد لنا ان الفـكر خـالد لا يموت ، فالفكر ينفذ بأنظاره الى ما بعد الموت ، واذا كان بعض الفلاسفة الذين أحبهم جلال العشرى يقولون : ان من يحب شخصا فكأنما هو يقول له : انك لا يمكن مطلقـا أن تموت بالنسبة لى ٠٠ فان الفكر ينتصر على الفناء ، والمفكر الأصيل لا يمكن ان يكـــون غائبـا ٠٠ ان مصطفى لطفى المنفلوطى أديب مصر العظيم ، رحل عن عـالمنا يوم حادث الاعتداء على سعد زغلول في يوليو سنة ١٩٢٤ ، ولم يحمل

نعيه الا هفيف النسيم وباكيات الحمائم ، ولم ينهض لتوديعه من هذا الجمهور المعجب بآثاره ، الا محبوه من أهله وصفوة أصدقائه ، ومع ذلك بقى المنفلوطى خالدا ، مؤثرا يعيش فى ذاكرة الأجيال • وكأنى به اليوم يعيش معنا أفراحنا وأتراحنا ، شأن أبناء مصر المخلصين الذين يحضرون دائما بالنسبة الى الذات المحبة التى ارتبطت بهم •• وهذه الذات المحبة هى مصر التى ارتبطت بهم •• وهذه الذات المحبة هى مصر التى عرفت معنى الوفاء كمقوم أساسى من مقومات شخصيتها حتى لتصبح تلك الـ « نحن » التى تكونت من ارتباط « الانا » « بالانت » حاضرة قوية خالدة ، على حد تعبير جبريل مارسيل أحد الفلاسفة الذين أحبهم جلال العشرى •

أن « هذه البديهية الأدبية » التى عبر عنها جلال العشرى فى تحليله لشخصية نجيب محفوظ ، هى التى صورها نجيب محفوظ فى شخصية « كمال » في « قصر الشوق » متطلعا الى آفاق يشعر بالشوق اليها ولكنه لا يتبينها تماما يقول محفوظ عن ــ كمال :

« ان فى نفسه أشواقا تحتاج الى عناية وتأمل حتى تتضح أهدافها ولعله غير متأكد من انه سيظفر بها فى مدرسة المعلمين ، وان رجح عنده ان تكون أقصر سبيل اليها ، أشواق تهزها مطالعات شتى لا تكاد تجمعها صفة واحدة : مقالات أدبية ، واجتماعية ، ودين ، وملحمة عنترة ، وألف ليلة ، والحماسة ، والمنفلوطى ، ومبادىء الفلسفة ، الى انها ربما لم تكن مقطوعة الصلة بالأحلام التى كاشفه بها ياسين قديما ، بل والاساطير التى سكبتها فى روحه أمه من قبل ذلك •• كان يحلو له أن يطلق على هذا العالم الغامض اسم « الفكر » وعلي نفسه اسم « المفكر »

فيؤمن بأن حياة الفكر أسمى غاية للانسان تتعالى بطبعها النورانى على المادة والجاه والالقاب وسائر ألوان العظمة الزائفة • « وقال كمال لأبيه الذى كان يعارض دخول ابنه مدرسة المعلمين لانه لا يريد له أن يكون معلما :

ـ هل من العيب يا بابا ان أتطلع الى أن أكون كالمنفلوطى يوما ما » ؟

قال الوالد بدهشة : الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى ! رحمة الله عليه ، رأيته أكثر من مرة فى سيدنا الحسين ، لكنه لم يكن معلما فيما أعلم ، كان أعظم من هذا بكثير كان من جلساء سعد وكتابه • ثم انه كان من الأزهر لا من المعلمين •• كان هبة من الله •• هكذا يقولون عنه » •

هذه البديهية الفكرية التى صدر عنها نجيب محفوظ تجسد لنا ما نعنيه عندما نتحدث عن أدب جلال العشرى الذى آمن مع محفوظ ، بأن الالتزام ليس موقفا مذهبيا ، بل هو احساس من داخل الفنان بمسئوليته ازاء مجتمعه وجيله وعصره وتظهرنا هذه البديهية الأدبية ، على أثر الفلسفة فى تكوين الرؤيا الابداعية ، اذ تشبع العشرى ، كما تشبع محفوظ من قبل بالقراءات الفلسفية ، التى سارت فى تواؤم مع القراءات الأدبية ، واذا كان للفلسفة أثرها فى روايات محفوظ ، فانها قد طبعت المنهج النقدى عند جلال العشرى بطابعها ، ففى أدب محفوظ شخصيات متفلسفة أو متأثرة فى سلوكها وأحاديثها بالأفكار الفلسفية ، ومظاهر الأثر الفلسفى متنوعة فى أدب محفوظ، بل أن بعض أساتذة الفلسفة لاحظوا انه ينهج منهجا ديكارتيا فى بعض مؤلفاته ، أى انه يقيمها علي أساس الشك ثم يصل

عن طريق الجدل الى الحقائق ، وأشاروا الى « القاهرة الجديدة » بوجه خاص .

والتفسير الفلسفى للأدب ، يمثل معالم المنهج النقدى عند جلال العشرى فى نقد الأدب والفن ، اذ يرتكز على أساس من البحث عن الحقيقة بهدف الاهتداء الى خفايا العمل الأدبى والفنى واستطاع جلال العشرى بقدرته العقلية النفاذة . منهجه القائم على العقل والخيال معا أن ينتزع أسرار الأعمال الأدبية والفنية ، حاثا قارئه على أن يمضى معه فى التفكير ، بحيث يذكرنا بقول « شوبنهور » : ان الشاعر أشبه ما يكون بالرجل الذى يقدم لنا مجموعة من الأزهار فى حين يشبه الفيلسوف الرجل الذى يضع بين أيدينا خلاصة رحيق تلك الأزهار » .

وبالفعل ، قدم لنا جلال العشرى فى نقده الأدبى والفنى « رحيق تلك الأزهار » على نحو فريد تميز به فى أسلوبه الذى ارتبط باسمه ، وأصبح شارة على كتاباته . فهو الذى كتب يقول : « لكى نكون عصريين معناه قبلا .. ان نكون أصلاء .. فالأصالة والمعاصرة وجهان لعملة واحدة وثمة سببية متبادلة بين الجانبين فبمقدار ما نكون أصلاء نكون معاصرين .. وليس النقص فى احدهما الا نقصا فى كليهما .. لأن العلاقة بينهما أشبه بعلاقة السوائل فى الأوانى المستطرقة .. تزداد أو تنقص معا فى وقت واحد ، بنفس المقدار وعلى نفس المستوى » .

وعن هذا المنهج النقدى صدر جلال العشرى فى نقد المسرح كذلك ، واترك هنا للدكتورة نهاد صليحة أستاذة النقد المسرحى تجديد معالم هذا المنهج فى النقد المسرحى اذ تقول عن جلال العشرى مؤلف كتاب « تياترو » « انه ينتمى الى القلة المتميزة من نقادنا المسرحيين الذين يرون فى

الدراما تجربة كاملة لها أبعادها الاجتماعية ودلالاتها الفلسفية ، فهى تشمل الثابت والمطلق والماضى ـ أى النص المكتوب ـ من ناحية ، والمتغير النسبى الانى أى العرض ـ من ناحية أخرى • ان الدراما فى اطار هذه الرؤيا لا تكمن فى النص وحده أو فى العرض وحده ، بل تكمن فى جدل النص مع العرض من ناحية ، وفى جدل العرض مع الجمهور من ناحية أخرى » •

وما أصدق « لافل » احد الفلاسفة الذين أحبهم جلال العشرى ، حينما يقول : « ان الحياة البشرية أشبه ما تكون بالعمل الفنى ، والعمل الفنى ، انما يكتمل بموت الفنان ، اذ هناك يكتسب انتاجه كل ما له قيمة ، ويتخذ موضعه فى صميم التاريخ » •

فهل يعنى رحيل جلال العشرى اكتمال عمل فنى كبير ، بالطبع ويبقى الحزن الذى خلفه فى نفس أقرانه وأبناء جيله ، متمثلا فى هذه الأبيات :

لم يبق لى فى طريق العمر أحباب
خلا الطريق واحباب الصبا غابوا

كانوا خيالا •• وكان العيش حلم كرى
مضى به قدر للعمر غلاب

تمضى الحياة ويمضى دهرنا نهما
بالعبقرية فيها منه أنياب

نرجو ونأمل والأقدار ترقبنا
والموت يحجبه عن وهمنا الباب

كان اللقاء وداعا ، والحديث صدى
من عالم الغيب لم تدركه الباب •

الموت يقترب

سامى السلامونى

أيقظنى صوت زميلى حسن عثمان صباحا ليخبرنى بأن زميلا آخر قد مات ·· قال لى دون أن أفهم تماما : « جلال العشرى تعيش أنت ·· قـوم البس وحفـوت عليك نروح المجلة علشان نشوف حنعمـل أيـه فى المستشفى والدفن والجنازة ·· » نهضت مفزوعا فى الفراش وهتفت ·· ياه ! ·· كلمة بلا معنى تعبر عن دهشـة بلا مبـرر ·· بينما « الموت المستشفى ·· الدفن ·· الجنازة » كلمات لها معنى ·· بل الوحيدة التى لها معنى ·· الوحيدة التى يبدو أنها حقيقيـة ·· وهى الآن خبر كـل يـوم الـذى يجيئنى اما بالتليفون واما فى وفيات الأهرام ·· وأنا نفسى أصبحت محرر وفيات ولكن فقط فى صفحـة السينما وبدون هذه الخطوط السوداء العريضـة ·· وأصبحت أعـرف طريقى جيدا الى المقابر حيث أرى صديقا يهبـط الى تحت الأرض فلا يعود ·· وفى المساء أعرف طريقى الى سرادقات العزاء لنتبادل توديع بعضنا بالدور ·· وفى كل سرادق قادم يكون

عددنا نقص لأن أحدنا قد اختفى ·· ومع ذلك نتظاهر بالدهشة فى كل مرة ·· ولكنى هذه المرة لم أدهش ·· وانما شتمت أشياء كثيرة سخيفة فى هذه الحياة الحقيرة ثم تبلد احساسى تماما ·· كنت أنا شخصيا مريضا لعشرة أيام أرتجف من الحمى ووجع الصدر وعدم القدرة على التنفس حتى أحس أحيانا أن قلبى يمكن أن يتوقف فى أى لحظة ·· وعندما جاءنى التليفون لم أدرك للحظة هل الذى مات هو أنا شخصيا أم جلال العشرى ·· وقضينا اليوم فى الروتين الذى أصبح مألوفا : المستشفى ·· المقابر ·· سرادق العزاء ·· كل الفرق ان « المذكور » هذه المرة اسمه جلال العشرى ·· فى سرادق العزاء ليلا ونحن ننصت للقرآن تأملت الوجوه الحزينة من ولى فوجدت كتابا وفنانين وأدباء من جيل كامل فى كل الاتجاهات ·· لا أحد فينا لا يعرف الآخر ولم يشاركه شيئا ما ·· وكلنا نموت قبل الخمسين أو بعدها قليلا ·· وأدركت السر ·· فليس هناك جيل حارب طوال ثلاثين سنة وتعرض للعذاب والاحباط والكآبة كهذا الجيل ·· ووجدت الوجوه شاحبة والشعر أشيب كالحا والأرواح مهدمة تماما · فالكل سعى فى ظروف وحشية ولم يخرج شيئا ·· وكلهم جلال العشرى ·· قرأ وكتب ودرس وخرج بقبض الريح ·· وتصورت خاطرا مخيفا ·· ان كل هؤلاء موتى ·· ولكنهم فقط ينتظرون الدور ·· البعض غدا ·· والبعض بعد غد ·· والبعض مات فعلا بالأمس ·· ولكنه لا يدرى !

جلال العشرى ·· الحاضر دائما !

جمال الغيطانى

·· حقا ، ما يزال الموت قــــادرا عــلى اثارة روعى · وأحزانى ··

ظننت اننى بلغت معه المــدى الأقــصى بعــد ان اختطف الأقربين ، أمى ، وأبى ، بعد أن نالنى فيمن جاءوا بى الى هذه الدنيا · غير انه ما يزال قادرا على مفاجأتى ، واثارة حزنى ، وذهولى ··

اذن ، رحل جلال ··

لن أسمع بعد صوت جلال العشرى الهادىء ، الرقيق ، اذ يتصل بى ، ولن ألقى ملامحه التى اعتدتها ، لن يحدث هذا أبدا ·

اذن ، رحل جلال العشرى ، أحد ألمع المثقفين المصريين ، لا أدرى حقا فى أى جيل اضفه ، فربما كان بالعمر ينتمى الى جيل الوسط ، جيل رجاء النقاش ، وسليمان فياض ، وصبرى موسى ، وعبد الله الطوخى ، وصالح موسى ، ولكنى أشعر دائما انه واحد منا ، من هؤلاء الكتاب الذين يشكلون فيما بينهم

ظاهرة كتاب الستينيات • أولئك الكتاب الذين يمثلون أعمق حركة أدبية فى حياتنا الثقافية المعاصرة • أولئك الذين بقى منهم حتى الآن عدد قليل لا يتجاوز أصابع اليدين ، بعد أن تعرض جيلنا لظروف قاسية ، رافقت الظهور وتنوعت مع مسيرتنا ، ولكن تنوع فى اطار القسوة ، ما بين قهر الستينيات الديموقراطى ، ونكبة السبعينيات الاجتماعية ، وما أعقب ذلك من نكوص، وارتداد عن البدهيهات التى دعينا عليها ، وصاغت أفكارنا ، وتوجهاتنا ، ومسلكنا فى الحياة ، بدهيات الوطنية ، والانتماء والشرف فى أبسط صوره ، ظروف صعبة ، وعرة أحاطت بهذا الجيل وعصفت به ، وطوال العقدين الماضيين ، كان جلال العشرى يعمل مخلصا وجادا ومتجددا فى اتجاه الثقافة ، فى تعميق الوعى بأهميتها ، ودورها حتى فى أحلك الظروف ، كان يدعم كل ما يمكن أن يؤدى الى التنوير ، وهذه مهمة صعبة فى واقع لم يعد يعبأ بأى شكل لكل ما يمت الى الثقافة من قريب أو بعيد ، عمل جلال العشرى من خلال عدة محاور ، كناقد ، ومترجم ، ومبدع ، ولست هنا بصدد احصاء تقليدى عما قدمه ، وأضافه الى المكتبة العربية ، ولكننى من خلال ذكر الخطوط الأساسية لعلاقتى به ، فى الستينيات كنت أقرأ له ما يكتبه من نقد ، وما قدمه من ترجمات ، الحق اننى لا أذكر متى التقيت به • ربما رأيته فى ندوة ، أو خلال نقاش أدبى ، لأننى عندما توجهت اليه عام ألف وتسعمائة وتسعة وستين ، لأتعرف عليه ، بعد ظهور دراسته النقدية العميقة عن مجموعتى القصصية الأولى ، «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، فى مجلة « الفكر المعاصر » التى كان يتولى سكرتارية تحريرها ، وكانت الفكر المعاصر أحد المنابر الثقافية الجادة ، الشامخة ، وقد لحق بها قرار الاغلاق مع شقيقاتها « المجلة » و « التراث الشعبى » و « السينما والمسرح » ثم « الكاتب » فيما بعد ،

كنت حريصا على متابعة هذه المجلة ، عندما فوجئت بدراسة جلال العشرى منشورة على ما يقرب من عشرين صفحة من صفحاتها • كانت دراسة تحليلية ، عميقة ، أضاءت لى جوانب هامة من عملى ، ونفذت الى أسرار كنت أظن أنها مستعصية الادراك على غيرى •

هكذا •• كتب جلال العشرى دراسته هذه ، ولم يكن قد التقى بى ، ولم تكن تربطنى به أدنى صلة ، وكان فيها شديد الحماس أيضا ، لعملى الجديد ، مدركا لأهمية ظاهرة كتاب الستينيات وتبلورها ، وثرائها •

لم يكن هذا موقف جلال العشرى منى فقط ، ولكنه تكرر مع سائر الأعمال الابداعية الهامة •

وعندما أغلقت مجلة الفكر المعاصر ، استمر فى ابداعه النقدى وان ضاقت المنابر المتاحة ، وترجم الى اللغة العربية عددا هاما من النصوص الأدبية ، والنقدية •

كان جلال يعمل لخدمة هذه البديهية التى أوشكت ان تطمس فى ظل واقع قاس ، بدهية الثقافة ، ويخدمها بكل السبل •

واذ أراه بعينى ذاكرتى الآن ، يطالعنى وجهه الأخوى ، النبيل ، الطيب ، وعيناه اللتان لم ينل المرض من بريقهما • كان المرض واضحا عليه فى العامين الأخيرين ، ولكن فى عينيه أيضا لم يكن يغيب عن الناظر ذلك الحزن ، الحزن الشفيف ، ولا أظنه كان حزنا خاصا ، انما كان حزنا أعم وأشمل ، حزن على ما نال حياتنا الثقافية ، وقيمة الثقافة بشكل عام ، تلك القيمة التى عاش من أجلها جلال العشرى ، ومن أجلها أيضا رحل •

اننى أرى وجهه ماثلا أمامى ، أو تمسنى أطياف صوته فى الهاتف ، صوته الهادىء ، الرقيــق ، لــكننى بينى وبين نفسى أرفض تصديق ان هذا الوجه قد غاب الى أبد ، فهناك أشخاص عرفناهم ، من الصعب الإقتناع بغيابهم الأبــدى ، وجلال العشرى واحد منهم .

obeikandl.com

حصاد الخليب .. محاولة فى رثاء صديق

خيرى شلبى

لم يكن قرارى قد استقر بعد ، على أن أكتب مقالا فى رثاء جلال العشرى . النفس كانت مصدودة عن هذا الأمر بالذات ، بل اننى قبل رحيل زميل العمر عن هذه الدنيا بدقائق كنت قد قررت بينى وبين نفسى ـ قرارا لا رجعة فيه ـ ألا أكتب أى رثاء ، فالواقع اننى قد تعبت من الرثاء، ومللت ، أو قل انهزمت .. ذلك أن ايقاع الموت كان ولا يزال أسرع من قدرتى على الحزن .

فيما مضى كان الرهق من الرثاء يخلخل حالتى النفسية ويمزق الكثير الكثير من أنسجتها المعطوبة من حالها . فتهاجمنى جحافل الكآبة الطامية كليل الشتاء العاجل المكروب ، لكننى فى النهاية كنت أجد لذة كبرى فى مناهضة الكآبة ولو باضاءة شمعة ومدفأة ، بالجناح فى كتابة الرثاء على خير صورة ممكنة . صحيح أن الرهق فى ليالى الرثاء كان يصل الى حد الرهك ، فالرثاء دائما أبدا كربان ، كحارس المساجين ، مفاجىء كالموت ويقتضيك أن تترك ما

فى يدك وتنسلخ من كل ما ارتبطت به من مسئوليات عاجلة، لتقوم فى الحال تنفض رفوف مكتبتك ـ وقد تزعج الأصدقاء بهاتف فى الهزيع الأخير من الليل ـ بحثا عن كتب للفقيد وربما قصاصات صحف ، لتعيد التقليب فيها تستقرىء خافى المعانى بين ظاهر السطور ، وتريد الوصول الى حقيقة لب الأشياء ، لتقول الكلمة الصحيحة التى ربما لم تقلها فى حياته ، وبكيفية تليق بحساسية المناسبة وجلالها ، بحيث لا تمنعك قدسية الموت من قول الحقيقة المنصفة ، وفى نفس الوقت لا توقعك فى مأزق التورط بقول أشياء كان يمكنه الدفاع عنها لو كان حيا ، حتى ولو كانت خاصة بمجال الرأى وصحته من عدمها ، أو مجال القيمة ووزنها من خفتها ، أو مجال المواقف الشخصية وشجاعتها من خستها ·· ناهيك عما يمكن أن تتكبده انت أيضا من مواجيد نفسية وجهاد مضن كى تستطيع ضبط نفسك على هذه الحالة من التجرد النزيه والصدق المطلق بما يليق بقدسية القلم وشرف الكلمة المكتوبة ·

صحيح كل هذا ولكن ما أمتع أن تجد نفسك قد نجحت فى الوصول بنفسك الى هذه الحالة الطيبة ·· فحلاوة الانسانية ليست فى كمونها فى نفوس البشر انما في صحوتها الدائمة واشتعالها المتوقد على الدوام ، ولا يكون الانسان انسانا بحق الا حين يقترب بدرجة أو بأخرى من مثل هذه الحالة من الصفاء ، حيث يشعر الانسان كأنه بنفسه يتكشف نفسه ويضع يده عليها ربما لأول مرة ، اذ هو الانسان المجرد الذى لا تحكمه مصلحة شخصية ولا تؤثر فيه اساءة ولا تمتطيه الاحن والاحقاد ، كل ذلك مهما كان قويا غائرا فى النفس يؤوب الى صغائر أجدر بها صفائح القمامة ، أو الى مخلفات يرتحضها الجسد ويغتسل منها ·

صحيح هذا كل الصحة ! والأصح منه أن لحظات الرثاء هذه سرعان ما تتحول الى الضفاف المقابلة لتصير العكس تماما ، تصير لحظة أنس بكل معنى الكلمة ، مليئة بالدفء والحرارة والحب والنورانية وزهزهة القلوب وطرح العقول أنضج الثمار !! تتداعى الازمنة وتترادف الذكريات وتتعدد المرايا : كل الراحلين فى حضور حى ، انبعثوا من رفوف الوجدان ودواليب العقل ومن شوارعه الخلفية • هم فى الواقع حاضرون من الأساس ولكن فى غيبة مؤقتة كأبطال صور الخيالة قد لا تشعر باختفائهم فى بعض المشاهد ربما ليقينك من حضورهم القوى وربما لانك فى توقع دائم لظهورهم فى المشهد التالى مباشرة وكلما طال غيابهم ازداد توقعك لذة وحيوية واثارة • غير ان لحظة الرثاء فى وجدان بلادنا ـ ما أعظمها وأحلاها حضارة ـ حفل بهيج كبير وسمير ، لا بد ان يقهر الموت ويكيد له كيدا ، اذ يسرع فى الحال بنزع سمه من عروق الملدوغين بنابه المنسرب فى وضح النهار •

وهكذا كم صحت فى حياتنا قيم قمم عظيمة بمجرد موت أصحابها ، وكم استيقظت أرواح دب الفناء فى أجسادها . وكم وكم وكم ، هل أقول ان معظم الموهوبين الأصلاء فى بلادنا صحوا بالفعل يوم موتهم •الجسدى !! ان الأمثلة أكثر وأغرز من أن نضربها بواحد منها • أفضيلة هى فينا أم رذيلة !! أيا ما كان الأمر فانها أصيلة فينا ، وهى ان دلت على شىء فلربما كان من بين ما تدل عليه صفة النيل العظيم فى مواجهتنا للموت • فنحن كعرب مصريين ـ أو قل كمصريين عرب ـ حين قهرنا الموت الجسدى حتى ونحن نبلغ شأوا عاليا من الحضارة الانسانية والتقدم المدنى والتقنى فى عصور مبكرة ، وحدد لنا حتمية النهاية التى لا مفر منها

ولا مهرب على الاطلاق ، حولناه الى معنى ، ليسهل علينا مناهضته بالمعانى المعاكسة للغياب ، بحيث يفنى الجسد ويبقى ذكر الانسان ، يغيب الفرد ويبقى حضوره قائما ، ليس فى مجرد نقوش على الحائط أو جدران المقابر أو صحائف الكتب ، بل فى عقول الآخرين ووجداناتهم وسلوكاتهم وفى مجريات أمور الحياة بوجه عام • وفى أمثالنا الدارجة : الجسم يفنى والاسم لا يفنى • وقد باتت شدة رعبنا من الموت الخاطف الماكر تعلن فى نفوسنا حالات الطوارىء القصوى ، فنتأهب فى الحال لبعث الغائب من جديد يبدأ بزفة عظمى تشيع الروح الى مثواها الأخير على طبول القرآن الكريم العميقة البهجة ان : يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية ، فان مر الموكب على جالس نهض واقفا فى الحال شاهرا أصبعه بالوداع مرسلا تمتعة النقوط الى هودج العريس المنعتق من اسار الدنيا الدنيئة متمنيا لنفسه أن يكون من لاحقيه يتطهر من أدران الحياة وأوحالها وأوجاعها القذرة المؤلمة يخرج من الظلام الى النور فالناس نيام اذا ماتوا انتبهوا •

وانه لصحيح كذلك أن الانسان يفيق بعد هذا المهرجان على حقيقة الغياب ، المرة والمر ، ولكن الخشية من قضاء الله رادعة وحاسمة ، وحكيمة وملجمة ، فهى الحقيقة الوحيدة الناصعة وليس للشك من منفذ فيها كما ليس للقهر ثمة من سبيل • فكل ما هو ضد ارادة الانسان قد يقهرنا بقوة وعنف ، ولكن كل ما هو من ارادة الله علينا أن نتقبله فى ارتياح وأريحيه بقبول حسن •

وأشهد اننى فى السنين الأخيرة قد عشت الكثير الكثير من مثل هاته اللحظات لحظات الأنس المرير ، أو لحظات المرارة المؤتنسة ، نعمت فيها بصحوة الراحلين قدر نكبتى

برحيلهم • ولكن ما حيلتى وايقاع الموت قد بدأ يسرع ويشتد ويعنف ، ويصر على أن يطعننى فى الصميم ، ويبدو انه قد بدأ يسكننى ، ويتخذ محله المختار من حى المبدعين ، ثم يختطف رفقاء العمر وهم يتأهبون للوقوف على أعتاب العطاء الانسانى الحقيقى ، أن يعقد اتفاق مبرم سلفا بين مريض ومرضه ، أو بغدر حادثة تافهة لم تكن فى الحسبان بل لا ترقى أن تكون فيه : ضياء الشرقاوى ، يحيى الطاهر عبد الله ، أمل دنقل ، عبد الرحيم منصور ، محمود حجازى الممثل ، حامد الاطمس ، فاروق لطيف ، أحمد ابراهيم شاعر أسيوط ، على قنديل شاعر كفر الشيخ ، نبيل السلمى رسام الكاريكاتير •• كل هؤلاء وغيرهم أصدقاء أعزاء اختطفهم الموت وهم فى عمر الزهور ، ناهيك عن سلسلة من العمالقة الافذاذ كان فراقهم صعبا غاية الصعوبة على النفس ، كلهم فى خيط واحد كعقد من عقود ضوء الفرح لاتنى لمباته تنطفىء واحدة وراء الأخرى ، حتى بت لا يكاد يكون لى عمل سوى الرثاء فالرثاء ثم الرثاء ، وبات العمر مرثية تبدو بلا نهاية وبات ليل الكآبة لا ينذر بفجر قريب !!

وكنت فى حفل التأبين استبطىء نهايته رغم شدة البرد فلقد كان مبهجا برغم ذلك أن تنهض كل برهة فى استقبال وفود جدد تهل على سرادق العزاء كالاقمار كالشموس ، وجوه كثيرة كانت غائبة فانبعثت حاضرة فى التو بمجرد ظهور طيفها المقبل كأنها لم تغب عنك برهة واحدة ، ووجوه أخرى كانت حاضرة معك على الدوام ولكن لوجودها الآن حضور آخر أشد روعة ومصداقية ، وصوت القرآن من سرادقنا وسرادق مجاور يمسح على وجوهنا عرق الدموع الساخنة ويحتوى صوت النحيب المنفلت كلما احتكت سحب العواطف ببعضها فارعدت وطقت شرارا وبرقا • وكنت أود لو بقى

صوت الفقيه مرسلا غيثه حتى لا أرى منظر انصراف الوفود، فكل وفد ينصرف يسحب معه قبضة من جهد قلبى وانبساطة من صفحة وجهى وبرزت فى الأفق ظلال الكآبة الثقيلة ، حتى اذا خلا السرادق الا من أصحاب الرفقة ثقل حمل المحنة بعد انصراف من كانوا يشاركوننا حملها ·

لحظتها مال محمد بركات هامسا فى أذنى بصوته الجهورى الذى لا معنى للهمس معه :

ـ عندى بعض آراء للمرحوم لم يسبق نشرها ! أرجو أن أتمكن من تقديمها الليلة بمقال للمجلة ·

وجدتنى أقول فى تلقائية :

ـ أنا شخصيا لم أعد قادرا على كتابة أى رثاء جديد ! نفسى طابت وتهرأت من فرط معاناة الرثاء ·

وكان سامى السلامونى واقفا يدخن فى شراهة عميقة وقد أوقعه الحزن فى بلاهة مندهلة خرساء ، يزر عينيه مدققا فى كل طيف قادم غير مبال بالمنظار المشبوك فى جيب سترته ، فانفجر قائلا بعصبيته المليئة بغضب سرمدى :

ـ لا بد لكل منا أن يكتب ورجله فوق رقبته ! لو كنا فى مجلة أخرى لقدمت عددا خاصا يسجل آثار فقيد عزيز من أبنائها المخلصين للكتابة والعمل !

ورغم شدة اقتناعى بكلامه كنت أشعر أن ليس فى مقدورى كتابة كلمة واحدة · وكنا قد وقفنا لتوديع محمد جلال ـ رئيس تحريرنا ـ وسمير سرحان · وأطبق محمد جلال على يدى قائلا فى سخرية مريرة :

ـ أصبحنا نوجه العزاء لأنفسنا بأنفسنا !

وكانت الدموع تنتفض فى عينى سمير سرحان ـ أما رجاء النقاش فقد كان متماسك الأعصاب بقوة يحسد عليها، وحينما انهار فتحى العشرى على صدره باكيا معولا استطاع ان يحتويه ويهدىء من روعه ، فلما انصرف المعزون قام ودخل السرادق وتربع كالعمدة بين أولاده ، وأخوته كأنه يبدأ النظر فى شئونهم بعد وقوع المحنة القاسية ٠

هؤلاء هم أصدقاء جلال العشرى ورفاق عمره ٠ كنت الوحيد الذى يحس بالتقصير تجاهه أثناء اشتداد المرض عليه فى الشهور الأخيرة ، حيث لم يعد يظهر فى المجلة الا لماما ، وآخر مرة رأيته فيها كان من مدة شهرين أو أكثر، وفزعت من منظره ، اذ كان جلدا على عظم ، مزرق اللون كالمحروق ٠ تأسيت له ولكل جيلنا المنكوب بالموت ومن قبله التجاهل التام ، وظل منظره ماثلا فى عينى لا يريم ، الى أن فوجئت فى صبيحة يوم كئيب بخبر معلق على لوحة اعلانات مجلة الاذاعة ينعى الينا موت جلال العشرى ، فما كادت الغصة تسرى فى بقية العروق حتى جىء بخبر جديد يصحح الخبر السابق يفيد بأن جلال فى غيبوبة فقط ٠ فحط علينا هدوء خرافى يشبه الراحة ولكنه مسكون بالقلق والترقب والانقباض ٠ بعدها انصرفت الى بعض شأنى ، حيث وجدت راحتى فى السنوات الأخيرة فى مكان أكتب وأقرأ فيه تحوطه مقابر الدراسة وصلاح سالم من جميع الجهات ٠ وكنت أشعر أن الغيبوبة التى يمر بها جلال العشرى فوق سرير المستشفى هى غيبوبة النهاية ، وانه كان على أن أكون بجواره فى تلك اللحظة ، فحاولت التماس العزاء لنفسى لاننى أصبحت قليل الحركة مثقلا بالأعباء والهموم ، غير أن هذا العزاء لم ينجح فى تطييب الشعور بالتقصير ، وعندما هبط المساء شعرت بزحف الانقباض يعصر قلبى ويرقرق الدموع فى عينى

ويخلخل أعصابى ، فعزوت ذلك الى شعورى المفرط بالتقصير ، ولم أكن أعلم أن زملائى فى مجلة الاذاعة فى هذه اللحظة على وجه التحديد يقومون الآن بدفن جثمان جلال العشرى على مرمى حجر من المكان الذى أجلس فيه ، وان حضورهم جميعا كان ماثلا أمامى كظل الصورة الفوتوغرافية قبل تحميضها واتضاح معالمها • كنت أكاد أرى حبشى محمود يحمل النعش من المسجد القريب الى المقبرة المجاورة ، ومحمد جابر وهو ينزل مع الجثمان الى المقبرة ليسجيه فى مستقره الأخير ويريحه ويفك عنه الاربطة بشجاعة ورباطة جأش يحسد عليهما ، والزملاء الأربعة عشر الذين خفوا الى المستشفى لحظة ورود النعى فتولوا بأنفسهم تغسيل الجثمان وتكفينه واصطحابه الى دار الأبد •

فى صبيحة اليوم التالى لم أكن قد علمت بالخبر ، ودهمنى نوع الرهق النفسى فلم أتيقظ الا فى النصف الثانى من النهار • وكان على أن أنجز ما لم أستطع انجازه بالأمس لسوء حالتى النفسية ، أن أكتب شيئا أنتظر أجره البخس لكى يتبلغ به العيال ـ ألم أقل اننا جيل منحوس مقضى عليه بالكدح المضنى الى آخر الزمن ؟! ما كدت أستقر فى مجلسى حتى جاء صديق يزورنى لم أكن رأيته منذ مدة ، فلاحظ أننى على غير ما يرام ، فسألنى الأسباب ، فحكيت له خبر الأمس وتكذيبه بغيبوبة جلال ، فاذا به يقول ببساطة : لقد مات بالفعل : قلت منتفضا : مات ؟! قال : الخبر منشور فى جريدة الأهرام : فقمت من فورى أدور حول نفسى من فرط الحيرة لا أعرف كيف أتصرف ، فلعله من طريف التناقضات اننى وجلال العشرى لم يكن أحدنا يعرف بيت الآخر • وخطر لى أن أتصل هاتفيا بسامى السلامونى فى منزله بمدينة نصر • انطلقت أجرى بين مقابر الدراسة بحثا عن هاتف

عمومى الى أن وجدته فى محل بقالة ، فلما جاءنى صوت سامى السلامونى بقراره الخشن المتثاقل وجدتنى أقول له : دا جلال مات يا سامى والخبر منشور فى الجرايد ! فبرود شديد اذا به يقول : يعنى أيه ؟! قلت : حنعمل ايه ؟! فاذا به يقول : لقد دفناه بالأمس ، ثم انهال يصب على جام غضبه وسيل شتائمه التى لا تنقطع كلما رآنى أو سمعنى ــ ادعو الله الا تنقطع ــ وكنت أشعر ان شتائمه فى هذه اللحظة فقط لها ما يبررها • وتواعدنا على اللقاء فى سرادق العزاء •

ومرت الأيام ثقيلة خاوية ، كنت متوهما خلالها اننى قد استرحت بعض الوقت من الكتابة الأسبوعية ريثما تنتهى دراسة عبد الحميد الديب ولم أكن أفطن الى أننى قد سلمت الحلقة الأخيرة منها ، وان موعد تسليم مقال جديد قد حان، وان هذا المقال الجديد لا بد أن يكون فى رثاء رفيق العمر جلال العشرى ، الذى تبدأ علاقتى الحميمة به منذ أول عدد صدر من المأسوف على شبابها مجلة الفكر المعاصر وكان مديرا لتحريرها وكان أيامها شابا حدثا وكان كفئا لموقعه، وكان يكتب النقد والدراسة الأدبية وكان من مفاخر جيلنا ، حتى تخصص فى مراحل نضجه فى كتابة النقد المسرحى ليصبح من ألمع نقاده المبرزين ويثرى المكتبة العربية بمجموعة كبيرة من كتبه •

وبالأمس الأحد كان من المفروض أن أكون انتهيت من تحديد الموضوع الذى سأكتب فيه ، لاضعه واحدد هيكله يوم الاثنين ، وأكتب صياغته النهائية مساء الثلاثاء لاسلمه صبيحة الأربعاء • لكننى لم أكن قد عرفت فيم سأكتب • ووجدتنى أقول لزميلى مصطفى مجاهد :

ــ ان جلال العشرى لا يريد أن يسلس قياده لى وحتى الآن لا أعرف أن كنت سأكتب عنه أم لا ؟!

فقال بلهجته الاريحية التى تعمد دائما الى تسهيل الأمور وتبسيط عقدها وتطييب خواطرها :

ـ سيجيء حتما ! أمامك يومان كاملان ! لنجعلهما ثلاثة من أجل خاطر جلال !

غير اننى بينى وبين نفسى كنت قد توصلت الى ما يشبه الاقتناع بأنه لن يجيء ، واننى لن أكتب عنه ، لأسباب شديدة الأهمية ، على رأسها انتى طالما اختلفت مع جلال العشرى ، بل لست أذكرنى الا مختلفا معه فى معظم آرائه واتجاهاته وتعبيراته المصكوكة أحيانا • غير انه اختلاف الأصدقاء الأحباء ، الذين لا يفسد الخلاف فى الرأى قضية الود بينهم • واننى لاشهد بكل ضمير مستريح ان جلال العشرى ظل طول عمره محبا لكل الذين اختلفئوا معه فى الرأى ، حتى أولئك الذين كانوا يتعرضون لقسوة نقده ويقابلونه بالهجوم الكاسح كان يلقاهم باسما هادىء الاعصاب ولست أذكر اننى سمعته منفعلا أو صائحا بأى غضب • كل هذا صحيح ، ولكن كيف سأكتب عنه دون أن أتعرض لبعض هذه الآراء التى اختلفت معه حولها اختلافا جذريا ؟ اننى لن استطيع تجنب الخوض فى مسائل كان يمكنه الرد عليها فى حياته •

وهكذا قررت تأجيل الكتابة الى وقت آخر فى ظروف نفسية أنسب للموضوعية ، حتى تكون نفسيتى قد تخلصت من شوائب الحنق الذى كانت تثيره فى نفسى آراؤه أو بعض سلوكاته تجاهى •• باختصار حتى أتمكن من الامساك بلحظة الصفاء الحبيبة المرجوة التى تنسينى كل أدران العلاقات الشخصية التى تعكر صفو البشر • وبالفعل قررارى وحددت موضوعا آخر وبدأت أقرأ فيه استعدادا لكتابته •

وبالأمس ، مساء الأحد كنت مضطجعا فى الحجرة وحدى أقرأ فى رواية شديدة الامتاع والأهمية للكاتب المغربى الطاهر ابن جلون : « ليلة القدر » التى ترجمها فتحى العشرى ، غير اننى كنت أقرأها فى ترجمة أخرى لمترجم مغربى ٠٠ وكانت الساعة قد جاوزت الرابعة والنصف صباحا حين هدنى التعب فارتخت أطرافى وانسدلت جفونى فى غفوة شديدة وان كانت شديدة القصر ٠ فاذا بى أرانى فى حجرة ذات طابع عزوبى كادح وجميل فى نفس الوقت تشبه الى حد كبير حجرة الشاعر أحمد فؤاد نجم فى حى الغورية ، غير أنها لحظتئذ كانت تخص ـ فيما بدا لى ـ

شاعرا آخر هو صديقى فاروق جويدة مع أننى فى الواقع لم أشرف بزيارة فاروق فى بيت له أبدا وكان من الواضح أيضا اننا انتهينا لتونا من سهرة حميمة طرحنا فيها على بساط المناقشة والبحث أكثر من قضية مهمة وأكثر من موضوع حميم حول الفن والأدب والمحيطات والمغريات ، والأهداف والرسالات ٠٠ الخ ٠ وكان المشهد الذى تفتح انتباهى عليه هو اننى ممسك بورق جرنان قديم تكور حول فضلات لا شك أننا استهلكناها فى سهرتنا وكنت أهم بفتح باب الحجرة لارمى بكرة الفضلات فى صفيحة للقمامة موضوعة لا شك على بسطة السلم ٠ غير اننى فوجئت بى فى مشهد تال مباشرة وقد وقفت فى فتحة باب آخر فى وسط الحجرة ـ تماما كما فى حجرة نجم ـ وكان يبدو على اننى قد ألقيت بكرة القمامة منذ برهة وان كنت لا أذكر تفاصيل ذلك وفجأة رأيت جلال العشرى بلحمه ودمه واقفا قبالتى فى فتحة هذا الباب ، وكان يبدو كأنه قادم من الحجرة الملحقة بهذه الحجرة بواسطة هذا الباب ، وكان فى كامل صحته بلونه لون النحاس الأحمر ، وعينيه السوداوين المتطلعتين

فى وداعة وحذر ، وشفتيه الرفيعتين المضمومتين على ابتسامة خجلى ، يرتدى بذلة كاملة فى لون الخوخ ، برباط عنق وردى اللون ، وصديرى من الصوف المشغول باليد فى لون النبيذ ، ويطرح على ذراعه معطفا من الجبردين فى لون الكريم بدرجة أغمق ـ وبدا على كأننى أعرف انه مسافر ، فمددت يدى لاسلم عليه ، فعانقنى ، فقبلته على خديه ، وشددت على يده بحرارة والمعطف يهتز بعنف فوق ذراعه دون أن يقع ، وقلت له : مع السلامة يا جلال • فمضى نحو الباب ، ومضيت نحو المجهول فى فراغ الحجرة الجانبية ، التى ظهر ان لها نافذة صغيرة كبرواز الصورة ، يطل من خلفها سلم بدائى صاعد الى أعلى ••

وكانت الفرحة المبهجة تشى بخوف غامض فى أعماقى وكل شىء بدأ يتراقص فى دماغى تحت وطأة ثقل مفاجىء فاذا بى أصحو فزعا لأجد الوسادة الصغيرة قد اختلت فوقعت راسى • فتحت عينى عن آخرهما ، نظرت فى الساعة فرأيت العقرب لم يمض أكثر من خمس دقائق ، وليس ثمة من أثر للنوم فى الحجرة فبقيت ساهرا حتى هذه اللحظة من مساء الاثنين • وكان القلق يزلزلنى بمخاوف مبهمة ، فحكيت الحلم لصديقى وملهمى عم أحمد حماد بائع السمك فى مزلقان منشية ناصر • فشوح بذراعيه فى حماس فرح ، وتبسم قائلا : صافى يالبن ، ثم راح يستحثنى كى أمسك بالقلم ، وأغمسه فى صفاء اللبن •

لا يستطيع الموت ..

فريدة النقاش

تميز جلال العشرى بمتابعته الدؤوبة لمعظم ـ أو كل ـ ما كانت تنتجه المطابع العربية كما انه تابع بنفس الدأب غالبية العروض المسرحية التى شهدتها مصر خلال الربع قرن الأخير ولأنه كان يتعامل بانتظام مع عدد من المنابر خاصة فى الاذاعةوالتليفزيون فقد استطاع بذلك أن يقدم عددا لا يستهان به من الكتاب والممثلين كناقد محترم لم يتوقف أبدا عن الكتابة ، وبذلك تكون الخسارة بموته كبيرة حيث سيترك فراغا لن يكون بوسع أحد أن يملؤه بسهولة كذلك تميز جلال العشرى بأنه كان ملما ومتابعا للتيارات الفكرية والثقافية فى الساحة العالمية ورغم أنه لم يقدم ترجمات كثيرة الا أن هذا الالمام الواسع انعكس بصورة واضحة فى معظم ما كان يكتبه وهذه فضيلة لم تتوفر دائما لكثيرين ممن تصدوا لمتابعة الحياة الثقافية فى مصر والوطن العربى والعالم .. ولكونه تلميذا للدكتور زكى نجيب محمود فقد عرف أيضا الكثير عما يجرى فى ساحة الفلسفة ونستطيع ان

نقول دون مبالغة أن المرحوم جلال العشرى كان ذلك النوع من المثقف الموسوعى الذى لا يتكرر كثيرا ..

وقد اختلفت كثيرا مع الصديق الراحل جلال العشرى فى تقييمه لبعض الأعمال الفنية ورؤيته لوظيفة الفن التى كنت أرى أنه يفصل الجمالى فيها عن الاجتماعى فصلا تعسفيا ويكاد أن يقدم نظرة (تقنية) خالصة للعمل الفنى ولكن هذا الخلاف الذى امتد طويلا لم يؤد أبدا الى فتور صداقتنا رغم اننا لم نكن نلتقى كثيرا فهو انسان طيب القلب يتمتع بخلق جميل من ذلك النوع الذى لا تفقد علاقاته بالناس خلافه الجذرى معهم .

الناقد الخلاق .. والانسان النبيل .. وداعا

عبد العال الحمامصى

ان دور جلال العشرى فى حياتنا الثقافية لا يمكن تقديره . فقد ظل منذ مجيئه فى أواخر الخمسينات مهموما بقضايا الثقافة فى مصر ومتابعا لكل الابداعات عند كل الأجيال على ضوء الشعار الذى ابتدعه «الأصالة والمعاصرة» .

ولم يترك دورا ابداعيا لأحد بدون أن يبرزه ويقننه، وبجانب عشرات الكتب الفكرية والنقدية والتنظيرية التى ألفها ترجم بعض عيون المسرحيات العالمية وقدم لنا رموز الأدب فى العالم وأحدث التيارات الأدبية . وكنت تقرأ له نقده فتشعر ان النقد عنده يتحول الى خلق أمام قدرة الاكتشاف وتوهج التعبير .. عرفته منذ بداية مسيرته التى التقت بخطوات مسيرتى فى درب الأدب . وتصادقنا وتقاسمنا خبز الوطن وملحه وفراحه وهمه واذا مرت أيام بدون أن نلتقى كان يوافينا عبر الأسلاك صوته . كانت ثقافة مصر همه الأوحد الى أن غاب صوته وانقض عليه نبأ موته .. يرحمك الله جلال ، ومثواك قلوب مازال عطر ودادك يفعمها .. يرحمك الله أيها الناقد الخلاق والانسان النبيل .. يرحمك الله ويتولانا أيضا .

جلال العشرى ٠٠ وحركة النقد المسرحى

فتحى سلامة

عندما كلف جلال العشرى ، عضو شعبة الآداب بالمجالس القومية المتخصصة بعمل دراسة عن المقال الأدبى ، أشفقت عليه ، لأنه كان قد اتجه الى نقد الحركة المسرحية وتخصص فيها ، ولكنى فوجئت بتقديمه لدراسة شاملة كاملة عن المقال الأدبى ، نالت اعجاب كل أعضاء الشعبة وهم من الأساتذة المتخصصين فى الدراسات الأدبية ، وأثنى رئيس الشعبة الدكتور مهدى علام بالدراسة التى تقدم بها جلال العشرى، وقال عنها الدكتور شوقى ضيف انها أشمل دراسة وأفضل دراسة عن المقال الأدبى ، وقدمت الدراسة بعد ذلك باسم الشعبة دون ملاحظات ، وشهدت هذا بنفسى ، وتأكد عندى مدى الجدية الصحية التى كان يتحلى بها جلال العشرى تلك الجدية التى أفادت المسرح والحركة المسرحية ، التى ساهم بها جلال العشرى فى انهاض حركة النقد المسرحى وأخرجته من (خواطر صحفية) الى دراسات نقدية تنشر فى الصحف ولهذا اعتقد ان النقد المسرحى ، وبالذات المنشور فى الصحافة ، مدين لمجهودات جلال العشرى ولدراساته التى تخطت به حاجز (الخاطر والانطباع) الى مجال الدراسة الصحيفة التى تساعد المسرح ولا تعرقله ، وتطوره ولا تقيده ٠٠ ولهذا سوف تظل دراسات جلال العشرى فى المسرح أساسا لنهضة حركة النقد المسرحى ٠

جلسة وفاء

د٠ عبد اللطيف عبد الحليم

لم أكتب بعد في حياتى كلمات مثل هذه ، لها من القسوة والتردد مثل ما لهذه الكلمات ، وذلك أنى لم أفق بعد مما أنا فيه ٠

قبل سفرى بأيام قلائل جلست مع شقيقى جلال جلسة طويلة ، وكأنما كنا نودع بعضنا بعضا ، ونحن لا ندرى ، بل كنا نتحدث عن مشروعات الغد وعن كيف نحتفل بالعقاد، ونرتب الأمور ، ويكتب بعضنا اقتراحات ، وكان جلال كالعهد به أحفلنا بالنشاط ، والاقتراح ، ينقد ما سبق ، ويحاول تلافى ما يمكن ، كما كان يحاول أيضا أن يخفى سانحة ألم تلم به ، جاء فى الصباح الى منزل العقاد مجهدا ، واذا به بعد قليل يكون أشدنا حيوية ، وعناقا لكل شىء فى الوجود ٠ وانصرفنا بعد الغداء ، وألح على جلال أن أصحبه الى داره أكمل اليوم معه ، ولكن الوقت كان قد أزف لاعداد أمـور السفر التى لا ترحم . وليتنى ما سافرت ، ولا اعتذرت بل ذهبت اليه فى داره :

فان لا يكن الا تعلل ساعة

قليلا ، فانى نافع لى قليلها

وما كنت أدرى وأنا أودعـه أننى أتركه الى الأبـد ، ويتركنا لما نحن فيه من سفاسف الحياة !

فجيعتنا فى من نحب ، بديلها

فجيعتهم فينا ، ومن يبق يغبن

كان جلال ـ وما أقسى زمن هذا الفعل ـ رفيق حياة منذ أكثر من ربع قرن ، لم ار فيه الا ما يسعد الصديق ، رقة قلب ، ودماثة خلق ، وحبا للحقيقة ، وما كنا الا شقيقين بكل ما تحمله الكلمة من معانى النبل والفداء ، وما كان يناديني الا بهذا اللقب ، وما كنت أناديه الا به ، وكان نعم الرفيق فى رحلات خارج القاهرة ، وخاصة فى أسوان ، وفى مارس الماضى قضينا بضعة أيام معا ، كان فيها المحاضر ، والمعلق ، والمناقش دون توان ، وان كان الألم يساوره أحيانا ، لأنه كان أكبر من الألم ٠

لست أدرى هل أنا أكتب معزيا ، أم أنا ـ فى أنانية ـ أعزى نفسى ، متذرعا بالكتابة ، مفضيا بهمومى ، لكنى أدرى ـ على كل حال ـ أن فجيعتى فى جلال هى فجيعة الأخ الشقيق ، أغالب الحزن والدمع فيغلب ولست بمستطيع رثاءه شعرا حتى الآن ، لأننى لا أستطيع أن أصدق أن جلال فارقنا والى الأبد ، بل هو فى رحلة من رحلاته وسيعود الينا ، كانت لنا هموم ثقافية كثيرة قطعها الرحيل ، وغدا الأوداء يرحلون . ونحن نعلك الأحزان والهموم وحدنا ، فما أشد قسوة الأيام بنا !! تمضى علينا ، ثم تمضى بنا !!

ويك أيها الموت ان جلال بات وان رحل ، فما أهون ما أخذته وما أنفس ما أبقيت فى نفوس محبيه وعقول قرائه !!

لكن الحزن يعتصرنى على ابنتى منى وسارة ، وعلى أمهما الفضلى ، أسبل الله عليهم كل الصبر ، وعوضنا وعوض الأدب خير العوض ٠

صرخات جلال العشرى

مأمون غريب

● رحل فجأة النـاقد الأديب جلال العشرى بعد صراع طويل مع المرض ·· وان كان قد رحل بجسده فستظل كتبه علامة مضيئة فى طريق الثقافة لأنها تتناول بالدراسة والمتابعة الانتاج الفكرى العالمى والمحلى ·

وظل جلال العشرى طوال حياته عاشقا للفلسفة ·· محبا للأدب والمسرح ·· متابعا ومناقشا فى الندوات المختلفة شتى نواحى الفكر والمعرفة ·· وكان بذلك مثالا للناقـد الملتزم بقضايا وطنه وهموم عالمه ·· وكان هـذا الالتزام ينبع من داخله هو ·· من حسه الفنى ·· وضميره الأدبى ·

وجلال العشرى له أكثر من عشرين كتابا في الفكر والأدب والفن والفلسفة ·· ولعل أحب هذه الكتب الى نفسه هو كتابه (صرخات فى وجه العصر) ··

وقد قابلنى ذات يوم بعد أن أهدانى هذا الكتاب ، وفى عينيه عتاب اننى لم أعرض هذا الكتاب ·· وعندما سألته ·

ـ ولماذا هذا الكتاب بالذات ؟

وكأنه وجد فى هذا السؤال تخابثا فقال :

ـ هل باستطاعة أى انسان أن يؤلف مثل هـذا الكتاب بسهولة !!

و ·· راح يحدثنى عن مرضه الذى أصيب به فى الكبر !

و ·· ما كنت أظن انه سيرحل بهذه السرعة ·· !

ولكن قضاء الله لا مفر منه ·· أو على حد تعبير أبى العلاء المعرى :

وهل يابق الانسان من ملك ربه

فيخرج من أرض له وسماء ·· !

وجلال قدم بالفعل كل ما هو جدير بالثقافة الرفيعة · والفن العالى ·· و ·· الانسان خالد بما قدم ·· و ·· رحت اقرأ كتابه الضخم الذى جعل عنوانه (صرخات فى وجه العصر ـ وكان يرى ان هذا الكتاب عبارة عن صرخات وصيحات فى وقت واحد ·· صرخات نفى وصيحات اثبات ·· ومن النفى والاثبات يولد التطور والتغير والميلاد الجديد ·

و ·· ولنقف مع المؤلف فى آرائه ورؤياه حول أهم الشخصيات التى تركت بصماتها على حياة عالمنا المعاصر فى الفكر والفن والأدب والمسرح ·· هذا الكتاب الأثير الى نفس مؤلفه والى نفسى أيضا ·· لأنه يتناول شخصيات بارزة تعيش عصرها ·· وتتردد فى كتاباتها أصداء الحاضر ·

وكان من رأى جلال العشرى ·· اننا لكى نكون عصريين معناه قبلا أن نكون أصلاء !

ـ كيف ؟

ـ يجيب :

الأصالة والمعاصرة وجهان لحقيقة واحدة ، وثمة سببية متبادلة بين الجانبين ، فبمقدار ما نكون أصلاء نكون معاصرين ·· وليس النقص فى احدهما الا نقصا فى كليهما لأن العلاقة بينهما أشبه بعلاقة السوائل فى الأوانى المستطرقة ·· تزداد أو تنقص معا فى وقت واحد بنفس المقدار وعلى نفس المستوى ·

ولكن ما معنى الأصالة ؟

الأصالة فى رأيه هى تلك الطاقة الروحية الكامنة فى ضمير الشعب داخل الدولة أو الفرد داخل الشعب ، والتى تمكنه من معانقة أرضه واعتناق ماضيه ·· لا بمعنى الانسياق فوق تراب هذه الأرض والتعصب لهذا الماضى ·· ولكن بمعنى التمثل والاستيعاب ، واستلهام القيمة الدافعة الى التواصل والاستمرار ·

واذا كانت الأرض من ناحية هى التسكين المادى للرقعة المعاشية التى يرتكز عليها الفرد ومنها ينطلق ، لأنها الرقعة التى فيها نبت ، وفوقها ينمو ، وعلى امتدادها تكتب له الحياة ، فان الماضى من ناحية أخرى هو التوصيف الروحى لأبعاد المعنى وأغوار القيمة التى يستمد منها المواطن جوهر احساسه بالحياة ، وهاتان القيمتان معا هما جناحا المواطن على الأصالة ·· بهما يحيا ، وبدونهما لا يقوى على التحقيق ·

ولكن : هل يمكن أن يكون الانسان الا عصريا ·· أعنى هل يملك الانسان الا أن يكون عائشا عصرا بشكل أو بآخر ؟

ويجيب جلال العشرى :

فى اطار التساؤل ينبغى لنا أن نضع بين قوسين نمطين كلاهما بعيد عن التصور السليم لمعنى العصرية أو المعاصرة · احدهما هو النمط السطحى أو المسطح الذى يلقى بنفسه فى تيار الظواهر المعاصرة فلا يأخذ من العصرية سوى جانبها الشكلى لا الجوهرى والذى يتمثل فى المخترعات الآلية والمبتكرات العالمية كالآلة والصاروخ والمدنية الصناعية والسلوك العصابى وكافة وسائل الترفيه والاعلام ·

والنمط الآخر هو الزائف أو القشرى الذى يخلط بين مفهومى الجدة والعصرية ·· فينظر الى كل جديد على أنه بالضرورى عصرى وصحيح أن من الجديد ما هو عصرى ،

ولكن الصحيح أيضا ان الجديد ليس بالضرورة عصريا · والا فان الواقع يدلنا على أن الفلاح فى حقله قد يركب الجرار ويعامله معاملته للجاموسة ·· وكذلك العامل فى مصنعه قد يدير الآلة اذا تعطلت بمجموعة من التعاويذ الدينية ، فكلاهما ليس عصريا وان اعتمد على مخترعات جديدة ·· فليس المهم بالنسبة للانسان العصرى ان يملك (مخترعات) العصر ·· ولكن المهم هو فهم (روح) العصر ·· ولا يتأتى ذلك الا بأن يوضع الانسان المعاصر فى قلب عصره ، لا منعزلا عن جذوره التراثية ولكن رابطا بين الواقع والتاريخ ·

ويحدثنا جلال العشرى فى كتابه صرخات العصر ·· عن اهتمام أدباء هذا الجيل بقضية التأصيل ·· بمعنى دراسة التراث واعادة تفسيره بحثا عن قيمه الأصلية كما فعل « طه حسين » مع « المعرى » و « المتنبى » وكما فعل العقاد مع ابن الرومى و « أبى نواس » وكما فعل المازنى مع الخيام وبشار ابن برد · وكما فعل مصطفى عبد الرازق مع فلاسفة الاسلام، وكما فعل محمد مندور مع نقاد العرب القدامى ·

ويقول :

على أن قضية التأصيل هذه ، وان كانت قد استطاعت بالنسبة لأدباء الجيل الماضى أن تحل التناقض الذى بدا لهم فى ذلك الحين بين الفردية والنوعية أو بين التراث القومى والثقافات الأجنبية ·· لم نستطع أن نستوعب قضية التعصير لدى أدباء الجيل الحاضر ، أولئك الذين لا يستطيعون أن يديروا ظهورهم للأشكال الجديدة فى الأدب والفن من

(سيريالية) الى وجودية ، الى تجريدية ، الى « عبثية » الى (بنيوية) الى آخر هذه الأشكال التى أصبح لها أثرها وتأثيرها فى الثقافة الأدبية المعاصرة • وأصبح لزاما على أدباء جيل المعاصرة الذين يحاولون أن يجعلوا من أدبنا جزءا من الآداب العالمية أن يقيموا لها كل اعتبار •

و •• وما أكثر ما يمتعنا المؤلف الراحل فى كتابه •• وهو يعرض وجهة نظره فى مختلف الآراء الفكرية المعاصرة التى تركت بصماتها على الحياة •• باعتبار أن المفكر أو الأديب أو الفنان ، الذى تناولهم فى كتابه ـ كان بحق صرخة فى وجه عصره ، صرخة تمرد واحتجاج على أشياء بعينها - وفى ذات الوقت دعوة الى التجديد فى الخلق والابداع ، وكأنما يحمل فى احدى يديه قولة (لا) ويحمل فى اليد الأخرى (نعم) •• ولا يكتفى بصرخة الثورة « يسقط العالم » بل يستكملها بصيحة التعمير « أنا أبنيه أفضل مما هو الآن » •

ثم يمضى بنا في رحلة «بانورامية»مع هيجل ، وكيركيجارد ويلكه ، وابسن ، وراسل ، ويريتون ، ومالرو ، وارنست همنجواى ، يوجين أونيل ، والبير كامى ، وجارودى ، وجون ازبورن ، وكولين ويلسون ، وفرنسواز سلجان ، صول بيلو ، وآلان روب جربيه ، وأخيرا سارتر » •

لقد قدم جلال العشرى كل ما هو جدير باثراء الحركة الثقافية فى بلادنا •• وستظل هذه الأعمال بصمة ضوء لانسان عاش حياته ليقرأ ويفكر ويكتب •• و •• سنظل نذكره الى أن نلقاه •• رحمه الله •

جلال العشرى قبل الاوان

أحمد عبد الحميد

اقتحم الناقد الأدبى والفنى « جلال العشرى » حياتنا الثقافة قبل الأوان ·· اقتحمها وهو لم يزل طالبا بقسم الفلسفة بآداب القاهرة كان · وهو طالب بالجامعة · يكتب المقالات الفلسفية والأدبية والنقدية بجريدة الشعب، وأصدر وهو طالب بالجامعة كتابا هاما بعنوان حقيقة الفلسفات الاسلامية ، وترجم · فوز تخرجه · مسرحية يوجين أونيل «القرد كثيف الشعر» ·· وهذا النضج المبكر · فى تقديرى · يرجع الى موهبته الأصيلة أولا ·· والى قراءاته الغزيرة منذ الطفولة ، ثم الى تأثره بأساذين عملاقين ·· عباس محمود العقاد وجلساته الموسوعية الأسبوعية ، وزكى نجيب محمود أحد القمم الشامخة فى الفلسفة والفكر ··

وكما ينبغى أن يكون عليه الناقد ذو ثقافة موسوعية ، كأرضية تخدم تكوينه الفكرى ، كان جلال كذلك ·· وكما ينبغى أن يكون عليه الناقد من الالمام الدقيق والشامل لعلوم وتراث مجاله التخصصى ، كان جلال كذلك ·· وكما ينبغى أن يكون الناقد من وضوح فى المنهج والأسلوب حتى يكون

مقنعا جذابا كان جلال كذلك ·· كان موسوعة فلسفية وأدبية وفنية ·· فى التراثين العربى والعلمى على السواء ·

جلال العشرى كان أيضا عاشقا للحرف ·· يهتم بالبلاغة الأسلوبية ، وبموسيقى الكلمات ، بل وأحيانا يتمادى فى ذلك فيتلاعب بالمرادفات الخيال اللفظى وبجرس اللفظ وايقاع العبارة ·· ومن الطريف انه دخل مدرسة « تحسين الخطوط » حتى يكون شكل ما يكتبه جميلا مثل عباراته ودخل جماعات الخطابة ، حتى تكون مخارج الألفاظ، وفنون الالقاء طوع لسانه وبيانه ·· فكنت · أنا شخصيا · أحب أن أجلس بين جمهور الندوات ·· لأستمع اليه ·

ورغم أن انتاجه كان غزيرا ·· بين مؤلف ومترجم · ويصل عدد كتبه المنشورة ثلاثة وعشرين ، بخلاف ثلاث كتب تحت الطبع ·· فانى · مع ذلك · أشعر أن جلال رحل عنا قبل الأوان ·· استغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله ·

صديقى ٠٠ جلال العشرى ٠

أحمد فريد محمود

و ٠٠ رحل جلال العشرى ٠ رحل فيلسوف الغد كما كان يحلو لكاتبنا العظيم عباس محمود العقاد أن يناديه ٠

رحل عنا بعد ان كادت شمس القمة تستقر فوق أحرف كلماته الصادقة العميقة ٠

لقد كان جلال العشرى متأصلا فى أصالته ومتعمقا فى معاصرته لكل التيارات الثقافية التى أطاحت به ٠

كان صادقا مع نفسه للدرجة التى مكنته من ـ اسقاط الأقنعة ـ من فوق الأغلفة الزائفة ٠٠ كان يلهث وراء الكلمة بدأب مخلص ، وما أن يتمكن من نواصيها حتى يغوص فى أعماق معانيها ـ صارخا فى وجه العصر ـ متغلغلا فى أغوار النفس البشرية ، حتى انه جعل من الضحك ـ فلسفة وفن ـ واستطاع بجدارة ملموسة أن ينتهج لنفسه منهجا ورديا فى شغف واصرار ، مجترا عذابات الفكر من حوله ومنشدا ـ ثقافته التى بلا دموع ـ ولهذا كان بحق ـ

شاهدا على عصره ــ رحل جلال العشرى ·· الصديق الصدوق ·· والناقد الموضوعى ·· والمفكر المبدع ·

رحل صامتا فى هدوء وكأنه أبى على نفسه بألا يشغل الآخرين برحيله حتى تظل كلماته المضيئة تتابع مسيرة الفكر ــ جيلا وراء جيل ــ ·

- يا صديقى جلال العشرى ·· وان كنت رحلت عن عالمنا بجسدك فأنك ستظل دوما نبضة متوهجة فى دنيا الفكر والثقافة ·· نبضة حقيقية حيـة فى عقـول ــ القمم العربية ــ نبضة لا تموت أبدا ·

- يا صديقى جلال العشرى ·· حقا انك ناديت بثقـافة بلا دموع ·· ولكن هل علمت بأن مدامعنا لن تجف من أجلك ·· فا اللهم الهمنا الصبر ·

النقد التطبيقى ٠٠ الى أين ؟

د٠ أحمد العشرى

عندما طلب منى جلال العشرى آن أشارك فى مناقشة كتابه النقدى الأخير « المسرح ٠٠ وجه وقناع » كانت مفاجأة بالنسبة لى اذ كنت أنظر اليه دوما على انه بمثابة أستاذ لى وقف بجانبى عند دخولى المعهد العالى للفنون المسرحية قسم النقد ودوما كان يشجعنى بعد تخرجى وحصولى على الدكتوراه ٠

ومثار الدهشة أن يقف التلميذ ليناقش أستاذه الذى يمارس نفس المهنة قبله بسنوات وسنوات ٠٠ ووقفت فى حيرة وكان لزاما على أن أقرأ الكتاب أكثر من مرة ٠ أقرؤه أقرأه والخوف والحرص عاملان يتحكمان فى القراءة ٠

وجاء موعد التسجيل ٠ وبتواضع العالم عرض لكتابه وجاء دورى لأنقد نقد أستاذى جلال العشرى ٠ وكانت فى الواقع مشكلة صعبة ٠ هل أعيد تلخيص الكتاب، هل أمدح؟، هل ، وهل ؟ ولكنى آثرت آن آخرج بملامح لمنهجه النقدى ٠ فقلت ان معظم دراساته النقدية فى هذا الكتاب تبدأ دوما

بمقدمة فلسفية أو تنظيرية تاريخية أو يطرح سؤالا نقديا ويجيب من خلال تحليله لعناصر العرض المسرحى ٠

هذا من ناحية ٠

ومن ناحية أخرى أكدت مقولات الكتاب انه ناقد تطبيقى يعتبر من أوائل من أرسى هذا المنهج التطبيقى فى نقدنا المسرحى العربى ٠٠ لم يسبقه أحد وان تبعه على نفس منهجه بدرجة أو بأخرى تلامذة كثر وأنا منهم ٠

والواقع ان المسئولية الملقاة على عاتق نقاد المسرح التطبيقيين منهم ، مسئولية كبيرة اذ ترك الناقد المرحوم جلال العشرى فراغا كبيرا فى مساحة النقد التطبيقى سيشعر بها المسرحيون والنقاد قريبا ٠

والمعروف ان المرحوم جلال العشرى لم يكن ناقدا فى برج عاجى بل كان فى قلب الحركة المسرحية يتابع البروفات ويساند العروض الجادة منها حتى تخرج الى النور فيكتب عنها كتابة المعايش للتجربة المسرحية من ألفها الى يائها ٠

ان أسلوب كتابته النقدية ـ ناهيك عن منهجه تتميز بالسهولة واليسر والامتناع عن التقليد فله عدة مصطلحات نقدية خاصة به وجرس لغوى ينفرد فى طرحه بسهولة ويسر ٠٠

وشخصيا أشعر بالدين فى عنقى لهذا الرجل قدرنا الله على أن أعيد قراءة ما كتبه وهو كثير لأخرج مؤصلا منهجه النقدى فى الدراسات الأكاديمية ٠٠

جلال العشرى والأدب النسائى

منى رجب

فقدت الساحة الأدبية والكاتبات المصريات بصفة خاصة واحدا من أشجع فرسانها النبلاء ·· الأديب والناقد الكبير الاستاذ جلال العشرى ·· فكرا جادا مثقفا سخر قلمه لمتابعة كتابات الأدباء من كل الأجيال ومن كافة الاتجاهات ·· وخسرت الأديبة المصرية بفقده فارسا كرس حياته للاهتمام بكتاباتها وتحليل أعمالها تحليلا موضوعيا متعمقا ·· لقد كان رحمه الله يقرأ ابداع كل كاتبة مصرية فور صدوره ويتابع « الأدب النسائى » بشغف كبير وحنو بالغ كان كالشعلة المتوهجة موجودا فى كل ملتقى ثقافى أو فنى ··

وأذكر له بصفة خاصة موقفا يندر ان يأخذه الا من تتوافر فيهم صفات أصحاب المواقف الكبرى الذين يدركون أن الناقد هو صاحب رسالة عليه ان يؤديها لمجتمعه دون أن يطالبه بها أحد ·· فبعد صدور مجموعتى القصصية الأولى · تم التنسيق لاعداد ندوة لمناقشتها فى دار الأدباء وتم اعلان اسماء النقاد ·· وفوجئت بالاستاذ جلال العشرى قبل موعد الندوة بيومين يأتى ليقول لى : سآتى الى الندوة رغم انى

لست مدعوا فيها فأنا مهتم بانتاج أديباتنا ·· ولى رأى خاص أريد أن أذيعه علنا فى الندوة ·· وأتى الاستاذ جلال العشرى فى الموعد المحدد ·· وتحدث معبرا عن رأيه فى الأدب النسائى فقال :

« الأدب النسائى هو ذلك الأدب الذى يعبر عن تجارب خاصة يعبر عنها بصدق يتعذر على الأديب الرجل ان يعبر به عن نفس التجربة ·· فهو بهذا يضيف الينا تجارب وتفاصيل لا تعرفها الا المرأة » ·

فقد كان جلال العشرى ابن عصره هـذا العصر المـلىء بالظواهر المتناقضة والمتشابكة والمتكاملة ·· أخذ على عاتقه مسئولية مضاعفة فكان يتناول بالدراسة والمتابعة الثقافـة المصرية والعربية واضعا عينه على الثقافة العالمية دون أن يفقد مصريته ·

فى كتاب « ثقافة بلا دموع » يؤكد ان ثقافتنا العربية هى ثقافة القوة والنضج ·· ويلح فى كتاباتـه سؤال يحـاول الاجابة عليه ولم يمهله قدره ان يجيب عليه وهو « هل يمكن صياغة انسان مصرى جديد » ويبدو هذا حين كتب يومـا يقول : هناك نقيضان يعيش بينهما أدبنا العربى المعاصر ·· ويشكلان فيما بينهما الازمة المنهجية التى يعانيها هذا الأدب ولا خلاص له من هذه الازمة الا بتوقيع معاهدة سلام بين كلا الطرفين ·· واعنى بهما الاصالة من ناحية والمعـاصرة من ناحية أخرى ··

وداعا أيها الصديق العزيز

د٠ عبد البديع عبد الله

التقيت به على باب الجامعة ٠٠ هو يحمل شهادة التخرج ـ المؤقتة ـ وأنا أحمل مصروفات القسط الأولى للسنة الأولى ، وجدد اللقاء تعارفنا القديم ووقفنا نتبادل عبارات المجاملة والتشجيع وكعادته حول الكلمات البسيطة الى قضايا فلسفية وبدأ يناقشها من منظور فلسفى ٠ كان يحمل شهادة فى الفلسفة وفى رأسه مئات الكتب التى قرأها خارج مجال دراسته فى الفلسفة والأدب ٠ قلت له اخترت قسم «كلاسيك» لأبدأ منه رحلتى مع الأدب من منبعه فكانت هذه العبارة مقدمة لحديث طال حتى الظهر وتحركنا تلقائيا من الباب الى مقعد فى كافتيريا الكلية ٠ ومن هذه اللحظة بدأت صلة جديدة تربطنى بجلال العشرى غير صلة الصداقة التقليدية التى تربط أسرته بأسرتى بحكم الجيرة وحياة الكفاح ٠ وتحولت زياراتى التى لا معنى لها الى زيارات لها معنى وأهرامات الكتب فى غرفته تكثر ويضعها بغير ترتيب على مقاعد خشبية بلا ظهر كانت منتشرة فى تلك الأيام بحيث يمكنك استخدامها مقعدا أو « طقطوقة » تقدم عليها لضيوفك الشاى ٠

obeikandl.com

كنت فى ذلك الوقت أتردد على ندوة نجيب محفوظ التى كان يقيمها فى كازينو صفية حلمى أو كازينو أوبرا تأدبا ، وكان يعجبنى أن يتحول هذا المكان فى الطابق الثانى الى نادى للأدباء نهارا ، وهو ما هو ليلا ، ولكن هذه الندوة لم تشبع نهمى ولم تجب على الكثير من أسئلتى ، وبدأت المضايقات التى انتهت بتحول الندوة الى مكان آخر فا تجهت بتساؤلاتى الى ندوة أخرى فى مصر الجديدة رقم ١٣ شارع السلطان سليم ، فى ندوة العقاد وجدت اجابات لأسئلة كثيرة ووجدت الشجاعة وعرفت أهمية الكبرياء • كان جلال العشرى يخرج من بيت العقاد وأنا أدخل ، ولم ألتق به بعد ذلك فى هذا البيت الا فى أعياد ميلاد العقاد ، ولكنه كان سعيدا أنى هناك وبعد انتهاء الندوة أعود الى بيتى بادئا بزيارة جلال العشرى

ونبدأ ندوة أخرى عن العقاد وطه حسين ونجيب محفوظ والشرقاوى وعبد الحليم عبد الله • كنت أجذب جلال العشرى الى عالم القصة •• عالمى ، وكان يجذبنى الى عالمه الجديد •• المسرح الذى اندفع اليه بكل ثقافته السابقة ، وبدأت أشعر أنه يحاول أن يتخلص من الجانب الفلسفى فى تكوينه لصالح المسرح وبدأت اقرأ اسمه على صفحات الجرائد ، فى عمود صغير بأخبار الأدب الذى كان يشرف عليه أنيس منصور •• وفى مقالات بجريدة « المساء » ، وفى مجلة المسرح ، وبدأت أولى كتاباته تتحول الى كتب • أذكر كيف اعتصر شبابه ليحقق حلمين : الوظيفة والقلم • وكانت الوظائف فى تلك الفترة السابقة على قيام مكتب القوى العاملة شبه مستحيلة،واستطاع أن يجد عملا فى مؤسسة فرانكلين فحقق حلمه الأول ، وبدأ يعمل ليحقق حلمه الثانى • فى احدى زياراتى قال : « هل تصدق أنى لم أنم منذ ثلاثة أيام ؟ » • قلت أصدق ، وهذا باد على وجهك وكنت أعرف معاناته • هو من الذين يؤرقهم

التفكير فلا يرغبون فى النوم ولا يشعرون بحاجة اليه الا بعد أن يعلن الجسم احتجاجه ويرفض الاستمرار فينام مجبرا ٠ وقلت له : « بل ان هذه الصورة التى تضعها فوق رأسك تحد تتحدى به ارادتك » ، وكان يعلق صورة رجل يتثاءب وفمه مفتوح ووجهه يوحى بالنوم ، ولم ينم ، وأظنه أخذ هذه الفكرة من أستاذه العقاد الذى تحدى التشاؤم فسكن فى المنزل رقم ١٣ ، وعلق على الحائط صورة البوم ٠

وفاجأنى جلال العشرى باهداء لطيف يتمنى لى فيه تحقيق حلمى الأدبى على غلاف أول كتاب يصدر له وهو « القرد الكثيف الشعر » مسرحية يوجين أونيل ٠ قلت له « كنت أنتظر شيئا من الفلسفة بعد كتابك المزعج « حقيقة الفلسفات الاسلامية » ، لكن يبدو أن جاذبية المسرح لا تجد عندك مقاومة ٠ فقا لعبارته الشهيرة « يعنى » والمقصود ٠٠ اقفل الكلام فى الموضوع ده ٠٠ ، وبدأت أسأله عن أونيل الذى لم أكن أسمع عنه وبدأ يحكى لى عن أهمية أونيل فى المسرح الأمريكى وجائزة بولتزر التى حصل عليها فقلت «كنت مكتفيا من المسرح بثلاثة « شكسبير ــ ابسن ــ وشو » فجئت تحطم هذه المسلمة وتحثنى على البحث فليس هناك ثبات فى الفن أو الفكر وهذه احدى سنن التطور وزادت همومى هما جديدا وان كنت أعترف أنه لذيذ ، ففى مطلع الستينيات كانت الحركة المسرحية آخذة فى التشكل بظهور أقطابها « نعمان عاشور ٠٠ رشاد رشدى ٠٠ ألفريد فرج ٠٠ يوسف ادريس ٠٠ سعد الدين وهبه ٠٠ ميخائيل رومان ٠٠ شوقى عبد الحكيم ٠٠ وغيرهم » وكانت مدرسة اخراج جديدة تتسلم من فتوح نشاطى وعبد الرحيم الزرقانى زمام الاخراج من نجومها سعد أردش مؤسس مسرح الجيب وكرم مطاوع ثانى مدير للمسرح ٠

وكنا نرى المسرح القومى والجمهورية والحكيم والجيب فى وقت واحد يقدمون عروضهم المحلية والعالمية ٠٠ التقليدية والتجريبية الى جانب عروض الباليه التى كانت تقدم على مسرح دار الأوبرا ـ القديمة ـ لهذا كانت الستينيات نهضة للمسرح فقد كنا نرى كل شىء حتى الفرق الكبرى مثل « أولدفيك » كانت تستضاف ويقام لها مسرح مكشوف بالهرم وتعرض « روميو وجولييت » لشكسبير ، و « جان دارك » لبرنارد شو ، وكان يتاح لنا أن نراها بكارنيه الكلية الذى يمنحنا تذكرة مخفضة واعتزازا بأننا قيمة تحرص عليها الدولة ٠ فى هذه الظروف ظهر جلال العشرى ولم يقاوم جاذبية المسرح بل سار بدفع ذاتى فقدم لأونيل ترجمة ثانية هى «الاله الكبير براون» وبدأ يلتفت الى كاتب لمع كالشهاب فى المسرح الانجليزى فترجم له أهم مسرحية كتبها وهى « انظر وراءك فى غضب ، لجون أوسبورن ٠ وكثيرا ما كنت أستفزه بمقارنته بجون أوسبورن الغاضب على مجتمعه ، وأنت ٠٠ كيف لا يكون لك شىء كهذا وأنت فى الأصل كاتب لا مترجم ولا دارس ٠ فكان يقول لأ ٠٠ أصل هنا غير هناك ، وتتحول جلسة الاستفزاز الى ندوة ويتحول الى مدافع ، وفجأة يسكت ـ يدرك أنى استدرجته كما كنت أستدرجه للكلام كلما التقيت به « جلال ٠٠ أنا مفهمتش مسرحية رشاد رشدى رغم ان العرض مشوق » ؟ « أصل ده مسرحية تعبيرية يعنى ٠٠٠ » ويبدأ فى الكلام بحماس ونمشى ونفترق لنلتقى ٠

أحس جلال العشرى أن نهضة المسرح لا يكفيها مقال صحفى عن مسرحية فبدأ يؤصل ثقافة الجيل المسرحية بكتب لها وزنها فترجم « فكرة المسرح » لفرنسيس فرجسون ، وكان هذا الكتاب الذى يجمع بين النظرية والتطبيق اضافة هامة الى سلسلة الكتب المتميزة التى ترجمها درينى خشبة « داود

أمين سلامة » ، ثم ترجم كتاب « جون كروكشانك » « ألبير كامى وأدب التمرد » و « محاورات برتراندرسل » وكان من الواضح أنه يريد أن يقول شيئا هاما من خلال هذه المترجمات وأن يؤصل ثقافتنا المعاصرة • ثم ظهرت حركة جديدة فى القصة القصيرة ثم الرواية قام بها أدباء يعرفون الآن باسم « أدباء الستينيات » وكان جلال العشرى سكرتير تحرير مجلة الفكر المعاصر التى كان يرأس تحريرها أستاذه زكى نجيب محمود فجعل فى أبوابها نافذة يطل منها أشبال الأدباء والكتاب باسم « لقاء كل شهر » ومنه نفذت كثير من الأسماء التى أصبحت لامعة ، بالاضافة الى مشاركته فى تقديم ودراسة أدباء الستينيات فى البرنامج الثانى بالاذاعة وجريدة المساء والأخبار • أذكر أنى دخلت البرنامج الثانى بالاذاعة عن طريق جلال العشرى الذى قدمنى الى ابراهيم الصيرفى وقرأ لى قصة وثانية فى برنامجه كتابات جديدة ، ثم مع النقاد ثم فكرت فى اصدار أول مجموعة قصصية من قصص جمعتها مما كتبت حتى ١٩٦٨ وكنت مصرا أن يكتب لى المقدمة • كان جلال العشرى يمر بظروف شخصية غير سارة وكنت مصرا أن أخرجه منها ووضعته أمام الأمر الواقع وقلت له « الكتاب فى المطبعة » وستكتب دراسة فأنت أعرف الناس بما فيه ، وفى عصر يوم جمعه كتب • مزق أوراقا كثيرة لكنه فى النهاية كتب دراسة لجيل القصة الذى أطلق عليه « جيل ما بعد يوسف ادريس » • وبدأ يشعر بأزمة الكاتب عندما تقف ظروف عابرة أمام وصول كلمته لمن يكتب لهم فاختار وسائل الاتصال العصرية « التليفزيون والراديو » ليبث منهما ثقافته المبسطة الى جمهور لا يعرف الكتابة • كان يريد أن يوسع دائرة المعرفة ويتيح لجمهور جديد أن يعرف المسرح ويتذوقه ويرتفع به الى خشبة المسرح التى عاش أكثر من ربع

قرن فى سبيل تطبيعها مع جمهور جديد لم يعرف فى طفولته الا « القرقوز » و « خيال الظل » • كان المسرح معركته التى عاش من أجلها فكتب : « مسرح أو لا مسرح » ، « لن يسدل الستار » ، و « المسرح أبو الفنون » ، و « سقوط الأقنعة » ، « تياترو •• فى النقد المسرحى » ، و « المسرح وجه وقناع »، و « المسرح فن وتاريخ » وغيرها • ومع ذلك لم يختم حياته كرجل مسرح بل كفيلسوف فعندما مرض وأحس بأنه يذوى آثر أن ينسحب بعيدا عن الأصدقاء وأكد على أخيه « فتحى العشرى » ألا يخبر أحدا من أصدقائه لئلا يفسد الفرصة بفوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل • مع ذلك عرفت بمرضه صباح الجمعة فذهبت الى مستشفى مجدى لزيارته وأنا أحمل كلمات عتاب لأخيه فصدمنى أن الزيارة ممنوعة ، وأن جلال العشرى فى غيبوبة • هذا العقل الشاب النشط الذى لم يكف عن التأمل والتفكير نائم فى غيبوبة ، فقد أرهقه المرض كما أرهقه صاحبه حتى ارتقى به الى مصاف كبار المفكرين ، لكنه تخلى عنه وغاب وترك الجسد جثة بلا حراك وفى صباح السبت كانت نذر الآخرة تعده للرحيل الأخير واستجاب لها بعد الظهر وسط ذهول الزوجة وصراخ صغيرتيه وحزن أمه وبكاء أخيه ولوعة أصدقائه • رحم الله جلال العشرى فقد كان عقلا نشطا وذهنا متوقدا ونفسا ذكية وعينا راصدة ولتبق لنا كتبه شاهدة على الثمن الذى يدفعه صاحب القلم فى هذا العصر ليقول كلمته قبل أن يمضى •

المصابيح ترحل فى الليالى الباردة !

محمد الرفاعى

كان ·· وما أقسى تلك الكلمة اللعينة ، التى تفصلنا عمن نحب ·· وتجعل ما بيننا وبينهم عالما من الرماد والذكريات ·· وما أقسى كلمات الرثاء التى تجعلنا ندرك فى ساعات الألم ·· ان ما قد عشناه معا صار مجرد صورا على جدران الذاكرة الدامعة ، وها قد رحل جلال العشرى مثلما ترحل العصافير فى الليالى الباردة ، ومثلما ترحل الأشجار فى الخريف ·

وأنا لا أرثى جلال العشرى ، لأنى ما تعودت الرثاء والبحث عن الأفعال الماضية والكلمات الأسيانة ، لأن جلال سيظل عبر الكلمات والمسرحيات التى ترجمها يطل علينا ، ويذكرنا بأننا نخرج من المدن قبل أن ندخلها ·

كان جلال العشرى ناقدا وفنانا وانسانا يحاول فى كل لحظة أن يضيف الى الحياة المسرحية ، وأن يحدد تلك المساحة الملتهبة ما بين الفنان والناقد ·· ظل يتابع العروض المسرحية ·· يكتب عنها ويضيف لها : ظل يترجم لعلنا نخرج من دوائرنا الضيقة ·· كان موسوعة متحركة وكان كليالى الصيف ·

أحيانا يداهمنا الحزن وتصبح الكلمات بلا معنى ونصاب بالبلادة ·· وأحيانا يؤرقنا عذابنا اليومى ·· ولكننا دائما نظل أمام الموت نتشبث بالحياة ·

يا عزيزى جلال ·· الكلمات ابدا لا تموت ·

الى جلال العشرى ٠٠ وداعا

السيد حافظ

كنا فى الستينيات نبدأ مع رحلة الابداع الخطوات الأولى كان سفيرنا فى عالم النقد وكان محاربا من خندق الابداع ينظر ويسجل ويتابع ويقدم الجيل بشهادات ميلاد مضيئة ٠٠ كان جلال العشرى أكثر النقاد من جيله تألقا محبا للحكمة ومثيرا لقضايا الفكر وحاملا المصباح لجيلنا٠كنا نراه معنا في كل كتاب وفى كل محاوره كأنه الأب الذى يبحث عن أولاده ليعطيهم مع انه كان جيلنا ٠ كان اذا تكلم ينصت له الجميع يطوف بنا فى أروقة الكلمة وأروقة الحكمة وأروقة الفكر٠٠ كان جلال العشرى شاهدا على حركة جيل وتاريخ أمة ٠ جادا كالقيمة ٠ حادا فى تحمسه لكل ما هو جيد ونظيف بعيدا عن الاستهلاك اليومى للكلمة وعهر الفكر وضياع الرؤية ٠ كان جلال العشرى أكثر فهما بضرورة دفع الابداع العربى الى الأمام قدم لنا الكثير والكثير وأعطانا الكثير وأتمنى أن تعطيه الأمة حقه وما يليق به كرجل قلم وفكر ورؤية ٠

وداعا عصفور النقد

صلاح الوسيمى

obeikandl.com

•• جلال العشرى عصفور النقد الذى التزم بالاتجاه النقدى الذى يقول ان الأصل فى كل نقد هو تطبيق أصول مرعية وقواعد عقلية لا تترك مجالا لذوق شخصى أو تحكم فردى •• بحيث يحمل فى ثناياه وجهة نظر خاصة تطالعنا من الطريقة التى يسرد بها الكاتب وقائعه ويفسرها • ذلك أن نقده ينصب على هيكل العمل الفنى أو الأدبى وطريقة بنائها وارتباط حلقاتها مع استخلاص الفكرة التى تقوم عليها المسرحية •

وهو أيضا صاحب مقولة الاصالة والمعاصرة مستخدما هذا المنهج النقدى فى جميع أعماله منذ بداية الستينيات وحتى الآن •• ويعد من تلامذة مدرسة الاتجاه النقدى الموضوعى فى تفسير العمل الفنى التى نادى بها الشاعر والناقد الانجليزى ت • س • اليوت وقد ضم هذا الاتجاه د • رشاد رشدى وبعض أساتذة الأدب الانجليزى وهم د • فاطمة موسى ، ود • فايز اسكندر ، د• أمين العيوطى ،

د • سمير سرحان ، د• محمد عنانى ، فاروق عبد الوهاب هذا بالاضافة الى استفادته من العديد من المدارس النقدية الأخرى •

كان جلال العشرى ناقدا متميزا له رأيه الخاص فى الأعمال الفنية والأدبية من خلال فهمه لطبيعة العمل الذى يبحثه معطيا رأيا منهجيا وموضوعيا من ناحية ثانية مبتعدا عن ذلك النقد النظرى الذى يبعده عن الواقع الفنى حيث كان يعتبر ان الابداع النقدى والابداع الفنى وجهان لعملة واحدة واذا حدث قصور أو ضعف فى جانب فان هذا يعنى ان الجانب الآخر يعانى من شىء ما •

لذلك فقد كان يمتاز بالمتابعة المسرحية المكثفة ولمدة ثلاثين عاما فى المسرح المصرى وحتى آخر أيامه لجميع الأعمال والعروض المسرحية سواء فى مسارح هيئة المسرح أو القطاع الخاص ، لم يتناول المسرح كأدب فقط بالرغم من اهتمامه بتأكيد قيمته الأدبية وابراز أهميته ومناقشته بأسلوب ذواق لناقد متذوق فنان حيث يستكشف خواصه وأبعاده الجمالية والابداعية ، ثم الانتقال الى مناقشة أبعاد الفكرة وارتباطها بواقعها أو تاريخها منتقلا بعد ذلك للاحداث مستعرضا ومناقشا لها •• ويتجه بعد ذلك للجانب التنفيذى بداية بالاخراج المسرحى بجميع عناصره الفنية ثم الديكور والاضاءة والملابس والممثلين والجمهور أيضا حيث كان يعتبر ان العمل المسرحى انما هو مثلث من ثلاث زوايا وهى المخرج ، والناقد ، والمتفرج •

ذلك انه كان يعتمد فى مقاييسه النقدية على مدى ارتباطها أو تعاملها مع الجماهير •• وان كان ذلك من خلال لغته النقدية الخاصة العالية المستوى الرفيعة الأسلوب كما

العصفور منطلقا داخل العمل المسرحى أو الفنى أو الأدبى ومتنقلا بين عناصره بسهولة وفهم وادراك واع متفهما لهذه العناصر وأبعادها وكيفية تنفيذها وقد ساعد على ذلك دراسته الفلسفية الأكاديمية وكذا ثقافته فى الأدب والشعر من ناحية أخرى مما كان له آثره المباشر بعد ذلك فى تعامله مع المسرح ومتابعته له لجميع أنواعه كفن وليس كأدب ٠

ومن حسن الحظ أن الموهبة النقدية لجلال العشرى تفتحت مع ما يسمى بثورة المسرح المصرى فى الستينات ولم يترك قضية أو فكرة أو عرضا مسرحيا منذ مطلع الستينات الا وتناوله بالنقد العميق والتحليل الدقيق لذا يمكن القول انه ليس فقط أبرز نقاد مسرح الستينات ولكنه أيضا المؤرخ الحقيقى لهذا المسرح حيث هناك ما يصل الى أربعة عشر كتابا من انتاج جلال العشرى تدور حول مسرح الستينات كتابة ومسرحا وتأصيلا ٠٠ بل ان غزارة انتاجه فى الحقيقة تفوق الثلاثين كتابا فى حياته القصيرة تتفاوت من ترجمة الموسوعة الفلسفية وتنتهى بالكتابة عن مسرح القطاع الخاص ففى الوقت الذى كتب فيه عن العقاد والعقادية وكتب عن مصطفى محمود كتب أيضا عن عادل امام وسعيد صالح والقطاع الخاص ٠٠ ومن هنا كان التنوع عند جلال العشرى بين الدراسات المتخصصة الأكاديمية والنقد التطبيقى للمسرح والعروض المسرحية المرتبطة بالجماهير وقضاياها حيث ضرب جلال العشرى فى كل اتجاه بين الدراسات المتخصصة وبين المجلات الثقافية والمجلات العادية والاذاعة والتليفزيون ٠٠ الخ حيث كان من أبرز النقاد منذ الستينات وحتى الآن ٠٠

استطاع عصفور النقد آن يجمع فى مزاوجة مدهشة بين الأكاديمية العلمية والوصول للجمهور العريض حيث

[الفجوة قائمة بين الأكاديميين فى أبراجهم العاجية وبين الجمهور القارىء فى تناوله للنقد الفنى أو الأدبى] فالأكاديميون يعانون من بعد الجمهور عنهم والجمهور يفتقد وصولهم له حيث صوامعهم أو أبراجهم العاجية الأكاديمية المتجمدة المتخصصة في الدراسات المحدودة فى دارسيها والتى لا تزيد عن كونهم باحثين يصدرون أفكارهم وثقافتهم الذاتية بعيدين عن حرارة الوصول للجماهير وبساطة الالتقاء معهم وسلاسة التنقل بينهم كما كان عصفور النقد من القلة النادرة الدارسة المتخصصة أكاديميا القادرة على الانتقال الفورى الى الجماهير فى سلاسة عظيمة مستفيدا من تخصصه وثقافته وفلسفاته ومسخرها لها لخدمة الجماهير المسرحية ساعيا لاستنبات المعنى الراقى للتذوق عند الجماهير العريضة ومحاولا الارتفاع بمستوى الذوق العام لديهم ..

حيث ان جلال العشرى كان ساعيا دائما الى الجماهير فى المسرح باحثا عنها وعن مشاكلها مع المسرح لأنها تمثل عنده محور الارتكاز فى العمل المسرحى حيث لا مسرح بلا جمهور ولا جمهور بلا مسرح ـ وان كان جمهورنا ومسرحنا قد فقدا عصفورهما .

الكاتب .. والمستشار .. والصديق !

محمد فكرى أنور

أعترف أن كتابة السطور التالية يشكل مهمة بالغة الصعوبة على النفس ، شديدة الارهاق للوجدان .

أن نعيش ، ثم نموت .. تلك حقيقة لا جدال فيها . ولكن أن نعاشر أخا صديقا ، فنجده متوقدالذكاء ، وفير الانتاج ، دقيق التناول ، جاد الطرح ، صادق الرأى .. ثم يرحل عنا ، وتحول « الغربة » حتى دون أن نكون فى وداعه الى مثواه الأخير ، فهذه مشقة تعجز النفس عن احتمالها ..

ثم .. أن نكتب عن ذلك الأديب الصديق « كلمة تذكارية » يكون عماد تحريرنا لها كلمة « كان » .. فهذا هو الألم الذى يعتصر الفؤاد ويدميه ، قد يخفف ذاك الألم أن تستطيع تلك الكلمات عن راحلنا العزيز الأستاذ جلال العشرى أن تجلى ـ بصدق ـ بعض المواقف والتجارب التى عشتها معه،فلعلها أن توفي الراحل العزيز حقه علينا في بيان مواقف وتجارب كان فيها صادقا مع نفسه .. أمينا فى حمل رسالته التي نذر حياته من أجلها .

اللقاء الأول

رأيت جلال العشرى ـ لأول مرة ـ فى صيف عام ١٩٦٨ ٠

كان مقر « الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر » فى الدور السادس من العمارة رقم (٥) بشارع ٢٦ يوليو بالقاهرة ٠

فى ذلك اليوم ، ذهبت الى هناك لزيارة صديقى الأستاذ تحسين عبد الحى (كان وقتها سكرتيرا لتحرير « مجلة الفنون الشعبية » عندما كان رئيس تحريرها الدكتور عبد الحميد يونس ـ رحمه الله) ٠ وبعد انتهاء الزيارة خرج تحسين معى يودعنى ٠ وفى الممر الطويل للشقة ، توقف أمام غرفة مكتوب على يسار بابها « مجلة الفكر المعاصر » ، وقال : « تعال أعرفك على صديق عزيز » ٠

دلفنا الى الغرفة فقال : « جلال العشرى ٠٠ فكر ، واسم ينمو بسرعة فى تربة الثقافة المصرية ٠ سيكون اسما كبيرا على خريطة الثقافة فى مصر خلال السنوات القليلة القادمة ٠ وهذا يا جلال صديقى » ٠٠ (وذكر له اسمى) ٠ فابتسم جلال ونكس عينيه خجلا وقال : «هذا لطف منك ياتحسين» ٠

صافحت جلالا ، وقضينا عدة دقائق واقفين ، تبادلنا خلالها حديثا فكها ٠٠ ثم ودعناه ومضينا ٠

سرت الأمتار الباقية من الممر صامتا ، فابتدرنى تحسين مستفسرا عن سبب صمتى ، فقلت له : « مع احساسى بصدق توقعاتك عن جلال، فاننى رأيت فى عينيه بريقا يشع ذكاءا، ويستفز المرء الرغبة فى الكلام ، ويستحث عقله كى يفكر بجدية » ٠ فأجاب تحسين ضاحكا : « سأبلغه قولك هذا » ٠

وبعد هذا اللقاء القصير ، مضت تسع سنوات ، لم أر خلالها جلال العشرى ..

جلال .. ومجلة الفيصل

فى غرة شهر رجب عام ١٣٩٧ هـ (١٩٧٧/٦/٢٦) صدر العدد الأول من مجلة « الفيصل » السعودية .

وعلاقتى بمجلة « الفيصل » ـ مترجما وكاتبا ـ بدأت قبل عدة شهور من صدور عددها الأول .

خلال تلك الشهور ، وما قبلها ، كان الأستاذ علوى كثير السفر الى أوروبا ومصر . وفى مصر التقى كثيرا بجلال العشرى وغيره من الكتاب والفنانين المصريين ، ذوى العلاقة بالصحافة ، فى جلسات طويلة كان الأستاذ علوى خلالها يرسم ملامح مجلة الفيصل ـ التى يقترب موعد صدورها . وقتها ، علمت من الأستاذ علوى أن جلال سيكون مراسل « الفيصل » فى مصر . وعندما سألته عن سبب اختياره له أنثى عليه كثيرا وقال انه يتوقع من جلال نشاطا كبيرا فى تجميع المقالات والقصص القصيرة والأخبار الثقافية والقصائد الشعرية من كتاب وأدباء مصر ، وأن جلالا سيبعث بها ، مع كتابة تقديم لها ـ ان احتاجت ذلك ـ وتنقيحها بما يتناسب مع الخط الذى استنته المجلة لنفسها.. بالاضافة الى كتاباته هو . وبالفعل كان جلال عند مستوى تلك الثقة فيه .

ومع صدور العدد الأول من « الفيصل » ، توقعت أن يتضمن مقالا لجلال .. لكننى فوجئت انه يحوى موضوعا بعنوان « الرواية المغربية .. من أين ، والى أين » كتبه

شقيقه الأستاذ فتحى العشرى •• فأكبرت ذلك فى جـلال واعتبرته كبرياء يزدان ذكاء وآريحية ، خصوصا وان أول مقال نشر له فى « الفيصل » كان فى عددها السادس وتناول فيه « يوجين أونيل » •

وصوله الرياض

قبل صدور العدد الثانى من «الفيصل» آخبرنى الأستاذ علوى الصافي أن «جلال» سيحضر الى الرياض للعمل في المجلة، وبأن مراسلها فى مصر سـيكون الأسـتاذ فتحى العشرى • وأضاف قائلا آن « جلال » سيدفع حركة التحرير فى المجلة لما يعرفه عنه من دأب فى العمل ، وموضوعية فى الطرح ، واخلاص فى الجهد • وعندما آبديت له دهشتى لذلك استفسر عن السبب فقلت له ان جلالا قوى الحضور فى مجلات مصر ، وفى مجلات الدول العربية ، وآن غيابه عنها سيكون مقامرة بنشاطه واسمه • فأجاب بأن كلامى ذاك قد يكون صحيحا ، لكنه ـ من جانبه ـ لن يعوق نشاطه وكتاباته للمجلاتالأخرى طوال وجوده فى الرياض •

وفى منتصف شهر آغسطس ١٩٧٧ (آوائل شهر رمضان ١٣٩٧هـ)استدعانى الأستاذ علوى الى مكتبه، حيث أبلغنى آن « جلال » سيصل الرياض بعد عدة آيام ، وآنه سيكون فى استقباله فى المطار ، لكنه يخشى آن تحول مشاغله دون تحقيق رغبته تلك ، ومن ثم طلب منى الاستعداد للذهاب ـ سـواء معه أو بدونه ـ لاستقبال جلال فى المطار •

وفى مسـاء يوم ٢٦ أغسطس ١٩٧٧ م ، توجهت الى مطار الرياض لاستقبال جلال العشرى •

كنت ـ كما أسلفت ـ لم أر جلالا منذ عام ١٩٦٨ • خشيت أن تشتبه على ملامحه ، فسألت موظف الاستعلامات أن يعلن فى « الميكروفون » قائلا : « على الأستاذ جلال العشرى ، القادم من القاهرة ، التوجه الى مكتب الاستعلامات فى صالة الاستقبال » • وراح يكرر النداء عدة مرات ، حتى رأيته خارجا من باب الجمرك ، تعلو وجهه ابتسامة عريضة ويتحدث مع صديق أردنى له ـ يقيم فى الرياض ـ وهو الأستاذ اسماعيل كتكت •

تقدمت اليه مرحبا بهما وقلت له : « أتذكرنى ؟• » لقد التقيت بك فى مكتبك فى « الفكر المعاصر » لعدة دقائق فى صيف عام ١٩٦٨ وكنت بصحبة « تحسين عبد الحى » • ولدهشتى الكبيرة فوجئت به يقول : « آه •• أنت فكرى » • فدعوت له بالتوفيق وأثنيت على ذاكرته النابضة •

وعند الباب الداخلى للمجلة ، وجدنا الأستاذ علوى فى استقباله ، ثم قال : « أرجو يا جلال أن يكون الأخ فكرى قد اعتذر لك ـ نيابة عنى ـ لعدم حضورى لاستقبالك فى المطار • كنت فى اجتماع هام وعدت منه على التو • والآن هيا بنا •• اخوانك فى « الفيصل » يقيمون لك حفل عشاء احتفالا بوصولك الى المجلة » •

هكذا بدأت علاقة جلال بمجلة الفيصل فى الرياض •• قناعة لدى رئيس التحرير بكفاءته واخلاصه فى العمل ، وترحيب وتقدير من أسرة المجلة التى كان جميع أفرادها سعداء بأن يكون بينهم جلال العشرى •

ومضى الشهر الأول ، فكان جلال دائما مسموع الرأى، متدفق النشاط ، لا تغادر الابتسامة شفتيه •

وبعد أسبوعين أو ثلاثة أقام سمو الأمير خالد الفيصل ـ أمير منطقة عسير الواقعة فى جنوب غرب السعودية ، ومالك المجلة ـ حفل غداء احتفالا بصدور ـ العدد الأول من مجلة الفيصل ٠

ولقد اختار الأمير خالد أن يكون مكان الحفل فى قصر الملك فيصل ودعى الى الحفل رؤساء تحرير المجلات والصحف ورجال الاعلام والأدب ، وعلى رأسهم وزير الاعلام آنذاك الأديب الدكتور محمد عبده يمانى ٠ ومن مجلة الفيصل دعى مع رئيس تحريرها كل من جلال العشرى، والكاتب المسرحى الكبير الاستاذ على سالم وكاتب هذه السطور ٠

ومع انتصاف الشهر الثانى ، جاء جلال الى مكتبى ، ودار بيننا حديث انتهى بقوله : « لابد أن أعود الى مصر » ٠

هكذا ٠٠ قالها دون تمهيد ٠٠ كما لو كان قاضيا أصدر حكمه النهائى فى قضية مصيرية ٠

قلت له : « لم يقل أحد أنك ستقيم فى السعودية مدة طويلة ٠ هذا غير وارد ٠٠ لكن أقولها لك بنبض الاخوة ، انك جئت هنا بمرتب مرتفع جدا ٠٠ والأفضل أن تصبر عدة شهور تكون خلالها قد ادخرت مبلغا من المال يكفى على الأقل لتغطية نفقات زواجك ولشراء سيارة جديدة لك » ٠

فضحك وقال : « فكر تقليدى » ٠

قاطعته قائلا : « أو ٠٠ قل فكر رجعى » ٠

فقال بجدية : « لا ٠٠ صدقنى ٠٠ أنا مع كل ما تقول٠ ولكننى صاحب قلم وكلمة ٠٠ ولئن طال بى المقام هنا فسوف يذبل اسمى ٠ ان كل شهر ، بل كل يوم أبتعد فيه

عن مصر يكبدنى خسائر قد أعجز عن تعويضها ان طالت بى الغربة » ٠

قلت : « اذن ٠٠ توكل على الله ٠ ولكن حاول أن تصبر شهرا أو اثنين » ٠

فضحك جذلا ، ومال بالكرسى الى الوراء سعادة وقال : « نوافق يا فكرى بك ٠ » ثم صمت فترة ، غمرت خلالها الجدية ملامحه وقال : « الآن انزاح عن قلبى حمل ثقيل ٠ صدقنى يا أخى ٠٠ انها حقيقة ٠٠ نسبة الأثرياء بين كبار المفكرين والأدباء فى العالم ضئيلة ، وتكاد لا تذكر ٠٠ السعى وراء لقمة العيش مكابدة ، والكتابة معاناة ٠٠ ومن حمل القلم لم يجعل كل همه الدولارات ٠ لقد مضى عصر الأبراج العاجية والكتاب المرفهون ٠٠ » ٠٠ والآن ٠٠ وقد ارتاح قلبى ، أستأذنك لأعود الى مكتبى ٠٠ لدى عمل كثير» ٠

سار خطوات ، ثم استدار قائلا : « أتدرى ؟ ٠٠ المسألة ليست أن تجىء وأن تروح ، فهذا سهل ٠٠ ولكن ٠٠ كيف تجىء ، وكيف تروح ، وأى أثر تترك فى ذاك المجىء وهذا الرواح ٠٠ تلك هى المسألة » ٠

مضى بعد ذلك اليوم أسبوعين أو ثلاثة ٠٠

وذات مساء توجهت الى « الفيصل » فى السادسة ، فوجدت جلال واقفا عند الباب الخارجى للمقر ، وكل وجهه ابتسام وسعادة ٠ لوح لى بيمناه وأنا أقترب ، ففهمت أنه أنهى مسألة اقامته فى الرياض ٠

مددت يدى أصافحه فقال : « لا ٠٠ بل بالأحضان » ٠

تعانقنا ، وهنأته بتحقيق رغبته ٠

كان كما لم آره منذ حضوره ·· لامع العينين ·· متورد الوجنتين ·· محلقا فى آفاق السعادة ··

قلت « حصل ؟ »

قال : «كما اتفقنا بالضبط ·· بل وأكثر مما توقعنا»

وفى المكتب أخبرنى أنه تحدث الى الأستاذ علوى فى الموضوع بصراحة ، فأسعده أن استجابته كانت أسرع وأفضل مما توقع بكثير · وعندما سأله أن يرشح كاتبا آخر للمجلة ، رشح شقيقه الأستاذ فتحى العشرى ، كما رشح له الشاعر مجدى نجيب مخرجا ·

جلال ·· والمركز الثقافى الجامعى

فى صيف عام ١٩٧٩ ، عينت مديرا عاما للمركز الثقافى الجامعى ·

وعند انشائنا لتلك الدار ، تحدثت مع صاحبها عن أسلوب العمل الذى أرجو أن تسير عليه الدار ، ومن ذلك اعرابى عن الحاجة الى كاتب وناقد ومفكر معروف ، ليكون مستشارا للدار · رحب بالفكرة وطرح عددا من الأسماء « الكبيرة » فى عالم الأدب والنقد · ورشحت له جلال العشرى ، فوافق ·

وفى صباح الجمعة التالى توجهت الى منزل جلال فى مصر الجديدة وحدثته فى الأمر ، فقال : « أوافق ·· ولكن بشرطين ·· الأول ألا تكون بصاحب المال أية علاقة مباشرة بى أو تدخل فى عملى ·· أنا وأنت سنؤدى ما فى صالح الدار والأدباء ·· والشرط الثانى أن يحضر هو الى منزلى ·· هنا

.. ويوجه لى دعوة التعـاون كمستشار للدار » . وبالنسبة لك ـ يا فكرى ـ لا تتحمل فى هذا الموضوع حرجا . ان وافق على الشرطين ، أهلا وسهلا .. وان رفض ، فهذا حقه ، وذاك حقى » .

وعندما سألته عما وراء شرطيه ، أجاب : « ان أصحاب رؤوس الأموال يتصورون أنهم يفهمون فى كل شىء ، وأن الدنيا يجب أن تكون طوع بنانهم . ونحن ، معشر الكتاب ، ان لم نفرض احترامنا مع من نتعامل معهم ، فاننا نتوه فى الزحام » .

وبالفعل تم له ما أراد .

وهكذا بدأنا معا فى المركز الثقافى الجامعى . وضعنا خطة العمل ، وفى فترة قصيرة نشرنا كتب : « الشـباب والحرية » للكاتب الكبير الأستاذ ثروت آباظة ، و « الأسطورة والفن الشعبى » للدكتور عبد الحميد يونس ، و « تحديات سنة ٢٠٠٠ » للكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم و « اللغة الاعلامية » للأديب الشاعر الدكتور عبـد العزيز شرف ، و « التفسير العلمى للأدب » للدكتور نبيل راغب ، و « جيل وراء جيل » للراحل جلال العشرى ـ و « شباب هذا العصر » للأستاذ فتحى العشرى ، و « ٥٠ سنة سينما » للأستاذ عبدالله أحمد عبد الله (ميكى ماوس) .

وكان جلال يصحبنى الى مؤلف كل كتاب للاتفاق وتوقيع عقد النشر معه ، كما صحبنى الى الهيئة المصرية العامة للكتاب حيث التقينا بالشاعر الكبير ـ الراحل ـ الأسـتاذ صـلاح عبد الصبور ، رئيس الهيئة فى ذلك الوقت ، وهناك دعوناه

الى اعداد كتاب للنشر لدينا ، ووقعت مع الهيئة عقدا لتوزيع منشورات الدار ، كما آخذنى الى دار المعارف لتوقيع عقد مماثل معهم •

وخلال تلك الفترة كان جلال يتابع الاتصال بالأساتذة الكتاب حتى يتسلم النص ، ثم يعكف على قراءته واعتماد نشره • كما كان ـ دون أن يطلب منه أحد ـ يتردد على المطبعة لمتابعة سير العمل فيها •

بيد أن علاقته بالدار لم تستمر أكثر من عدة شهور ، عندما أبلغنى أن أنقل الى صاحب الدار رغبته فى ترك التعاون لضيق وقته • وبعد ذلك بأقل من شهر كنت أيضا قد تركت الدار ، فتوقف العمل فيها ولم تصدر عنها مطبوعات من بعد •

فى هذا المقام ، أسجل فى حق الراحل العزيز اعترافى بما أسداه الى من جمائل •

ففى صباح أحد أيام الجمعة ـ من صيف عام ١٩٨١ ـ كنت فى بيته أزوره ، فسألنى أن أقوم بترجمة احدى المسرحيات العالمية كى يقدمها الى الراحل الأستاذ صلاح عبد الصبور لنشرها ضمن سلسلة « مسرحيات عالمية » التى تصدرها الهيئة ، ونصحنى بترجمة مسرحية « الانسان والسوبرمان » لبرناردشو ، وآعارنى نص المسرحية من مكتبته الخاصة •

أيضا صحبنى ـ الى اذاعة البرنامج الثانى وقدمنى الى كل من الأستاذ الشريف خاطر ، والشاعر الكبير الأستاذ محمد ابراهيم أبو سنة ، والمخرج الأستاذ جلال أبو عامر ، والاستاذ

عطية السيد ، والأستاذة ألفت سلامة ، وبالفعل أذاع لى البرنامج عدة مسرحيات ، وبرامج اذاعية قمت بتحرير مادتها ٠

هذا ، وفى نهاية عام ١٩٨٢ عدت للعمل فى السعودية، فكنت ألتقى بجلال مرة واحدة أو اثنتين فى القاهرة فى صيف كل عام ٠

وفى ربيع عام ١٩٨٦ حضر الى الرياض مدعوا من الحرس الوطنى السعودى لمشاهدة فعاليات المهرجان الثانى للثقافة والتراث ، الذى يعقد فى منطقه « الجنادرية » ٠٠ وفى زيارته تلك لم يمر يوم واحد دون أن أراه ٠

وفى أواخر سبتمر ١٩٨٨ ، كنت فى القاهرة فاتصلت به هاتفيا أسأل عنه ، فأخبرنى أنه مريض بالكبد منذ فترة ٠٠

هرعت الى بيته أزوره ــ أذهلنى أن المرض قد أخذ منه اكثر مما أبقى ٠ قضيت عنده حوالى الساعة ، سمعت خلالها قصة مرضه من زوجه الأخت الدكتورة فايزة شحاته ، ثم انصرفت ٠عند باب الشقة مد يده يصافحنى وقال : « أأراك مرة أخرى ؟ » فقلت « ان شاء الله » ٠

وبعد أيام عدت الى الرياض ٠ وعند لقائى بالأستاذ علوى الصافى ، بادرنى بالسؤال عن جلال ، فأبديت مخاوفى الشديدة على حالته الصحية ، فقال انه يعتزم السفر الى القاهرة فى اوائل نوفمبر التالى وأنه سيحرص على زيارته للاطمئنان عليه ٠

وفى الثالث عشر من نوفمبر ١٩٨٨ ، كان الأديب مأمون حمزة فى اتصال هاتفى من الرياض مع الأخ الأستاذ مصطفى عبد الله ، الكاتب الصحفى بالقسم الأدبى فى جريدة الأخبار ، فكلفه أن يبلغنى بوفاة جلال العشرى ٠

اتصل بى مأمون ، فى مجلة الفيصل ، ونقل الى الخبر الأليم ، فبكيته كثيرا ، وتوافد جميع مندوبى المجلة يقدمون لى عزاءهم الخالص فى الناقد ، الأديب ، الصديق ، الأخ جلال العشرى ، رحمه الله ٠

ان التزاما أدبيا ، وواجبا آخويا يقع أداؤهما على محبى وقراء أدب ونقد جلال العشرى ٠٠

أما الالتزام الأدبى ، تجاه كتبه وفكره ، فاننى أثق أن أحدا من المسئولين عن الثقافة والاعلام والنشر لن يألوا جهدا فى الوفاء به ٠٠

وأما الواجب الأخوى تجاه الأخت الدكتورة فايزة شحاتة وطفلتيه منى وسارة ـ فسوف نوفيه حقه جميعا باذن الله ٠٠ نحن كل من عرف وقرأ وتأثر بكتب جلال العشرى، وفى مقدمتنا شقيقه الأخ الأستاذ فتحى العشرى ٠

رحم الله الكاتب ٠٠ الناقد ٠٠ الصديق ٠٠ الأخ جلال العشرى ٠٠

لمسة وفاء لذكرى ٠٠ الناقد الراحل

نجوى وهبى

فقدت الحياة الأدبية فى مصر واحدا من أبنائها المخلصين وهو الناقد والكاتب الصحفى جلال العشرى الذى وافته المنية بعد مرض لازمه لفترة طويلة ٠

وقد ترك جلال العشرى للمكتبة العربية العديد من الكتب النقدية والدراسات الأدبية هذا الى جانب العديد من المقالات الصحفية ٠

ولعل من أهم ما قدم جلال العشرى للمكتبة العربية كتاب جامع لمفهومه ولخلاصة فكره حول الثقافة والأدب تحت عنوان (ثقافتنا بين الاصالة والمعاصرة) والذى نعرض له ٠

والكتاب يضم خلاصة فكر وتصور جلال العشرى حول أفرع الثقافة المتعددة ، وهو ينقسم الى مقدمة بعنوان (البحث عن نظرية) وفصل فى النقد الأدبى ، وفصل حول الشعر ، وآخر عن المسرح الشعرى ثم فصل فى الأدب المسرحي وأخيرا فصل عن الرواية والقصة القصيرة ٠

obeikandl.com

أما المقدمة التى وضعها تحت عنوان (البحث عن نظرية) والتى يقول فى أولها : ليس عندنا نقاد يكتبون ولكن عندنا كتاب ينقدون ، فلا يوجد الناقد المتخصص فى هـذا الفن أو ذاك وانما يوجد نقاد هم أصلا كتابه ، يقولون رأيهم فى كل شيء ولأنهم فضلاء بلغ بهم الفضـل ان يكون لهم الرأى فيما يعلمون وما لا يعلمون ٠

ويضيف قائلا : ليس عندنا نقد فالنقد عندنـا شيء أى شيء ، كلام ، مجرد كلام يتراوح مـا بين الكتابـة اللا منهجية والرأى الشخصى الخالص والتعبير لمجرد التعبير ٠

ثم يمضى جلال العشرى يسـتعرض تـاريخ النقد ثم يستعرض الاجيال النقدية المختلفة وما قدمته من مذاهب ومدارس نقدية ، ثم يقدم فى نهاية المقدمة خلاصة ابعاد نظرية النقد فى حياتنا الثقافية وخريطتها الواضحة عبارتها الماضية واتجاهاتها القائمة ٠

اما الفصل الأول وهو بعنوان (فى الفكر الفلسـفى) فبدأه بقسم عن فلسفة الوعى الكونى وبمقدمة يقول فيها : اما ان نفهم ان الكمال المطلق ذات واعية ، واما ان ننفى عنه الوعى وننفى عنه الوجود ، لانه لا كمال بغير علم بالنفس ، فضلا عن العلم بالموجودات ٠ فمن فكر فى الله فكر فى ذاته ومن آمن بالله آمن بذاته ٠

ويطرح القسم قضايا عديدة فهو يبدأ برأى يؤكده وهو ان مؤرخ الفلسفة هو على نحو ما فيلسوف ٠ ثم يعرض العديد من الأسئلة ويجيب عليها مثل هل الايمان ضرورى ؟ وما هى وسيلة الايمان ؟ وموضوع الايمان ، ثم ينتقل الى صفات الله واسس الايديولوجية الاسلامية ٠

اما القسم الثانى فهو (فيلسوف الادب واديب الفلسفة) ويقول فى استهلاله انه بحق انسان يحس ما يفهمه ويفهم ما يحسه ، وهذا هو الفيلسوف ، والفيلسوف الوصفى بصفة خاصة وذاك هو الأديب ، والاديب الفنان على وجه التحديد ٠

اما القسم الثالث وهو بعنوان (شاهد على العصر) فيقول فى مقدمته ، هذه هى حياتنا (ملل فى ملل) اناس يمشون وهم نائمون يمشون دون أن يدروا ، وينامون دون ان يدروا ويقتلون أنفسهم دون أن يدروا ، انهم دائخون ، نيام ، نيام ، والنتيجة هى شقاء أبناء هذا العصر ثم يعرض بالنقد والتحليل لكتاب انيس منصور (وداعا ايها الملل) ويقارن بينه وبين اعمال ادبية اخرى تتناول الملل ٠

أما الفصل الثانى فينتقل فيه الى النقد الأدبى ليقدم فى القسم الأول منه منهج النقد الأيديولوجى والذى يقول عنه الاديب الملتزم هو الذى يقدر مسؤوليته ازاء قضايا الانسان المعاصر وتشكيلات المجتمع الجديد ٠ والفنان الهادف هو الذى يسعى الى قيادة الحياة والمجتمع نحو غايات أبعد مدى ، ثم يعرض المؤلف لفكر ومنهج الدكتور محمد مندور شيخ النقاد ومعاركه النقدية مع الدكتور رشاد رشدى ٠

ويصل فى القسم الثانى الى البعد الرابع فى النقد ، والذى يستهله بقوله : ان الحقيقة التى تفرض نفسها على المتتبع لمسيرة الحياة الثقافية فى واقعنا المعاصر هى انه بعد وفاة سلامة موسى ومن بعده العقاد وبعد توقف طه حسين عن العطاء ظلت خريطة الحركة الثقافية مهتزة المواقع مبعثرة الاتجاهات لا تسجل سوى محاولات فردية تعبر عن ثقافة أصحابها الخاصة ومزاجهم الفردى أكثر مما تصدر عن وعى

شامل بأبعاد التراث وتفاعل حر مع حركة المجتمع • ثم يعرض بعد ذلك لحركة وجهود الاجيال النقدية مستعرضا أهم النقاد وما قدموه •

وفى القسم الرابع الذى يتناول أزمة الأديب من أزمة الناقد، يبدأ بقوله: هكذا أصبح النقد وسيلة للارتزاق وحرفة يمارسها أى جرىء بدلا من أن يأخذ النقد دور الرقابة الصحيحة • وبدلا من أن تساير الحركة النقدية قوى الانتاج الفكرى وبدلا من أن يصبح النقاد فى طليعة حياتنا الثقافية ليميزوا بين الفن واللا فن وبين الأدب واللا أدب ، بين الشىء واللا شىء ، ثم يستعرض العلاقة بين النقاد المبدعين وما فيها من اختلافات ، ثم يقدم لنشاط رجاء النقاش ومواقفه النقدية وأهم اسهاماته •

ثم ينتقل الناقد جلال العشرى فى الفصل التالى الى الشعر ليقدم القسم الأول بعنوان (ثورة على أمير الشعراء) الذى يقول فى مقدمته : ان ثورة العقاد النقدية على شعر شوقى انما هى فى صحيحها أحد أبعاد الثورة العامة التى شنها العقاد ، ولم تكن فى مظهرها الفنى الا مجرد ثورة الناقد الحديث على الشاعر الكلاسيكى الجديد ، ثم يمضى بعد ذلك ليعرض لملامح شعر شوقى واراء العقاد فيه وما قدمه شوقى من تجديد •

الشعر والمسرح

أما القسم الثانى فبعنوان (شاعر الالتزام والاغتراب) ويطرح من خلاله رؤيا لشعر الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتى الذى يقول فى مقدمته : اذا كان لابد للشعر أن يكون دعوة أن يحتضن قضية ويبلغ رسالة فلا بد له لكى لا يصبح دعاية ألا يقع فى هوة الخطابة والمباشرة ، ومن هنا كان

ارتكاز هذا الشاعر على منطق العصر وحاجات البيئة ومطالب الانسان المعاصر ٠

ويصل فى القسم الثالث الى (آمل جديد للشعر الجديد) محللا ومعلقا على ما قدمه شعراء المدرسة الحديثة فى الشعر، وعارضا لنماذج من أشعارهم كما يقول : بدأت أزمة الشعر الجديد باتجاه الكثرة من رواده الأول الى شكل الشعر المسرحى بدلا من شكل القصيدة الغنائية ، ومهما كانت مبررات هذا الاتجاه التحولى ٠ فالذى لاشك فيه ان هذا التحول بمقدار ما كان تأثيره الايجابى فى فن المسرح كان له على الوجه الآخر أثره السلبى فى حركة الشعر ٠

ويترك جلال العشرى الشعر ليدخل فى الفصل التالى للمسرح الشعرى ، ليبدأ حديثه فى القسم الأول تحت عنوان (شاعر فى عين عصره) ليتحدث عن شوقى وعزيز أباظة وما قدماه فى المسرح الشعرى وليقول عنهما : ما يقال عن شوقى يقال مثله عن أباظة ، لأن كلا منهما أراد أن يأتى بشىء جديد فى الشعر العربى الذى خلا تماما من المسرح ، وهو بناء المسرح الشعرى ، ولكن كلا منهما أخطأ حين لم يدرك الفروق الجوهرية بين المسرح الشعرى من ناحية والشعر المسرحى من ناحية أخرى ٠

أما القسم الثانى فهو يتناول (شعر المسرح والشعر فوق المسرح) طارحا ما يقدم على المسرح من تجارب شعرية أمثال تجارب عبد الرحمن الشرقاوى ويقول عنها : الحق ان مسرحية (مأساة جميلة) هى اللمسة الذهبية التى توجت انتصارات الشعر الجديد ، والتى لم تجعل من هذا الشعر شيئا يعبر عن انفعالات فردية محمومة أو فاترة بل جعلته

شعرا له صياغته الفنية المكتملة ، التى فتحت أمامه آفاقا واسعة .. واسعة الى أقصى حد .

ثم يصل فى القسم الثالث الى (شاعر الكلمة والموت) الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور متناولا مسرحه الشعرى، حيث يبدأ حديثه عنه قائلا : الكلمة فى حياة الشهيد من شهداء الفكر هى (القيمة) والقيمة المطلقة التى تجعل للحياة معنى ، والحياة نفسها ليس لها معنى سوى انها سعى كادح نحو هذه القيمة التى هى بمثابة المعنى الكامن وراء الحياة .

ومن المسرح الشعرى ينتقل جلال العشرى الى فصل جديد تحت عنوان (فى الأدب المسرحى) ، ويبحث فى القسم الأول عن مسرح مصرى متناولا فيه مسرحية (الفرافير) للدكتور يوسف ادريس قائلا : الفرفور ليس البطل الاغريقى التراجيدى ، ولا بطل أوروبا السيكولوجى ، ولا بطل أميركا البراغمانى ، وانما هو بطل فولكلورى نابع من باطن الشعب وأعماقه ليعبر عن أدق خلجاته فى سخرية جادة أو جدية ساخرة ، انه صورة ناطقة لابن البلد فى مصر .

أما القسم الثانى بعنوان (دراما التغير الاجتماعى) فيعرض فيه رحلة الكاتب المسرحى نعمان عاشور قائلا : ان رحلة نعمان عاشور الفنية انما هى فى حقيقتها رحلة البحث عن الشخصية المسرحية المصرية ، واللغة التى تعبر عن هذه الشخصية وتصلح لخلق مسرح مصرى فضلا عن بلورة هذه الشخصية والقذف بها فوق خشبة المسرح .

أما القسم الثالث فينطلق فيه الكاتب الى الخارج تحت عنوان (بين المحلية والعالمية) الى الجزائر ليقدم أديبها الشاعر المسرحى كاتب ياسين فيقول : ان الجزائر واحدة قبل

أن تكون عربية أو فرنسية أو بربرية ، أما الآن فتغلب عليها اللغة الفرنسية ولذلك ينبغى العودة الى الينابيع ، الى اللغة العربية التى سبقت هذه المرحلة ، مرحلة الوجود الفرنسى فى الجزائر ٠

ثم يصل فى الفصل الختامى الى الرواية والقصة القصيرة ليبدأ حديثه فى القسم الأول عن الأديب السـودانى الطيب صالح والبحث عن الذات الافريقية فيقول : الالتزام عنـد هذا الكاتب ليس هو الالتزام بمعناه الضيق المحـدود الذى يعتمد على الجانب السياسى أو الاجتماعى وانما هو الالتزام بمعناه الأعمق أو الحضارى الذى يبحث عن الجذور العميقة للشخصية الافريقية والمقومات الحضارية للانسان الافريقى الجديد ٠

أما القسم الثانى فيقدم من خلاله الأديب يوسف الشارونى تحت عنوان (ثلاثية القصة القصيرة) قائلا : كل عمل فنى ايمان بخصوبة الذهن البشرى والحيـاة البشرية والعـالم المحيط بهما ، وأعمال كل فنان تعبر عن مدى هذا الايمان، والعملية الفنية عملية متكاملة تحتوى فى داخلها على الذات المبدعة وهى الفنان ، والموضوع المبتدع هو العمل الفنى ، فضلا عن البعد المتذوق وهو القارىء ٠

أما آخر قسم فى الكتاب فهو يخصصه للمرأة والكاتبة اقبال بركة تحت عنوان (المرأة وأزمة القصة القصيرة) فيقول : ليس يكفى المرأة ، أن تشعر بالحرية ، وانما لابد لها من أن تتحرر بالفعل ، من أن تتمرس بالحرية ، من أن تصرخ بأعلى صوت : أنا حرة ، حتى فى الا أكون حرة ٠

وبعد ، لعلنا بهذا العرض لكتاب (ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة) • نكون قد قدمنا باقة ورد لذكرى مؤلفه الكاتب والناقد جلال العشرى الذى رحل عن دنيانا مؤخرا •

obeikandl.com

الرحيل نحو قرص الشمس ..

أبو بكر خالد

● الموت حق .. والحياة باطلة .

أوائل عام ١٩٧٥ يكـون اللقـاء الأول طالب أنا فى قاعات الدرس .. أستاذ هو فى مجلس علم .. ويكون الحوار حول المسرح .. وتبرز فى الأفق كلمات وشخوص المسرح الشعرى ، الشعر فى المسرح ، شعر المسرح .. أحمد شوقى، عزيز أباظة ، عبد الرحمن الشرقاوى ، صلاح عبد الصبور ، نجيب سرور .. ويتحدث هو .. يبدأ كأنه لن يتوقف .. مزيج غريب من الهدوء والعلم والثقافة والثقة ..

يبهرنى المعلم .. فى نهاية الدرس الأول نقترب نقطع المسافة بين الفصل وبين غرفة العميد .. بعفوية الأب تسكن يده فوق الكتف .. يبهرنى الانسان .. تذوب المسـافات بيننا ..

● الموت حق .. الحياة باطلة ..

obeikandl.com

تتوالى الأيام القصار ·· عين الأستاذ تراقبنى عن قرب ·· أقرأه مكتوبا ·· دارسا وناقدا ومحللا وراصدا ·· يبهرنى العقل ، جوهرة الله فى الأرض ·· ويبهرنى هذا السيل المعرفى المنسوج من خيوط عديدة ·· يضحك فى هدوء وفى شريه أمام تساؤلى ويجيب :

عليك أن تعرف كل شىء أو على الأقل طرف من كل شىء لكى تصبح بداية صحيحة لناقد مسرحى ·· يبهرنى التواضع ·

● الموت حق ·· الحياة باطلة ··

أختار الاخراج المسرحى طريقا ·· يشجعنى بشدة ويصر على هذا ·· قائلا لى : الفنان فى الأصل انتقاء واختيار ·· أى ناقد ، محاولاتك فى النقد ستفيدك كثيرا ·· يتابعنى مؤمنا ·· يبهرنى الأستاذ دائما ·

بغداد ١٩٨٨ · فى الملتقى الفكرى اليومى ·· يعطى له الميكرفون فيملك الاسماع والأفئدة ·· لكن مازال الهادىء الواثق العالم المتواضع تشتد الخلافات الفكرية والتطاحنات ·· ويظل هو رمز الثقافة الرفيعة فخور به أنا ·· والجميع ·· وتتابع اللقاءات الفكرية ·

يبهرنى هذا البعد العربى ··

● الموت حق ·· الحياة باطلة ··

طابور طويل طويل ·· من الأنبياء والسفهاء والمفكرين والجهلاء والكبار والصغار والصفر والحمر والسود ·· الجميع الى حفرة القدر الى جوف الراحلة ··

لكن أبقاهم جميعا فى الذاكرة من يضىء لهذه الجموع شموع على الطريق ··

رحم الله أستاذى جلال العشرى ..

وستظل شموعه الكثيرة .. نقـدا وترجمة ودراسـة ورصدا تنير للكثير طريقهم ..

ويظل للدمع جدواه ..

وللقلب أوجاعه ..

وللوجدان .. ذكريات عن الأستاذ الصديق .

obeikandl.com

الرحيل .. فى سن العطاء

حسين الحبروك

فقدت الأوساط الأدبية الفيلسوف والناقد جلال العشرى الذى كان كتابه الأول عن حقيقة الفلسفات الاسلامية، رغم انه لم يكن قد حصل على شهادة الليسانس فى الآداب (قسم الفلسفة) وكان هذا الكتاب بمثابة انطلاقة له فى النقد والترجمة مرة فى الفلسفة وأغلب المرات فى المسرح ثم الرواية . وألقى الأضواء على المسرح والمسرح السياحى . حيل وراء جيل .

لقد راح العشرى كالشهاب الذى استطاع بقدراته أن يكسب لنفسه قلما من الأقلام الأولى بين النقاد . ولم يقصف هذا القلم حول القضية التى طالما أثارها ، ولم يسعفه العمر كى يقول فيها آخر كلماته ، وهى قضية الاقتباس التى أثارها فى أكثر من مقال . والتى تحدث عنها فى أكثر من ندوة . وخصص عنها أكثر من حلقة من برنامجه المشهور « تياترو » وان كانت هذه هى آخر معاركه فى حياته فلن تكون الأخيرة فى معترك النقد المسرحى والأدبى .

اذا كان الفيلسوف والناقد قد رحل عن عالمنا فان قلمه قد ترك لنا العديد من الكتب . خاصة كتابه الأخير عن عباس العقاد . وهو الكتاب الذى وعد وزير الثقافة فاروق

خسنى أن تتولى الهيئة العامة للكتاب طبعه • كما وعد أيضا أن تقوم الهيئة بطبع ثلاثين مقالا من مقالاته فى النقد كان الكاتب الراحل يشعر انها تستطيع أن تجعلها وحدة واحدة عن « فلسفة النقد وأصوله » ••

ورغم ان الكاتب والناقد جلال العشرى قد رحل وهو دون الخمسين الا انه استطاع آن يرأس مدرسة جديدة فى النقد تجمع بين الفلسفة والنقد • والتى استطاع من خلال تدريسه بمعهد الفنون المسرحيـة لمادة النقـد التطبيقى أن يقدمها لتلاميذ الأمس ونقاد اليوم • وذلك من خلال كتابه عن « المسرح أبو الفنون » الذى كان مقررا على طلبة المعهد• والذى تحدث فى مقدمته عن العرب والأدب المسرحى • ولم يكن التدريس هو حبه الوحيد • فلقد كانت جولاته الصحفية من خلال عمله بمجلة الاذاعة والتليفزيون فى بابه الثقافى « بالألوان » هذا غير العديد من نشاطاته فى الصحافة الأدبية والاذاعة والتليفزيون والندوات فى المحافل الأدبية المختلفة•

ومما لا شك فيه ان تلك الفترة التى شارك فيها العشرى كتلميذ فى مدرسة العقاد ومشـاركته فى ندواته قد أثرت فى فكره وفى تكوينه وفى أسلوبه الرشيق ••

أرهقناه كثيرا ·· !!

محمد عبد الله عيسى

الملمح الأول :

لانه فارس (الكلمة) بلامنازع ·· ومفكر (الغـد) المنتظر ·· فقد كان الجميع هنا يحسبون للقائه ، الذى جاء يوم الثلاثاء ٣ سبتمبر ١٩٨٥ فى المهرجان الذى اقامه نادى الأدباء بالاسماعيلية للاحتفاء بالناقد والمفكر الكبير فى أول زيارة له للمحافل الأدبية بالمدينة وتحدث يومها عن (واقع المسرح المصرى ومستقبله) ··

ومن كلماته المأثورة فى هذا اليوم :

(··· أعترف بأن هناك آزمة فى النقد فليس عندنا أقلام نقدية حقيقية الا قلة قليلة تعـد عـلى أصـابع اليـد الـواحدة ·· عندنا كتـاب ينقـدون وليس عنـدنا نقـاد ينقدون ··) ·

(·· ان أزمة المسرح الراهنة تتلخص فى وجود مسرح بلا جمهور وجمهور بلا مسرح ··

obeikandi.com

مسرح الدولة بلا جمهـور ورغم أنه يقـدم فنا نظيفا يعرض عنه الجمهور ·· ومسرح القطاع الخاص يؤمه الجمهور ولكن لا شيء له قيمة يقدم فيه ··) ·

أما ما يحسب للرجل فى هذا النقاء · انه استطاع أن يجمع حوله بين أدباء الاسماعيلية وفنانيها المسرحيين لأول مرة معا فى تاريخ الحركة الثقافية بالمدينة ··

نعم ·· فالكل يحبونه ··

الملمح الثانى :

لقد دأب الرجل على التردد على الاسماعيلية التى أحبها وأحبته ·· يثريها بعطائه الوافر الممتد ·· كان شلالا من الثقافة والوعى ونبعا من الحنان والحب والدفء ·· هكذا عرفناه ·· كتابا مفتوحا نقرأه فى كل حين حتى عدنا نردد فى حضرته : (الكلام من فمك ·· منسق ·· موضوعى ·· فلسـفى ·· وثائقى ·· يعنى الى المطبعـة مباشرة) ·· فيبتسم فى حياء ولا يزيد ··

أدار الكثير من اللقاءات الأدبية الهامة وناقش بعض الأعمال الابداعية منها على سبيل المثال :

١ ــ تمساح البحيرة للأديبة اقبال بركة
(فى لقاء نظمه الصالون الثقافى فى ١٩٨٦/٤/٢٢)
٢ ــ آه يا بلد للأديب فتحى الابيارى
(فى لقاء نظمه نادى الأدباء فى صيف ١٩٨٧)

أما ما يحسب للمفكر الانسـان فى هـذا الصدد انه استطاع ان يجمع أقطاب الحركة الثقافية فى المدينة حولة مرة أخرى ·· وبابتسامته أزال جبال الجليد المتراكمة والتى

كانت تقف حائلا بين الاجتهادات الجادة المخلصة التى يبذلها :

(أ) نادى أدباء الاسماعيلية (بريادة الأستاذ / سناء الحمد بدوى رئيس النادى فى ذلك الوقت) ..

(ب) صالون الاسماعيلية الثقافى (الذى يديره الأستاذ / عبد الرحمن نور الدين مدير الثقافة الجماهيرية بالاسماعيلية فى نفس الزمن) .

لقد استطاع أن يوحد القلوب ويؤلفها من أجل اثراء الحركة الأدبية والثقافية والفنية بالمدينة .

وانتهى الأمر بأن قاما نادى الأدباء والصالون الثقافى بتكريم الفنان الكبير والناقد الرائد جلال العشرى فى صيف هذا العام ابريل ١٩٨٨ ـ فى لقاء مشترك بينهما ـ تقديرا لجهوده ووفاء وعرفانا بتدخله الطيب الحميد لحسم ذلك الصراع حول ريادة الحركة الثقافية والذى ظل فترة من الزمن يشغل الحقل الثقافى بالاسماعيلية .

.. .. ..

.. .. ..

وبعدها سافر الأديب (سناء الحمد بدوى) للعمل بالسعودية وأرسل الى صديقه الفنان (عبد الرحمن نور الدين) عقدا كى يلحق به ..

ولعلهما هناك الآن يذرفان دمعة حب مشتركة فى وداع رجل استطاع أن يؤلف بين قلبيهما ..

.. .. ..

.. .. ..

وجاء الأديب (نحاس راضى) رئيسا لنادى أدباء الاسماعيلية ..

والفنان (وهبة زكرى) مديرا للصالون الثقافى وكنت قد اتفقت معهما ومعه ومع الصديق الصحفى مصطفى عبد الله ·· لتنظيم لقاء لكن الرجل أخلف الموعد ·· وجلسنا وحدنا ·· نبكى انسانا قلما يجود الزمن بأمثاله ·· فوداعا صديقنا جلال العشرى ··

(بكسر العين وفتح الشين)

الملمح الثالث (خاص جدا) ث

عندما أصدرت روايتى الأولى (الخروج) عام ١٩٨٢ فى طبعة محدودة على نفقتى قمت بتوزيعها شخصيا على الزملاء المبدعين والأساتذة النقادللوقوف على تجربتى الأولى· ولما كنت آخاف اسمه الكبير ــ خاصة وهو يحاور أستاذه وأباه الروحى الدكتور زكى نجيب محمود ــ فقد اكتفيت بارسال الرواية اليه بالبريد ·

وكم أسعدنى صوته وهو يأتينى عبر الأثير من خلال برنامج (مع الأدباء الشبان) الذى تقدمه الفاضلة هدى العجيمى ، يعرض للرواية ويربت على ظهرى ويهمس فى أذنى ببعض الملاحظات ·

·· ·· ··

·· ·· ··

وسافرت الى السعودية فى رحلة عمل · ووصلنى خطاب من الصديق الأستاذ مصطفى عبد الله يحمل لى تهنئة الراحل جلال العشرى على روايتى مرفقة بما كتبه عنها فى افتتاحية بابه الأسبوعى (ثقافة بالألوان) بمجلة الاذاعة والتليفزيون بتاريخ ١٣ أغسطس ١٩٨٣ ·

وانكمشت خجلا أمام هذا العطاء الصادق النقى لرجل يقدم النصح والرعاية والحنان لانسان لم يعرفه بعد ·

وعدت أحبه أكثر وأكثر ..

جلال العشرى لم نفتقدك .

الملمح الرابع (ابتسامته تذيب الجليد) :

بعد أن توطدت أواصر الصداقة والحب بينى وبين أستاذى قدمت له مخطوطة روايتى الثانية (القبو) ليلحقها بدراسة نقدية تمهيدا لتقديمها لسلسلة (اشراقات أدبية) . فأخذها . وعكف بدوره على اعداد الدراسة .

هكذا يفعل مع كل مبدعى جيلى .. وقدم الدراسة الى المشرفين على السلسلة . ففوجىء بأن دراسة أخرى للأستاذ الناقد محمد محمود عبد الرازق قد ألحقت بالفعل بطبعة الرواية .

وأحسست من برودة الموقف أن جبلا من الجليد يدفننى تحته .. لكن ابتسامته أذابت الجبل الذى يدثرنى : (لا عليك .. سوف تنشر فى مكان آخر) . وقد كان ..

ويتكرر هذا الموقف مرة أخرى مع الزميل الأديب مصطفى نصر عندما أعد له جلال العشرى دراسة عن رواية (الهماميل) ليقدمها لنفس السلسلة (اشراقات أدبية) فاذا بالرواية تصدر عن سلسلة (روايات الهلال) وكانت ابتسامة الرجل مرة أخرى .

.. .. ..

.. .. ..

رحم الله جلال العشرى .. فقد أرهقناه كثيرا ونحن لا نعرف انه كان يودعنا فى تلك الرسائل الحانية التى يسربها لنا .

النقد الأدبي وشجاعة ناقد

محمد هزاع

.. فقدت الأوساط الأدبية والنقدية فى مصر قلما فذا .. حادا فى سكونه .. شجاعا فى حركته .. ذلك هو الناقد المبدع « جلال العشرى » أسس منذ نشأته الأولى مبدأ لم يحد عنه كان ذلك هو مبدأ النقد البناء الذى شيده على دعائم متينة قوامها العلم والمعرفة . لم يقف به عند حد الهواية ، ولم تجرفه غواية المجاملة ، أو سيطرة المصالح الشخصية ولم يندفع وراء العلاقات التى تلوى عنق القلم فى يد الناقد ، بل كان فى قوة نقده وبيانه يرتفع فوق كل المؤثرات وينأى به عن كل التيارات التى طالما وقف لها ندا عنيدا .

.. يقول الناقد الراحل جلال العشرى : عندنا نقاد « ملاكى » بحيث من السهولة أن نسأل : من هذا الكاتب لأقول لك من هو نقده . فعمل الناقد أن ينقد عمل غيره ، فيحلله ويضعه فى الميزان . البعض منهم يحسب للسانه اللاذع . وسخريته المرة ألف حساب وحساب .. والبعض

يطلق كلمته جارحة قاسية تجرح كالسكين ·· والبعض يلف بك لفة طويلة قبل أن يعلن لك رأيه ·

وهؤلاء يتبعون مذهب « أين آذنك يا جحا » والبعض مغرم بأن يستعرض ثقافته وعضلاته فيبعد بك عن الموضوع ·· والبعض ينصبون أنفسهم قضاة فيطلقون أحكام الاعدام ·

obeikandl.com

القناع والمسرح .. ووفاة ناقد متجول

محمود قاسم

ظل جلال العشرى فى حالة تجـوال دائم بين كواليس المسرح يفتش فى أروقته عن أسراره .. ويتمتع بنصوصه التى تتشكل يوما وراء يوم الى أن تعرض على الجمهور ..

وقد سمعت العشرى يردد يوما عن عـلاقته بالمسرح : أنا ابن خشبة المسرح صنعت نفسى من دقاته .. وعشقت ديكوراته .. ولا يمكن للنـاقد المسرحى أن يكتب كلمـة واحدة صادقة الا اذا التصق بفنون المسرح التصاقا حميما وتابع المسرحيات بدءا من كونها كلمات مسطورة فوق أوراق الى أن تصبح عملا متكاملا يراه الناس فوق الخشبة ..

من هذا المفهوم دخل جلال العشرى الى عالم المسرح .. وكرس قلمه فى غالب انتاجه النقـدى للمسرح فى المقـام الأول .. وراح يؤكد هذا الحب فى العـديد من أنشـطته الحياتية فهو وراء المسرح فى عروضه المحلية والعربية .. ويجوب الاقليم من أجل مشاهدة ابداع أبنائها .. ويتجول

أيضا بين أهم النصوص المسرحيـة العالمية ليختـار منهـا ما يعجبه ويقوم بترجمته الى اللغة العربيـة • مسرحيـات لسارتر وبيكيت وادوار البى وجون اسبورن ويوجين أونيل •• فضلا عن أكثر من عشرة عناوين من «المسرح أبو الفنون» الى « سقوط الأقنعـة » و « تيـاترو فى النص المسرحى » و « المسرح •• وجه وقناع » ثم « المسرح •• فن وتاريخ » •

وقد آمن جلال العشرى دوما أن المسرح هو « أبو الفنون» لأن فيه ـ وعلى ضوء نظريته العامة ـ نشأت فنون الشـعر والموسيقى والأوبرا والباليه وغيرها من الفنون ولذا فانه يحتاج الى وقفة أطول وأعمق ففى شرقنا الفنان نشأ المسرح ربيبا للدين فى حضن المعبد ولد وعلى أرض الوادى كتبت له الحياة • والدراما اليوم اذ تعبر عن يقظة الفن وصحوة القيم فى الضمير الذى وقفته من قبل •• من آلاف السنوات• منذ أن كان الانسان ••

وفى آخر كتب جلال العشرى « المسرح •• وجه وقناع » الذى أعد الكاتب لمساته فى مرضـه الأخير • راح العشرى يختار كلمة تمهيدية يغالب بها مرضه الذى يعرف سلفا انه يقوده الى السماء •• فاختار عبارة وردت على لسان أحـد أبطال مسرحية « لازاريوس يضحك » ليوجين أونيـل الذى ترجم له من قبل مسرحيتين وفحوى هذه العبارة انه « اضحك ـ اضحك ! ليس هناك الا الحياة ! ليس هناك الا الضحك ! لم يعد للخوف مكان ، فالموت •• مات ! » •

والكتاب عبارة عن رؤى نقدية للنـاقد المتجـول الذى راح يتابع العديد من المسرحيات المتباينة الأهمية بعين الناقد الجاد والعاشق فهو يمتلك قلما حادا كمشرط الجراح لا يبتر •• ولكنه يسعى من أجل التئام الأعضاء •• مؤمنا أن الحنين

الى المذاق الفنى المتميز الذى ينبغى أن يعكسه كل مسرح من خلال شخصيته الاعتبارية المستقلة ومن خلال قيادته الفنية صاحبة الفكر الدرامى الواضح ، والأسلوب التمثيلى المتميز هو الذى أدىالى طرح هذه الفكرة منأجل ما يسمى باستقلالية البيوت المسرحية ٠

وفى مقدمة كتابه راح جلال العشرى يعبر عن رأيه فى « البيت المسرحى » وينظر عن نجاح فكرة هذا البيت قديما وحديثا ٠٠

فى هذا الكتاب تابع جلالالعشرى قرابة ثلاثين مسرحية من الانتاج الحديث ٠٠ من مختلف الانتاج المسرحى الذى ظهر على الساحة فى السنوات الأخيرة ٠٠ ولأن الناقد هو نتاج لما يعرض ولا يشارك بشكل فعال فى انتاج المسرح أو الابداع المسرحى الا من خلال قلمه فان جلال العشرى قد راح وراء هذه النصوص يتحدث عنها بحيادية كاملة فقلم الناقد وفكره وتنظيره لما يحدث من ظواهر ٠٠ مؤمنا بما قاله الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر « اننى مسئول عن كل شىء ومسئوليتى تمتد حتى الى تلك الحرب التى اشتركت فيها كما لو كنت أنا الذى أعلنتها » ٠

وهذه العبارة التى قالها سارتر فى كتابه « الكلمات » قد استعان بها العشرى وهو يعرض احدى المسرحيات ٠٠ ومع هذا فهى تعكس سلوك هذا الناقد الجاد ازاء أشياء عديدة قاصة فى المسرح ٠٠ فهو مثلا يرى أن مسرحية « المهزوز » التى كتبها لينين الرملى هى فى العموم « عمل فنى مهزوز أو هى صورة مهزوزة للفنانالامع محمد صبحى والكاتب البارع لينين الرملى » خاصة انه كان فى وسع الاخراج أن يحافظ على وحدة الايقاع بين فصول المسرحية

الثلاثة حيث بدا الفصل الأول أطول بكثير من كلا الفصلين الثانى والأخير ..

وقد رأى جلال العشرى فى كتابه أن من الخطر أن «يظن البعض أن الجديد هو كل شىء وأن القديم لا مكان له فى هذا العصر وان من يأخذ بأساليب الماضى لا يسمع لرنته صدى ولا رنين » ويرى العشرى من خلال تناوله النقدى لمسرحية « عالم يهوس » من تأليف أحمد حلمى انه من الأهمية أن نأخذ من القديم ما يتناسب مع ايقاع الحاضر .. ونأخذ من الحاضر ما يتناسب وقيمة التراث وأخلاق الأسلاف .. وهى نفس الفكرة التى سبق له تناولها بالتفصيل فى كتابه الهام « ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة » .

من بين المسرحيات التى ناقشها الناقد جلال العشرى « الأستاذ » من تأليف سعد الدين وهبة ومسرحية « اللى عنده كلمة يلمها » لاحمد الابيارى والتى يقول عن اخراجها انه « قد تحسب للمخرج سرعة الايقاع والقدرة على توليد الكوميديا من داخل النص وتقديم كل من الممثلين نجاح الموجى وأحمد بدير فى أروع حالاتهما الكوميدية والمقامرة بتقديم اسم جديد هى تيسير فهمى التى تكاد تقف لأول مرة فوق خشبة المسرح صحيح هذا كله . ولكن الصحيح برغم هذا كله ، هو أن المخرج كمال يس كان ولا يزال أكبر بكثير من مثل هذا العرض » .

وتحت عنوان «رغبة تحت شجرة الاعتراف» وهو عنوان أونيلى الاسم تحدث جلال العشرى عن مسرحية « سبعة تحت الشجرة » لوحيد حامد يقول « قد نأخذ على الحدث الدرامى عدم تطوره فضلا عن سكونيته أو استاتيكيته فهو حدث جامد

لا يتحرك ولا يتطور اللهم الا فى نهاية المسرحية التى تنتهى بمصرع سمير على حافة تلك الآلة الحادة • مما جعل المسرحية تبدو وكأنها مجموعة من المونولوجات الفردية التى يلقيها كل من السبعة هناك عند شجرة الاعتراف » •

وفى مكان آخر من نقده عن المسرحية يرى العشرى انها بكل ما فيها من ايجابيات وسلبيات تعد عملا جادا وجيدا فى محيط من الركاكة الفنية والنصوص المسرحية •• وهى شهادة ميلاد لكوكبة شابة واعدة وصاعدة تبشر بالعطاءالوفير فى مستقبل مسرحنا الحديث » •

وعن مسرح الطليعة خصص الناقد الراحل جلال العشرى دراسة عن مسرحية « الحصان » التى تمثل تجربة جريئة ومثيرة بالاتجاه نحو المونودراما • أو دراما الممثل الواحد • ذلك الفن الذى لا يغشاه الا من كان مولعا حقا بالفرجة المسرحية لا بقصد الترفيه الحسى الرخيص ولكن من أجل التذوق الفنى الرفيع ••

ويقول جلال العشرى أن سناء جميل قد استطاعت أن تبقى المتفرج ــ فى هذه المونودراما ــ فى الجو الذى أراد المؤلف أن ينقله اليه وبعد أن خلقت هذا الجو بصدقها ولم يستطع الجمهور اللاهث أن يسترد ارادته الا عند انتهاء العرض • عندما غادرت خشبة المسرح • انها لم تقم بأداء دور تمثيل وانما ألقت علينا محاضرة فى فن الأداء المسرحى •

وعن مسرحية ريا وسكينة •• لسمير خفاجى يقول الناقد جلال العشرى أن المؤلف قد نجح فى تخفيف حدة المأساة باضفاء العنصر الكوميدى سواء فى بعض المواقف أو

فى بعض جمل الحوار وفى اضافة جانب الترويح سواء فى بعض الأغانى أو فى بعض الاستعراضات ٠

غير أن نجاح المؤلف الحقيقى ـ كما يرى العشرى ـ يتمثل فى تبرير سلوك الاختين ريا وسكينة بابراز الدوافع النفسية لارتكاب الجريمة وتهيئة الظروف الاجتماعية التى دفعت بهما الى مثل هذا السلوك الاجرامى ، هذا بالاضافة الى قدرته على اطلاق الحدث الرئيسى فى الوقت الدرامى الملائم وتطوير مراحل الحدث على امتداد المسرحية بالاضافة كذلك الى حفاظه على الواقع التاريخى من خلال الشخصيات وجمل الحوار وأسلوب التعبير بوجه عام ٠٠

وعن مسرحية « المهزلة الأرضية » للدكتور يوسف ادريس التى أعيد عرضها عام ١٩٨٣ تحت عنوان « المهزلة » يقارن الكاتب بين النص الذى كتبه المؤلف والمعالجتين اللتين ظهرتا على خشبة المسرح الأولى فى عام ١٩٦٦ والثانية منذ خمس سنوات ويرى الكاتب أن القصة فى جوهرها هى قضية المناخ الفنى أو الثقافى الذى تزدهر فى ظله أوجه النشاط المختلفة فتتنافس الآراء وتتبارى الأفكار وتلتهب الرؤى حرصا على التجديد ورغبة فى التجويد وتطلعا الى عهد آخر يختلف عن عهود ما قبل الثورة ٠٠

ويرى الكاتب أن دخول كاتب كبير من طبقة يوسف ادريس حلبة المسرح التجارى يعد بلا شك كسبا كبيرا لهذا المسرح بعد أن أصبح بحكم الأمر الواقع هو المسرح الجماهيرى أو المسرح الذى يغشاه الجمهور » ٠

كما تناول جلال العشرى فى نفس الكتاب مسرحيات

أخرى منها « الواد سيد الشغال » لسمير عبد العظيم ، و « بداية ونهاية » لنجيب محفوظ و « على الرصيف » لنهاد جاد وغيرها من النصوص التى شهدت خشبات المسرح عرضها حديثا ..

obeikandl.com

٠٠ ورحل العندليب

مصطفى عبد الله

ورحل فيلسوف الغد كما كان يسميه أستاذه العقاد ٠٠ ورحل العندليب كما كان يسميه أصدقاؤه ٠٠ ورحل الناقد الكبير جلال العشرى الذى أبدع نقدا وتنظيرا على مدى ثلاثين عاما فى مجال الابداع الأدبى والدرامى والفكرى ، فضلا عن عطائه المتميز فى مجال الترجمة والنقل عن الآداب العالمية ٠

رحل جلال العشرى بعد معاناة غير قصيرة مع المرض الذى لم يستطع جسده أن يقاومه فتليف كبده وازداد افراز الصفراء فى جسمه وراح فى غيبوبة حتى فاضت روحه الى بارئها ، وكان قد نقل الى المستشفى عندما أحست زوجته الدكتورة نورا أنه لم يعد يقدر على بذل الجهد حتى فى الكلام، وانتظر فى المستشفى عودة طبيبه الدكتور ياسين عبد الغفار من رحلة بالولايات المتحدة ، لكن الحالة كانت تسوء ولفظ أنفاسه الأخيرة قبل عودة الطبيب ٠

وعلاقتى بجلال العشرى كانت تحيطها خصوصية ربما لم تتكرر مع غيره من الأدباء أو النقاد • فقد سمعت اسمه يتكرر فى محيط الأسرة بين أعمامى الذين كانوا أصدقاء عمر له بحكم الجيرة • ورأيته لأول مرة فى عام ١٩٧٢ عندما التحقت بقسم الأدب المسرحى والنقد بمعهد الفنون المسرحية وكان هو يدرس مادة النقد التطبيقى • ودرست كتابه (المسرح أبو الفنون) الذى كان كتابا مقررا ولن أنسى المناقشة الطويلة التى دارت لشهور حول مقدمة الكتاب عن العرب والأدب المسرحى • ومن خلال العشرى تعرفت على منهج نقد العرض المسرحى • ومنه تعرفت بعد ذلك على خريطة أجيال المبدعين فى مصر (جيلا وراء جيل) واقتربت من (ثقافة هذا العصر) وقرأت معظم النصوص المسرحية الغربية التى ترجمها بأسلوبه المتميز الى اللغة العربية فعكف عليها طويلا يقابل المعانى والألفاظ الغربية بمثيلاتها العربية من أجل أن نتعرف على أهم اتجاهات المسرح العالمى : (القرد الكثيف الشعر) و (الاله الكبير براون) ليوجين اونيل ، (انظر وراءك فى غضب) لجون اوزبورن ، (كل شىء فى الحديقة) لادوارد ألبى فضلا عن ترجماته من الوجودية الى العبث لسارتر وبيكيت •

ولجلال العشرى حوالى ٢٥ كتابا ما بين التأليف والترجمة فى مجال المسرح والفكر الفلسفى والنقد الأدبى •

وهو من مواليد المحلة الكبرى حصل على الشهادة الثانوية من مدرسة خليل أغا بالقاهرة وتخرج فى قسم الفلسفة من كلية الآداب بجامعة القاهرة ، وعقب تخرجه عمل بالصحافة فكتب بجريدة الشعب وصحف أخرى ثم انتقل الى مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ثم

أصبح الناقد الأدبى والفنى لمجلة الاذاعة والتليفزيون وقد كان يقدم قبل مرضه بابا بعنوان (ثقافة بالألوان) ٠

ألف أول كتبه وهو فى الليسانس وكان عن (حقيقة الفلسفات الاسلامية) وشارك في ترجمة (الموسوعة الفلسفية المختصرة) ٠

وقد تعرف على ندوة العقاد وشارك فيها ٠ وهو طالب فى الثانوى ودأب على حضورها ٠ وبعد رحيل العقاد أسهم بمقاله فى الكتاب التذكارى الذى أصدره تلاميذه بعنوان (العقاد دراسة وتحية) ٠٠ وقد كان جلال العشرى يحدثنى فى الفترة الأخيرة عن كتابه الذى انتهى منه بعنوان (العقاد والعقادية) وهو من الكتب التى وعد فاروق حسنى وزير الثقافة عندما حضر لتقديم واجب العزاء فى الفقيد بصدوره فى أقرب وقت مع بقية كتبه التى تحت الطبع الآن بهيئة الكتاب ٠ وقال الوزير ان كل مثقف يدرك الدور الذى لعبه الراحل جلال العشرى فى حياتنا الثقافية ، وأضاف ان الوزارة كانت تعد بسفره للعلاج بالخارج الا آن الأطباء نصحوا بضرورة عدم الحركة بعد اصابته بالغيبوبة ٠

وجلال العشرى من النقاد الذين يمتلكون ثقافة عميقة ٠ وقد ساعدته دراسة الفلسفة وأكسبته منهجا يتعامل من خلاله مع الابداع أدبيا كان أم فنيا ٠ وعلى الرغم من انه لم يدرس المسرح أكاديميا الا انه كتب فى النقد التطبيقى مقالات ودراسات تعتبر مراجع فى هذا المجال جعل المعهد العالى للفنون المسرحية يستعين به لسنوات طويلة لتدريس النقد التطبيقى لطلبته ٠

وقد تتلمذ على يديه جيل بأكمله من النقاد الشبان وفنانى المسرح والسينما اللامعين ٠

واذا كانت الفلسفة قد منحته الأساس فان العقاد بمدرسته قد منحه القدرة ودفعه الى أن يختار باستمرار الطريق الصعب ليسير فيه ٠ مما جعله يكتب فى مقالته التى حيا فيها العقاد بعد رحيله هذه السطور ٠

« كأنما العقاد لم يكن أستاذا بل كان جامعة بأكملها ، ولم يكن فردا بل كان جيلا بأسره ، ولم يكن رائدا بل كان حضارة نحن ورثتها وان تفاوت حظنا فى هذا الميراث فنحن جميعا بطريقة مباشرة أو غير مباشرة متأثرون بالفكر العقادى من حيث انه كان ثورة من أعمق ما عرفته العربية من ثورات فكرية ، ومن حيث انه كان استعادة العقل سلطانه على نفسه ، ومن حيث انه كان نصرا حاسما فى الطريق المؤدى بالانسان الى التحرر الروحى » ٠

وقد كان جلال العشرى ـ رحمه الله ـ محبا لأستاذه بارا به ٠ فقد التقينا ربما على مدى عشر سنوات فى أسوان فى شهر مارس من كل عام حول ذكرى العقاد ٠ كما التقينا فى داره بمصر الجديدة نستعيد كلماته وأفكاره ٠

هذا ونتمنى أن يهتم الأدباء الشبان الذين كتب عنهم جلال العشرى وعرف القراء بهم ، ان يهتموا باحياء ذكراه ويوضحوا قيمة ما بذل من جهد وفى هذا تسديد لما استدانوه منه وتأكيد لمعنى التواصل فى الحياة الثقافية ٠

وقد حضر لتلقى العزاء فى الفقيد معظم نقاد مصر وأدبائها وشعرائها ورجال المسرح ممن ارتبطوا به وتعاملوا معه على مدى ٣٠ سنة وكان الحزن باديا عليهم جميعا بعد أن رحل العندليب ٠

● مرثية الى الراحل جلال العشرى ●

وكيف نراك اليـوم تمضى مفـارقا
وكنت على طـول الطـريق مرافقا

تطاردنا الأهـوال من كـل وجهـة
تطـول الدروب بنا وتضحى مفارقا

وكيف أصوغ قصيدتى فيك مرثيا
وشعرى يتيه على جنـاحك شـائقا

(جلال) وغرسـك يانع فى ربوعنـا
وبين المروج يلوح غرسـك سـامقا

وكنت اذا مـا جانبتنـا سـحائب
تدفقت عـذبا فى ثرانا ورائقـا

عتيا ·· صبورا ·· لا تميل لمحنـة
نـرى فيـك قلبـا بالمحبـة غادقا

تهب عليك الـريح تلقى غبـارها
فتغـدو نسيما فى ربوعك عابقـا

فجعنـا ولـم يرحم فراقك صـاحبا
ولا عازلا عنـد الضريح تعانقـا

مررت بنا كالحلم أغرى جفوننا
ولمـا أفقنـا كيف غافلت بارقـا

اسماعيل عقاب

رحل فى قمة العطاء ومقتبل العمر !

فتحى العشرى

منـذ كان طالبا فى الابتدائى وهو يتزود بالزاد الثقافى، ينهل بنهم شديد كتب التراث والأدب والسير والقرآن الكريم وكذلك كتب الفلسفة والمنطق باللغتين العربية والانجليزية

ومنذ كان طـالبا فى الجـامعة ـ كلية الآداب جـامعة القاهرة قسم الفلسفة وهو يعطى فقد أصـدر كتابه الأول « حقيقة الفلسفات الاسلامية » ثم استمر يكتب المقالات فى الصحف والمجلات ويشترك فى الندوات الاذاعية والتليفزيونية والعامة ويحاضر فى أكاديمية الفنون وقصور الثقافة ويعد البرامج الاذاعية والتليفزيونية وآخيرا برنامجـه الشـهير « تياترو » ثم يصدر الكتب حتى وصل انتاجه الى خمسـة وعشرين كتابا وأكثر من خمسـة كتب مازالت تحت الطبع وأهمها كتب عن العقاد وزكى نجيب محمود وآنيس منصور ·

وكان من رواد ندوة العقاد وتلميذا قريبا ونجيبا لزكى نجيب محمود وصديقا حميما لمصطفى محمود وآنيس منصور

ومحمد جلال وسمير سرحان ومحمد عنانى وزميل كفاح لمجموعة الأدباء بمجلة الاذاعة والتليفزيون سامى السلامونى وخيرى شلبى وحسن محسب ومجدى نجيب ومحمد الغريب وكرم شلبى وسكينة فؤاد وكان آستاذا رائدا لمجموعة من النجباء أولهم (أنا) وآخرهم مصطفى عبد الله ٠

كان ناقدا موضوعيا ومع هذا أحبه الجميع الذين امتدحهم والذين انتقدهم من كتاب : نجيب محفوظ ، عبد الرحمن الشرقاوى ، يوسف ادريس ، زكى نجيب محمود ، أحمد بهجت ، مصطفى محمود ، سعد الدين وهبة ، الفريد فرج ، رشاد رشدى ، ميخائيل رومان ، صلاح عبد الصبور ، نعمان عاشور ، توفيق الحكيم ، أمينة الصاوى ، محمد سلماوى ، شوقى عبد الحكيم ، عزت الأمير ، لويس عوض ، البياتى ، نزار قبانى ، على سالم ، لينين الرملى ، أبو العلا السلامونى ، يسرى الجندى ٠٠ ومن فنانين : سعد أردش ، جلال الشرقاوى ، نبيل الألفى ، زكى طليمات ، أحمد زكى ، أحمد عبد الحليم ، سمير العصفورى ، محمود الألفى ، عبد الرحمن الشافعى ، عبد الرحيم الزرقانى ، عبد الغفار عودة ، فهمى الخولى ٠ ٠ثم سميحة أيوب ، سناء جميل ، سهير البابلى ، سهير المرشدى ، محسنة توفيق ، سهير البارونى ، شويكار ، نيللى ، لبلبة ، فردوس عبد الحميد ، برلنتى عبد الحميد ، وعبد المنعم ابراهيم ، توفيق الدقن ، عبد الرحمن أبو زهرة ، محمود ياسين ، نور الشريف ، محمود عبد العزيز ، فاروق الفيشاوى ، حسين فهمى ، مصطفى فهمى ، محمود الجندى ، عادل امام ، سعيد صالح ، أحمد زكى ، يونس شلبى ، فؤاد المهندس ، أبو بكر عزت ،

سيد زيان ، محمد نجم ، سمير غانم، محمد صبحى ·· وغيرهم وغيرهن ··

وها هى كتبه وكتاباته النقدية شاهدة على كل ذلك ، وها هن وها هم المعزون يؤكدن ويؤكدون كل ذلك ··

لقد سجل على مدى ثلاثين عاما الحركة الثقافية بما فيها الحركة المسرحية بايجابياتها وسلبياتها بكلمة شجاعة وعبارة أدبية وفكرة صائبة وتحليل دقيق ورصد كامل واستشعار للمستقبل القريب والبعيد ··

وكان مخزونه لا يزال عامرا بمزيد من العطاء لولا المرض المفاجىء والرحيل المفاجىء وهو لا يزال فى مقتبل العمر وقمة العطاء تاركا شقيقا هو بمثابة الابن والتلميذ والصديق ، وزوجة فى ريعان الشباب سهرت الأيام والليالى تحاول استبقاءه الى جوارها هى وابنتاه ، احداهما كانت تستعد للتلمذة على يديه لاستكمال مسيرته وخلافته فى عالم الثقافة والأدب فلعلها تنهل من مكتبته الضخمة لتحقق فى المستقبل أمله ورؤيته ليظل اسمه خالدا فى سجل الفكر كما سيبقى خالدا فى شغاف قلوبنا جميعا ··

له الرحمة والذكرى العطرة ولنا الصبر والعوض ·

جلال العشري

قبل الرحيل

obeikandl.com

obeikandl.com

جيل وراء جيل

د٠ حسين مؤنس

● نموذج يبشر بالخير لأدب جيل مبارك من شباب الفكر تنتظر منه كل خير ٠

خير ما نقرأ من الكتب هو ما تشعر وانت تطالعه انك كنت بحاجة اليه ، فأنت تستمتع به لانه يسد فراغا عندك ويضيف اليك علما ، فاذا كان الكتاب مصوغا فى قالب علمى دقيق رصين ، مرسلا فى أسلوب عربى قديم ، متحريا للحق فيما يكتب فقد زادت متعتك بالكتاب وتقديرك لمؤلفه ٠

كتاب « جيل وراء جيل » هذا كله ، ويجمع الى جانبه ميزة أخرى هو أن كاتبه أديب مفكر شاب ، فهو بالنسبة لى يضيف الى متعتى فوق ما أعطانى ، يضيف الأمل فى جيلنا الجديد والثقة فى أن شجرة الفكر المصرية لا تزال غنية مثمرة وان جيلنا ليس الأخير كما قال بعضهم ، ولا يمكن أن يتصور انسان على أية حال ان جيلا ــ مهما كان ــ هو الأخير ، لان الحياة متصلة والأجيال تتوالى ولكل جيل عبقريته واعلامه ، ومصر ــ أعرق أمة ذات علم وفكر فى الوجود تعرف ذلك أكثر

obeikandl.com

ممن يعرفه غيرها . فهذه سبعة آلاف سنة وتزيد وأجيال تتوالى والعطاء متجدد ، ومصر لا يمكن أن تكون الا مصر والا فماذا يمكن أن تكون ·

من خلال مشاعر كانت تتوالى فى ذهنى وأنا أقرأ هذا الكتاب الممتع الذى أهدانا اياه جلال العشرى وهو من خيرة أبنائنا علما وجدا وخلقا ، وهو من أولئك الذين يعرفون أن الابداع ليس مجرد موهبة بل وعمل وان النجاح ليس ضربة حظ وانما هو عمل متصل وان نصيب الحظ فيه قليل ، فقد كان أبو حيان التوحيدى موهوبا وعاملا جادا ولكنه كان قليل الحظ ، فلم تعقد به عثار الحظ عن الظهور ، فظهر واشتهر ووصل الينا أدبه وانتفعنا به ، ونسينا ونحن نقرؤه انه هو نفسه كان سيئا بحظه القليل من دنيا الناس ··

الكتاب يتناول موضوع الجيل الذى يلى جيل المشاهير الذين وصلوا الى أعلى السلم وثبتوا أقدامهم هناك · من توفيق الحكيم الى صلاح عبد الصبور وصلاح جاهين ، وأنا شخصيا لا أعرف أسماء الكثيرين من أسماء رجال جيل ما بعد المشاهير هذا ، فأنا أعرف توفيق الحكيم وعبد الرحمن الشرقاوى ونجيب محفوظ ويحيى حقى ويوسف ادريس وأنيس منصور ورشاد رشدى وصلاح عبد الصبور ، ولم يسعدنى الحظ بمعرفة صلاح جاهين · أما من بعدهم فأعرف منهم نعمان عاشور ولكننى أعترف ـ مع كثير من الأسف ـ بأننى لم أعرف نجيب سرور الا من خلال صفحات جلال العشرى هذه ، وقد عرفت حسن محسب وقرأت له ما وراء الشمس · وعرفت الشاب نفسه وأعجبت به · ولكن جلال العشرى زادنى به معرفة ، وعرفت يوسف القعيد ولا أدرى لماذا لم أقتنع به ولكن جلال العشرى لفت نظرى الى جوانب أخرى متميزة فيه مثل الرمزية مثلا ، فان شخوصه

فى قصصه ليست مجرد شخوص ·· بل هى رموز لمعان خافية عن القارىء ولكنها معروفة مثلا فى القرية المصرية ··

وقد عرف جلال العشرى كيف يقدر مجيد طوبيا وابراهيم أصلان ومحمد حافظ رجب وعز الدين نجيب وزهير الشايب وضياء الشرقاوى وجمال الغيطانى ومجيد البساطى وعبد العال الحمامصى ويحيى الطاهر عبد الله ، وهؤلاء جميعا أعرفهم ، فان العمل فى مجلة الهلال ورواياته عاوننى على أن أقرأ لكل شباب هذا الجيل وفتح عينى على مواهب كانت فيهم ولا بد ان تخرج وان كنت قد لاحظت ان انتاج الكثيرين منهم غير متعادل ، فان الواحد منهم يكتب قصة جميلة جدا ثم ، يعقبها بأخرى تتمنى انت لو لم يكتبها ، وبعضهم تحس وأنت تقرؤه أن قاعه ضحل وانه يغترف من وشل ، ربما لقلة الاطلاع أو لامتلاء النفس بالنفس ، ولكنهم على أية حال يقدمون فى مجموعهم جيلا جيدا من أهل القلم والموهبة الفنية ··

وقد أبدع جلال العشرى فى الكلام عن أنيس منصور ومن بعده من السائرين فى خطه ، وأنا أحب أنيس منصور منذ عرفته ، وزاد حبى له عندما قرأت مقالاته المبدعة عن صالون العقاد ، فأنت تحس وأنت تقرأ هذه المقالات ان أنيس لم يصل الى ما وصل اليه مصادفة أو تفضلا من أحد ، بل هو تعب جدا فى صنع نفسه : قرأ كما يقرأ أحد من أهل جيله ، وسعى ليعرف ويتعلم كما لم يسع غيره ، وكتب ألوف الصفحات لكى يصل الى التجويد المبدع الذى يكتب به اليوم ، وهذا هو الذى ينقص معظم السائرين على دربه ، فهم محتاجون الى هذا العمق الغزير الذى يتمتع به ، وليس لهم هذا الصبر الطويل الذى تسلح به أنيس منصور ليقطع الطريق الطويل·

وكان بودى أن أكتب عن رشاد رشدى وجيل ما بعده ، فأنا أحب رشاد رشدى وأعجب بأدبه وأسلوبه وشخصه ، وهو فى رأيى طراز لا يتكرر ، فكيف يكون له ما بعده • وكذلك الحال مع صلاح عبد الصبور ، ففى رأيى انه اليوم فى عنفوان نضوجه الفنى وانتاجه الأدبى ، ثم انه شاعر ، والشاعر دائما نسيج وحده ، وما بعده لا بد ان يكون شيئا آخر غيره •

وبعد فقد كنت أود أن أكتب كثيرا عن هذا الكتاب ، ولكن لكل شىء حدوده ، وأعتقد أن القدر الذى قلته فيه كفاية ، فأنا لا أريد أن يغنى كلامى هذا عن الكتاب ، بل أريد أن يكون دعوة لقراءة الكتاب •

لقد استمتعت بهذا الكتاب وسعدت به ، لانه كما قلت من قلم شاب عرف فعلا كيف يجعل نفسه بعمله وعلمه واطلاعه وجديته ــ فى الصف الأول من جيل جديد مبشر بالخير مؤكد للحقيقة التى جعلته يكتب كتابه هذا وهى انه لا يمكن أن يكون هناك جيل أخير ، بل هى أجيال تتلاحم ونهر الحياة يسير ، والفن والفكر آخر الأمر قصة بلا بداية ولا نهاية •

جيل وراء جيل

عبد الفتاح رزق

من الكتب الهامة التى تفتقر اليها المكتبة العربية ، تلك الكتب التى تكون بمثابة « الشاهد » على ما يجرى فى الحياة الأدبية من تطورات على مر الأجيال ·

فمن المعروف أن الكثير من الانتاج الأدبى يمر مر الكرام دون أن يجد « التقييم » المناسب ، وان بعض الأعمال التى كانت جديرة بأن تأخذ مكانها تحت سماء الفكر ، تظل حبيسة الصفحات دون أن تلقى العناية التى تعتبر من البديهيات فى أى بلد معاصر !

ومن نماذج تلك الكتب ، هذا الكتاب الذى أصدره الأديب الناقد «جلال العشرى» تحت عنوان «جيل وراء جيل» ويقول فى مقدمته :

« ان الشعور باستمرارية الأدب ، وبمسيرة الأجيال ، هو الذى ينبغى أن يتولد فى نفوس الأدباء جميعا ، فيشعر الأديب أنه ابن الماضى ووالد الحاضر ، وأنه فى ماضيه قد

أفاد من الجيل الذى قبله ، وفى حاضره يحاول أن يفيد الجيل الذى يجىء من بعده • وهذا الكتاب بفصوله فى الشعر والمسرح والرواية والقصة القصيرة ، هو محاولة تطبيقية لتجسيد هذا المعنى •• خاصة فى استمرارية الأدب عصرا بعد عصر •• وجيلا وراء جيل » •

فى المسرح •• جيل ما بعد توفيق الحكيم •

وفى الرواية •• جيل ما بعد نجيب محفوظ •• وبعد أن يستعرض أعمال الذين واكبوا مؤلفنا الكبير ، يتوقف عند رواية « حلم الليل والنهار » لحسن محسب فهى رواية لا تخلو من عنصر الرمز ، ولا تتحاشى جانب التجريد ، ولا تغرق تماما فى طابع الوصف التسجيلى ، ولكنها تأخذ من كل هذه الأبعاد على نحو يجعل منها بعدا رابعا • ان تحرير الانسان من الخوف ، هو الذى يؤدى الى تحرير الأرض من الرهن ، وكلاهما يؤدى الى تحرير الوطن من العدو الخارجى• ان أرض « العنانى » ليست وحدها التى تحتاج الى اصلاح ، وانما القرية كلها ، فهى التعبير الرمزى عن البلد ، وعنا جميعا !

فى القصة القصيرة •• جيل ما بعد يحيى حقى •• ثم جيل ما بعد يوسف ادريس •

فى الجيل الأول يأتى عمل الأديب •• « صبرى العسكرى » الذى يضم مجموعة قصص بعنوان « اللعبة التى انتهت » •• وفى الجيل الثانى يأتى عمل الأديب « جمال الغيطانى » فى قصصه « أوراق شاب عاش منذ ألف عام »•• وكيف أن التجديد عنده لا يقف عند مجرد تكسير القوالب التقليدية شكلا ، ولا عند مجرد الانحصار فى التجربة الاجتماعية مضمونا ــ وانما هو يفيد من التجارب الجديدة

فى القصة المعاصرة وبخاصة التى جاءت متأثرة بتكتيك الموجة الجديدة فى السينما » !

وفى الشعر ·· جيل ما بعد صلاح عبد الصبور ·

انه الجيل الذى أحس أن الشكل الجديد للقصيدة الشعرية هو الأقدر على تطوير الشاعر فنيا وفكريا ·· وهو الأفضل فى التعبير عن القضايا التى تشغله بصورة أكثر اكتمالا وأكثر نضوجا ·· وقد برز منهم كمال عمار ونجيب سرور ، وفاروق شوشة ، ومحمد مهران السيد ، ومحمد ابراهيم أبو سنة ، وعبد المنعم عواد يوسف ·· وقبل هؤلاء فتحى سعيد ، وأمل دنقل ·· ويقول المؤلف :

فى تقديرى أن تصنيف الشعراء وفقا لوضعيتهم الاجتماعية لا يقل عن تصنيفهم وفقا لخلفيتهم الثقافية ·· فالمسافة الاجتماعية ليست واضحة بين الشعراء ، ولا يكاد يوجد التفاوت الطبقى بمعناه الواضح ، وانما الأكتاف تكاد تكون متساوية ، لأن الرؤوس تكاد تكون كذلك » ! ·

وفى الشعر العامى ·· جيل ما بعد صلاح جاهين ·

« لم يكن غريبا ، بل كان مما يتفق وطبائع الأشياء أن يظهر تيار شعرى أكثر اقترابا من الشعبى ، وأكثر تعبيرا عن هموم وأشواق رجل الشارع وانسان الطريق ، شاعرية الشعب المصرى وأصالته تلتمس أكثر ما تلتمس فى ملامحه وأناشيده وأغانيه الشعبية ، وتلك حقيقة تنبه اليها الشاعر العامى الحديث فحاول أن يغترف منها ، وأن يصدر عنها » ·

والكلام هذه المرة عن ديوان « ليالى الزمن المنسى » للشاعر « مجدى نجيب » والذى يقول فيه :

نتقابل فى طريق الغربة

نتقابل .. والجرح محبب ..
نتغرب أغراب أو صحبه ،
وفى سوق الدنيا نتقابل !

و .. هى فى الحقيقة ضرورة حضارية أن تكون هناك مثل تلك الوقفات التى تكون « شاهدا » على تطورات الخلق الفنى ..

obeikandl.com

جيل وراء جيل

عبد العال الحمامصى

بغزارة كم ، ووعى كيف ، وفى دأب واخلاص وجدية ·· ومن خلال أرضية ثقافية واسعة واحاطة بالأصول وما يموج فى ثقافة العصر من تيارات واتجاهات ·· متسلحا برؤيته النقدية الخاصة وموقفه الذاتى ·· يواصل الناقد جلال العشرى تقديم اضافاته النقدية حول حياتنا الأدبية المتنوعة الألوان والمذاق معايشا ومتابعا لمختلف الفنون والأجيال ·· دارسا وباحثا ومقننا ·· فعلى مدى مسيرته منذ الخمسينات توالت كتبه النقدية ·· فهو يغوص فى مجال الفلسفة ليخرج لنا بكتابه عن « حقيقة الفلسفة الاسلامية » ثم يطرح لنا اجتهاداته حول « ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة » ويقتحم لنا عالم المسرح بكتب من أمثال « المسرح أبو الفنون » و «سقوط الأقنعة » و « مسرح أو لا مسرح » و « لن يسدل الستار » ·

ثم يقدم لنا أدلته على أن « مصطفى محمود شاهد على عصره » وبحساسية راصدة يسجل لنا ما يدوى فى عالمنا من « صرخات فى وجه العصر » وغير ذلك من كتب مؤلفة أكد

بها أن النقد وأن البحوث والدراسات الأدبية عملية تشكل ندية لعملية الابداع المتميز ذاتها وأنهما وجهان لعملة واحدة ٠٠ أو أن الفن اذا كان هو السفينة التى تخوض عباب بحر الحياة وتكتشف مجاهيله ، فان النقد هو البوصلة التى تعصم السفينة من أن تتلقفها المتاهات ٠٠ ولم يقتصر عطاء جلال العشرى لحياتنا الأدبية على كتبه المؤلفة ، بل حاول أن يثرى حياتنا الأدبية بترجمة روائع عالمية متميزة ، فعن يوجين أونيل ترجم لنا مسرحيته « القرد الكثيف الشعر » و « الاله الكبير براون » وجون أوزبورن يترجم مسرحيته الطليعية « انظر وراءك فى غضب » التى كانت علامة على مرحلة من مراحل التحول فى المسرح الغربى الحديث وكذلك مسرحية « الجنينة » لادوارد ألبى ٠٠ و « من الوجودية الى العبث » يترجم لنا نماذج من مسرح سارتر وبيكيت ٠٠ كذلك يترجم لنا « محاورات برتراند راسل » شيخ فلاسفة العصر ، وكتاب « فكرة المسرح » لفرنسيس فرجسون ، وكتاب « البير كامى ٠٠ وأدب التمرد » لجون كروكشانك ، بجانب اسهامه فى اعداد « الموسوعة الفلسفية المختصرة » ٠

وها هو ذا جلال العشرى فى كتابه الجديد ــ الذى أصدره المركز الثقافى الجامعى بعنوان « جيل وراء جيل » ــ ينطلق بنظرته النقدية داخل حياتنا الأدبية المعاصرة منذ جيل الرواد حتى جيل الأحفاد ليرسم خريطة مقننة للأرض التى اكتسبتها حياتنا الأدبية محددا المواقع التى انتهى اليها كل جيل ، ففى المسرح يحدثنا عن جيل ما بعد توفيق الحكيم ، وفى المسرح الشعرى يقدم رؤيته لجيل ما بعد عبد الرحمن الشرقاوى ، وفى الرواية يقدم لنا جيل ما بعد نجيب محفوظ ، وفى القصة القصيرة يضعنا أمام جيل ما بعد يحيى حقى ، وجيل ما بعد يوسف ادريس ، وفى أدب الرحلات يوقفنا أمام

جيل ما بعد أنيس منصور ، وكذلك أجيال ما بعد صلاح عبد الصبور ، ورشاد رشدى ، وصلاح جاهين فى الشعر واللارواية وشعر العامية ، واذا كان قد اختار أفرادا بعينهم كوثائق لهذا المابعد ·· فهو لم يغفل من عداهم من الذين يشكلون صورة الوضع فى كل نوعية ·· وله مطلق الحرية فى أن يرى أن هذه النماذج هى التجسيد الأكثر تعبيرا عن الوضع الراهن لهذه النوعيات ·

ولقد جاءت مقدمة الكتاب ذات أهمية بالغة وكانت بمثابة بلورة لمنهجه النقدى فى هذا الكتاب لحسم قضية « الأجيال لقاء أم صراع » فهناك صرخة دوت فى الستينيات تقول : نحن جيل بلا أساتذة لتعلن الادانة لما هو قبل ·· وهناك مقولة انفجرت فى أواخر السبعينيات تقول : نحن آخر الأجيال ، تعلن الادانة كذلك لما هو بعد ·· وانبرى جلال العشرى يتحدى بالاعتراض مؤكدا ان الأدب العربى على مر عصوره كان هو أدب الأصالة والمعاصرة ·

جيل بلا أساتذة .. أم آخر الأجيال ؟

السيد على

هذا الكتاب الذى نعرضه على صفحات الجديد للناقد جلال العشرى « جيل وراء جيل » هو كتاب جديد قديم ـ ان صح هذا التعبير ـ جديد لأنه صدر هذا الشهر عن المركز الثقافى الجامعى ، وقديم لأن معظم الدراسات التى احتواها هذا الكتاب قد تصدرت الأعمال التى كتبت عنها هذه الدراسات فى الستينيات والسبعينيات سواء فى القصة أو المسرح أو الشعر أو الرواية .

والكتاب فى مجموعه يتحدث عن الصراع بين الأجيال فى المجال الأدبى عموما ، فالجيل الجديد من الأدباء يثور على القيم الفنية التى أرساها رواد الجيل الماضى ، وذلك فى محاولة بناءة للتبشير بقيم أخرى جديدة ، دون أن يحاول الجيل الجديد الثائر أن يلغى عمل الجيل السابق عليه الغاء تاما ، بدعوى انه لم يجد ما يبنى عليه من أعمال هذا الجيل ، أو أن أعمال هذا الجيل لم تثره حتى يتصدى لها بالنقد أو يشن عليها الثورة .

وهذا كما عبر عنه مؤلف الكتاب شعور باليتم الأدبى وبأنه جيل بلا أساتذة ، وكذلك على النقيض من هذا الجيل الرائد الذى لم يجد فى محاولات الجيل الذى تلاه ما يبشر بالعطاء الوفير ، فوصفه بالعقم والجدب ومن ثم راح يظن فى نفسه أنه آخر الأجيال ٠

هذا الاتهام المتبادل بين الجيلين ـ جيل الرواد والجيل الجديد ـ لم نجد له مثيلا فى الآداب الأجنبية أو فى أدبنا العربى ذاته على امتداد عصوره ٠

فالأدب العربى على مر عصوره قد اتصل قديمه بحديثه اتصالا مستمرا أو كما يقول جلال العشرى أدب يلتقى فيه باستمرار عنصر الأصالة الى جانب عنصر المعاصرة ويستعرض المؤلف ما يؤيد وجهة نظره فى هذه القضية بأن هذه الحياة الموصولة أو المتصلة عبر العصور والأجيال التى استمدها الأدب العربى من قوته الذاتية ، ومن اتصاله بالثقافات الوافدة هى التى منحته الخصوبة والنماء والقدرة على التجدد والاستمرار ، على العكس من طريق الحياة المتصلة التى مضى فيها الأدب اليونانى أو الأدب اللاتينى فكان مصيرهما هذا الانفصام الواضح بين القديم والحديث فى حياة كل من هذين الأدبين العظيمين ٠

ويمضى بنا المؤلف فى اظهار تطور الأدب العربى ، ويؤكد على عنصرى الأصالة والمعاصرة وهما ما يدعو اليهما تقريبا فى كل كتبه التى ظهرت قبل ذلك ، وكأن هذين العنصرين دعوة ابتدعها جلال العشرى يضفيها الى كل ما يتعرض له من نقد أو تحليل لأى عمل من الأعمال ٠

ويركز المؤلف على المعارك الأدبية التى دارت فى الخمسينيات والستينيات بين أنصار الأدب التقدمى الجديد ،

أو بين الأدب الهادف والأدب الهاتف على حد قوله ـ والتى تنتهى بانتصار ثورية الأدب الجديد ، وهو الانتصار الذى شهدنا آثاره فى ازدهار حركة الشعر الجديد وازدهار المسرح المصرى ، وازدهار الفنون والآداب الشعبية •

ثم يقرر بعد ذلك بأنه بعد ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، تصحح الموازين مرة أخرى فتفسح الثورة الطريق أمام الأصوات الوطنية المعتدلة التى خفتت طوال الفترة الماضية ألا وهى أصوات زكى نجيب محمود ورشاد رشدى وأنيس منصور التى عادت لتقول كلمتها بصوت جهير •

ويمضى بنا المؤلف بعد ذلك فى استعراض فصول الكتاب الذى يتضمن تسعة فصول هى « فى المسرح جيل ما بعد توفيق الحكيم » وفى المسرح الشعرى •• جيل ما بعد عبد الرحمن الشرقاوى وفى الرواية جيل ما بعد نجيب محفوظ ، وفى القصة القصيرة •• جيل ما بعد يحيى حقى ، وجيل ما بعد يوسف ادريس ، وفى أدب الرحلات جيل ما بعد أنيس منصور، وفى اللارواية جيل ما بعد رشاد رشدى وفى الشعر •• جيل ما بعد صلاح عبد الصبور ، وفى الشعر العامى جيل ما بعد صلاح جاهين وسنحاول بقدر المساحة أن نركز على بعض ما جاء فى فصول هذا الكتاب •

عن جيل ما بعد توفيق الحكيم فى المسرح ـ يركز على مسرح نعمان عاشور الذى استطاع أن يهوى بأول معول فى صرح مسرح الحكيم الكلاسيكى ، فاللغة الفصحى استبدلت بها اللهجة العامية ، والحوار الذهنى الخالص استبدل من الحوار الدموى المملوء بالعفوية والحرارة ، والشخصيات المتخفية المستدعاة من جوف التاريخ استبدلت بها شخصيات واقعية نصادفها وتعايشنا ونلتقي بها في الحياة •

ذلك هو المسرح الواقعى الذى كان نعمان عاشور أباه الشرعى وبطله الحقيقى ٠

أما عن جيل ما بعد عبد الرحمن الشرقاوى فى المسرح الشعرى ، فيتحدث المؤلف عن التجربة الجديدة التى خاضها نجيب سرور فى هذا المضمار متمثلة فى ثلاثيته الملحمية (ياسين وبهية) ثم (آه يا ليل يا قمر) وبعد أن يعرض تطور المسرح الشعرى فى هذه المرحلة يقول :

« لذلك كان أهم ما يميز نجيب سرور عن سلفيه عبد الرحمن الشرقاوى وصلاح عبد الصبور ، هو انتقاله بلغة الشعر الجديد من فصحى الأداء الى عامية التعبير ، فاللغة هنا ليست تعبيرا عن لسان المقال فحسب بل هى تعبير أيضا عن لسان الحال ومن ثم فهى نابعة من جوف الحدث ، معبرة عن واقع الشخصية ، مشكلة فى النهاية نسيجا عضويا مع البناء الفنى للمسرحية » ٠

أما عن جيل ما بعد نجيب محفوظ فى الرواية ، يتحدث المؤلف أولا عن نشأة الرواية العربية وتطورها من بداية القرن التاسع عشر ــ حيث نشأت بسيطة ساذجة ، ضعيفة الاحكام الفنى ، ضئيلة المضمون الفكرى ثم تطورت على يدى كل من محمد المويلحى ، ود٠ محمد حسين هيكل ، ثم فترة ما بعد هذين الرائدين ٠ وعن هذه الفترة يقول جلال العشرى « على ان هذه الاجتهادات الروائية جميعا لم تسلم تماما اما من نقص فى التناول الفنى ، أو من قصور فى المضمون الاجتماعى ٠٠ وجاء نجيب محفوظ فى ختام الفترة الخلاقة بالنسبة لجيل الرواد ، فاستطاع أن يستوعب ما كان شائعا قبله على نحو مبهم مبعثر ٠ وان يرسى دعائم الرواية المصرية كأروع وأقوى ما يكون الارساء ٠٠ » ٠

وهكذا يصل المؤلف الى الرحلة الشاقة التى قطعها نجيب محفوظ حتى يصل الى تأصيل الفن الروائى فى أدبنا المعاصر، وأن يطوع لغتنا لهذا الفن الجديد ، ثم يوضح المؤلف المراحل التاريخية الثلاث التى عاشها نجيب محفوظ وجاء أدبه تعبيرا عنها ، ويبين أنها جميعا مرايا عاكسة لواقع المجتمع فى هذه الظروف التاريخية ، أو كما عبر عنه نجيب محفوظ نفسه « انما يقاس عملنا بتعبيرنا عن مصر الأمس ، أما تعبيرنا عن مصر اليوم فهو تعبير المخضرمين المشحونة أبصارهم برواسب الأمل ، ولا شك عندى فى أن الشبان أقدر منا فى التعبير عن مصر اليوم والغد » ٠

من هذا المنطلق يضع نجيب محفوظ الأمل فى الشبان الجدد ، وقد سئل عن أى من شباب الكتاب يمكن أن يعتبر امتدادا حقيقيا لخط نجيب محفوظ ؟ فأجاب بقوله : لقد قرأت لثلاثة منهم هم عبد الحكيم قاسم ، ويوسف القعيد ، وسمير ندا ، وقد بدأوا من حيث انهينا ، أما أين ينتهون فأمر يصعب التنبؤ به ، ولكن الأمل معقود عليهم أو على أحدهم فى البلوغ بالرواية العربية الى المستوى العالمى » ٠ ويضيف جلال العشرى الى هؤلاء الثلاثة حسن محسب ، وأنا معه فى هذه الاضافة لأن حسن محسب قد انتقل بالرواية فعلا الى الواقعية الجديدة ٠

ويمضى بنا جلال العشرى فى « جيل وراء جيل » حتى نصل الى جيل ما بعد رشاد رشدى فى اللاروايه بعد أن يمهد المؤلف بأن العصر الذى نعيشه هو عصر الفكر المخلوط بالعاطفة ، الممزوج بالوجدان ، والذى يخرج من العقل لا ليخاطب العقل ، بل ليتلقفه الاحساس فيحيله الى صورة ترى وكلمة تسمع وحركة تدرك ٠٠ انه عصر الأديب الذى يسير بفكره على الأرض ، بعد أن كان يحلق به فى الفضاء ٠٠ يتجه به الى الانسان والله ، بعد أن كان يتوجه به الى ذات

الفكر أو ذات الفن يقول المؤلف « والدكتور رشاد رشدى من بين كتاب جيله أكثرهم اقترابا من هذا النمط ، وأكثرهم تمثيلا لهذه الظاهرة .. فى أعماله الأدبية وبخاصة فى عمليه الأخيرين « رحلة قطار » و « الرجل والجبل » اللذين كانت سطورهما تقطر فكرا ، وتكاد تتجمع قطرات الفكر لتشكل فى النهاية واحدة من القضايا التى تلح على وجداننا المعاصر » .

ان هذا اللون الجديد من الأدب الذى صاغ فيه الدكتور رشاد رشدى عمليه الأدبيين ، يثور على جميع الأشكال السابقة والمعروفة للرواية .

والسؤال الذى يطرحه المؤلف هو اذا كان الدكتور رشاد رشدى قد طرق بابا جديدا من أبواب التعبير الأدبى . فهل كان لطرقاته رجع صدى فى أدباء آخرين من جيل ما بعد رشاد رشدى حاولوا هذا اللون من ألوان النثر الفنى ؟

وللاجابة على هذا السؤال .. قد نجد هذا اللون من الأدب عند الأدباء أمثال عبد الله الطوخى فى رحلته فوق النهر ، وكذلك عند عبد الفتاح رزق فى سفره على الموج ، وعند خيرى شلبى فى فلاح فى بلاد الفرنجة ، أما الذى تتمثل فيه الاجابة بشكل صارخ فهو الأديب الروائى واللاروائى محمد جلال وخاصة فى روايته اللاروائية « بحر من الحب » .

ويختتم المؤلف كتابه بجيل ما بعد صلاح عبد الصبور فى الشعر ، حيث ان صلاح عبد الصبور ، صاحب مدرسة شعرية ، ورائد من رواد الشعر الجديد ، ومن نهج على نهجه من الشعراء الشبان جيل الوسط أمثال كمال عمار ونجيب سرور وفاروق شوشة ومحمد مهران السيد ، وابراهيم أبو سنة وحسن توفيق .

واذا كان ضيق المساحة لم يمكننى من عرض بقية فصول الكتاب ، فليعذرنى القارىء ؟ ولكن لا يسعنى فى ختام ذلك العرض أن أختتمه كما ختم جلال العشرى مقدمته بقول الامام الشافعى « مذهبى صواب يحتمل الخطأ ، ومذهب غيرى خطأ يحتمل الصواب » ٠

والكتاب فى مجمله اضافة للمكتبة العربية فى وقت اختفت فيه الدراسات النقدية وكثر الجدل والحوار حول من يخلف جيل الرواد من جيل الشبان وما أكثر ما ذكر منهم فى هذا الكتاب ٠

obeikandl.com

٠٠ ولكنه حزين

أنيس منصور

الناقد الفنان « جلال العشرى » استهل كتابه الجديد (المسرح وجه وقناع) بهذه العبارة ليوجين أونيل الكاتب الامريكى الكبير : اضحك ! اضحك ! ليس هناك الا الحياة ليس هنا الا الضحك • لم يعد للخوف مكان • فالموت مات !

ويجب الا تنخدع بهذه العبارة فجلال العشرى لا يعرف كيف يضحك • فالضحك مات • أما المسرحيات التى جاءت فى هذا الكتاب فكلها ضاحكة هازلة مسخرة • ولكن المؤلف حزين على الذى أصاب المسرح فى بلادنا ، وعلى مصيبة بلادنا فى هذا المسرح وبهذا المسرح ، وعلى اليأس من أى أمل فى النجاة • كأنه مكتوب على باب المسرح المصرى نفس العبارة التى كتبها الشاعر دانتى على باب جهنم : أيها الداخلون اتركوا وراءكم كل أمل فى النجاة !

وأكثر مؤلفات جلال العشرى عن المسرح وأكثر مترجماته أيضا من المسرح ويوم صدرت ترجمته لمسرحية « القرد كثيف الشعر » ليوجين أونيل •

كان حدثا أدبيا لروعة هذه المسرحية ، ولعمق المعانى بها ·· ولهذا الشعور بالأسى والحزن على الانسان الذى هو قرد وراء قضبان من حديد ، وجدران من خراسان ··

وكذلك يوم صدرت ترجمته لمسرحية « انظر وراءك فى غضب » للكاتب الانجليزى جون اوسبورن ·· فهذه المسرحية هى دستور « الأدباء الساخطين » فى بريطانيا ·· وكان أثرها عميقا على المشتغلين بالفلسفة الوجودية فى مصر ·· وجاءت من بعدها ترجمات الأديب العراقى أنيس زكى ـ لكتاب « اللامنتمى » للاديب الساخط كولن ويلسون وكذلك صدر كتاب « ثقافتنا بين الاصالة والمعاصرة » لجلال العشرى كان اضافة أدبية بارزة · فقد وضع أصبعه وعينيه ونفذ بقلبه الى قضايا حية ومشاكل لم نحسمها بعد !

وقد تناثرت آراء الأستاذ جلال العشرى فى نقده المسرحى : فى التقديم لها وفى عرضها وفى نقدها وفى (بروزتها) وتسكينها القوالب النقدية والاجتماعية التقليدية ثم الضيق بكل ذلك · ولانه ضيق بهذا المسرح من أوله لآخره ، فان هذا الضيق قد اتسع لآرائه النقدية والفلسفية ، وتعبيراته البيانية والمتميزة · فهو طويل النفس عند الغضب ، وهو بديع العبارة عند التنظير · ولكنه لا يضحك !

يقول الاستاذ جلال العشرى حزينا جدا على مسارح القطاع العام :

« ان البيت المسرحى بدلا من ان يحل أية مشكلة من مشكلات البيروقراطية الدرامية ، سيضاعف من هذه المشكلات يخلق « مراكز قوى » مسرحية ، تتحكم أكثر مما تحكم ، وتتشبع أكثر مما تشبع أى ضوء فى حياتنا المسرحية ،

ويومها سنعود لنشكو ، لا من هيئة مسرح واحـدة ، بل من هيئات مسارح كثيرة ومتعددة ، مشكلاتهـا أضعاف أضعاف المشكلات الراهنة فى هيئة المسرح • وسارت أمـور هيئة المسرح من سيىء الى أسوأ وخاصـة بعد أن ازدهـر المسرح التجارى بفرقه العـديدة التى تعرف باسم القطاع الخـاص وهى الفرق التى عرفت بشكل أو بآخر كيف تظلم الجمهور سواء بتقديم ما يشتهيه من عروض بعينها أو ممثلين بالذات وانتهى الوضع المسرحى الى ما نشاهده الآن •• فى القطاع العام مسرح بلا جمهور ، وفى القطـاع الخـاص جمهـور بلا مسرح » •

وهذا هو الخيط الذهبى فى الكتاب من أوله لآخره •• وان كنت سوف أعود حالا الى ما جاء فى آخره • وكنت قد ناقشت المسرح فى مصر فى هذا المكان من عـدة أسابيع ، عند حديثى عن النكسة العسكريـة وكيف زلزلت الـكاتب والقارىء والمتفرج والممثل • ووجـدت أنا ، ولا أزال ، رفضا عاما لكل ما فى أيدينا وفى عيوننا وفى أحلامنا أيضا •• فالمسرح يضحك على الناس •• والناس يضحكون عـلى أنفسهم ، ولا علاج ولا شفاء • مع أن الأصل فى المسرح أنه مصحة عقلية •• ندخلها مرضى ونخرج أصحاء • ألم نضحك على عيوبنا ؟ ألم نفضح أنفسنا ؟ ولكن المسرح الآن أصبح يعطى الناس مزيـدا من القـوة ليكونـوا أكثر سلبيـة •• ليكونوا متفرجين فى المسرح وفى البيت وفى المكتب •• كأن الذى نراه لا يعنينا •• لانه ليس حقيقة وانما هو كالحقيقة •• مسرح •• سينما •• وتشـابهت المسـارح فهى تشتم المتفرج وتقاضيه على ذلك أكبـر الأجـور وأكبر عدد من الساعات•• تهد حيله من الضحك وتفرغ جيبه وقلبه وعقله •• وقد اعتاد المتفرج على شتيمة الدولة والقيادة وكل الناس

•• وكل المسارح تفعل ذلك •• فأينما توجه المشاهد وجد أناسا يلعنون آباءه وأبناءه • ولم يعد المتفرج عندما يخرج من المسرح الى الشارع يعانى « الصدمة الواقعية » أى أنه خرج من الخيال ليهجم عليه الواقع •• وانما يخرج من المسرح فيجد الناس فى الشارع يتكلمون كالمسرح ويكررون نفس الكلمات والعبارات •• فلا الشارع انحط عن المسرح، ولا المسرح ارتفع عن الشارع •• وانما الاثنان امتداد لرصيف واحد •وعاش المسرح فالمتفرج مات ، وعاش المتفرج فالممثل مات •• وعاش المتفرج والممثل لان المؤلف مات ••

ويختار الاستاذ جلال العشرى واحدا من الاصنام المسرحية فينهال على رأسه بعنف ، فكتب فى آخر هذا الكتاب عن عادل امام يقول : « ظاهرة عادل امام ، كوميديا النجم الأوحد ، التى تشكل انتكاسة لفن الكوميديا من ناحية ولفن المسرح من ناحية أخرى •• وهى ظاهرة اجتماعية أكثر منها ظاهرة فنية تذكرنا بالشيخ امام الذى كان فى حقيقته ظاهرة سياسية ، ولم يكن أبدا ظاهرة غنائية أو موسيقية ، وهذا معناه أن ظاهرة عادل امام ظاهرة مرضية أو عرضية ، تظل قائمة ما قامت بواعثها • وبواعثها هى الخلاء الفكرى والخلاء المادى الذى يعيشه جمهور هذا الفنان من المهنيين والحرفيين وأثرياء عصر الانفتاح ، انه البثور على جسد المجتمع أو الطفح على جلد المريض ، ويوم يشفى الجسد المريض من دائه وأدرانه ، تنداح هذه الظاهرة ، كما انداحت من قبلها ظواهر أخرى •• » •

وأنا اختلف مع الاستاذ جلال العشرى فى تفسير الظاهرة • فقد كتبت فى هذا المكان عن المسرح المعاصر وأرجعت كل هذه السلبية الى أن « العبث » هو المعنى السائد فى حياتنا • والعبث بمعناه الوجودى أى انعدام المعنى

والقاعدة وانعدام الهدف ·· ولذلك فلا فرق بين الرصيف والمسرح ، بين الممثل والمتفـرج ، بين المؤلف والمخرج ·· لا فرق فالكل يقول والكل يسمع ، وكأنه لا يسمع ·· ومن المؤكد ان هذه الحال ليست مرضية ولكنها « عرضية » سوف تذهب ·· كما ذهبت حالات أخرى كثيرة · ولكن الذى يوجع قلوبنا على أنفسنا ، اننا استسلمنا طويلا وعميقا ، واننـا لا نستطيع أن ننهض ·· ان نتساند ·· ونهجر مقاعدنـا المسرحية ، حتى تغيير العروض المسرحية والمؤلفين والمخرجين ·· فنحن مثل السكران الواقع فى الوحل « مبسوطون كده·

ونحن ننظر أمامنا فى غضب ووراءنا فى ندم ، والى أنفسنا فى يأس ·· ولذلك لم يضحك جلال العشرى ، ولن يفعل !

رجل المسرح هو الحل

نبيل بدران

عن الهيئة المصرية العامة للكتاب صدر الكتاب السادس والعشرون للناقد جلال العشرى الذى أضاف للمكتبة العربية من ترجمته نصوصا من روائع المسرح العالمى (القرد الكثيف الشعر) و (الاله الكبير براون) ليوجين أونيل ٠٠ و (انظر وراءك فى غضب) لجون أوزبورن ٠٠ و (الجنينة) لادوارد ألبى ٠٠ بالاضافة لمسرحيات لسارتر ولصمويل بيكيت ـ وترجم أيضا للعربية دراسات هامة (فكرة المسرح) و (البير كامى وأدب التمرد) و (محاورات برتراند راسل)٠

وأضاف من تأليفه ١٦ كتابا من أبرزها (ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة) و (المسرح أبو الفنون) و (سقوط الأقنعة) و (المسرح فن وتاريخ) و (ثقافة هذا العصر) و (تياترو فى النقد المسرحى) و (الكلمة ضمير العصر)٠

وفى كتابه السادس والعشرين (المسرح ٠٠ وجه وقناع) يطرح الناقد جلال العشرى سؤالين هامين ـ ما هو مستقبل

obeikandl.com

المسرح فى مصر ؟ وكيف يتعامل الناقد مع عروض مسرح القطاع الخاص ؟

وفى مقدمة الكتاب يجيب الناقد جلال العشرى عن السؤال الأول مؤكدا حقيقة ناصعة نتناساها ونتجاهلها كلما تحدثنا عن أزمة المسرح أو عن مستقبلـه هى (غيـاب القيـادات المسرحية) ·· فاللجوء لنظام البيوت المسرحية المستقلة ماديا واداريا ليس هو الحل النهائى ·· فما قيمة البيت المسرحى المستقل ماليا واداريا الذى يشرف عليه من ليست لديه خبرة مسرحية كافية ولا معرفة تفصيلية وافية بأسس ومقومـات العمل المسرحى ·· وبضرورات الانتـاج المسرحى ·· ومن يفتقد التصور المتكامل لمواسم مسرحية متميزة فنا وفكرا ؟

لقد وضع جلال العشرى يده وقلمه على المشكلة الأساسية ·· ويكفى أن نسترجع أسماء مديرى الفرق المسرحية لندرك دون عناء ان القلة منهم تنطبق عليهم شروط ومواصفات القيادة المسرحية السليمة ـ وان دوافع اختيار غالبيتهم عادة ما تكون شخصية وليست فنية ـ على عكس ما يحدث فى كل الدول المتقدمة مسرحيا التى تختار لمسارحها ولفرقها الكبرى (رجل مسرح) بالمعنى الدقيق لتلك الكلمة ـ ففى فرنسا مثلا عهدوا الى (جان فيلار) بمهمة ادارة المسرح القومى الشعبى الذى ظل يديره حتى أواخر حياته ·· بينما أشرف (جـان لوى بارو) على مسرح الأوديون·· وفى انجلترا وجه (بيتر بروك) وأشرف على مسرح الأولدفيك الشهـير ·· وأشرف الألمانى فلزنشتاين على دار الأوبراكوميـك ·· وأدار رادو بيلجان مسرح رومانيا القومى ·

ويقول الناقد جـلال العشرى ان فـكرة البيت المسرحى ليست جديدة على تاريخ مسرحنا المصرى الذى شهد محاولات

مماثلة عندما ظهرت فى تاريخنا المسرحى شخصية (رجل المسرح) الذى استطاع بشكل أو بآخر أن يطبق فكرة البيت المسرحى ـ مشيرا لتجربة سلامة حجازى فى دار التمثيل العربى ·· ولبيت جورج أبيض المسرحى ·· ولبيت فرقة رمسيس المسرحى ·· وللبيت المسرحى لعزيز عيد وفاطمة رشدى ·· ولبيت نجيب الريحانى المسرحى ·

ويعود جلال العشرى ليؤكد خطورة وآثار ونتائج غياب القيادات المسرحية (اذا سقطت من فكرة البيت المسرحى أهم ركيزتيه المحوريتين وهى القيادة الفنية ـ بقيت الركيزة الأخرى وهى حرية الحركة المالية والادارية ·· وهذه وحدها لا تكفى للاقدام على المغامرة التى ستقود مسرحنا ·· ولكن الى الوراء) ·

أما السؤال الثانى ـ كيف يتعامل النقاد مع عروض مسرح القطاع الخاص ؟ فيجيب عنه الناقد جلال العشرى فى كتابه الجديد (المسرح وجه وقناع) اجابة عملية تطبيقية ـ بتحليله وتقييمه لعشرين مسرحية قدمها مسرح القطاع الخاص ·· فجلال العشرى من قلائل قدامى نقادنا الذين لا ينظرون الى عروض القطاع الخاص بتأفف وتعفف ·· ولا يعتبرون الكتابة عنها ترخصا وتنازلا وانحدارا وهبوطا بمستواهم النقدى ـ بل يدرك جلال العشرى بوعى ان عروض القطاع الخاص هى الأكثر انتشارا والأخطر تأثيرا ·· وخطأ فادح أن يتجاهلها النقاد بحجة انها لا تستحق المتابعة والتقويم ·· فليس معنى الكتابة عنها التهليل لها بل محاولة ترشيدها وتطويرها ـ وهذا بالضبط ما فعله جلال العشرى ·· ولنتوقف عند مسرحية عادل امام (الواد سيد الشغال) التى يقول عنها بوضوح وصراحة : (الواقع ان عادل امام اذا كان شخصية رافضة ·· فهو في ذات الوقتِ شخصية مرفوضة ـ

على الأقل من المثقفين ـ فهو لا يمتد الى جـذور الكوميديـا المصرية ـ ولا يشكل مرحلة من مراحل تطورها حتى العصر الحديث ـ وهو لا ينتمى الى أولئـك الممثلين الهـزليين أو المضحكين الذين تزدحم بهم حياتنا الفنية فى الوقت الحـاضر ·· وليس أدل على ذلك من الاستقبال الفاتر الذى استقبلت به مسرحية (الواد سيد الشغال) فى مهرجان جرش بالاردن ·· فقد أحس الجميع ان هذه المسرحية ليست التى تمثل مصر ولا الفن المصرى فى ذلك المهرجـان ، فهى كوميـديا لفظية خفيفة ·· تتناول موضوعا مكررا ومعادا هو زواج الزوجة بمحلل بعد طلاقها ثلاث مرات ·· وهى تعتمد على كوميديا النجم الأوحد ·· وقد كان من قبيل الخطأ الجسيم أن تسافر هذه المسرحية الى ذلك المهرجان ·· سواء من ناحية الدولة أو من ناحية ادارة المهرجـان ·· فهى لا تمثـل الفن المسرحى المصرى ·· فى شىء) ·

المسرح بين الوجه والقناع

د٠ نهـاد صليحة

المسرح ٠٠ وجه وقناع ٠٠ هو أحـــدث كتاب للناقـد المسرحى الكبير جلال العشرى الذى أثرى حياتنا المسرحية على مدى ربع قرن من الزمان بمتابعاته وكتبه وترجماتـه ٠٠ والكتاب الجديد الذى صدر عن الهيئة العامة للكتاب ينطلق من قناع الكوميديا ليبحث عن وجه الحقيقة ـ حقيقة المسرح المصرى الآن فى علاقته الثلاثية بالفن من ناحيـة وبالواقـع الاجتماعى من ناحية ، وبالجمهور من ناحية أخرى فالمـؤلف يختار عددا من العروض المسرحية التى شهدناها فى الأعوام القليلة الماضية والتى تنتمى جميعـا الى فصيلـة الكوميديا وتسعى الى اجترار الضحك ـ وهو فى اختياراته لا يقتصر على عروض مسرح الدولة ـ أو المسرح الجاد كما يحلو للبعض تسميته بل يوسع دائرة الرؤيـة والفحص لتشـمل عروض القطاع الخاص أو المسرح التجارى التى طـــالما عـانت من التجاهل النقدى بينما نحن أحوج ما نكون الى تأملها ودراستها باعتبارها ظواهر دالة على طبيعة المسرح والثقافة عموما فى هذا العصر ٠

ويكشف التحليل المنهجى الوعى لهـذه العروض ، الذى يحفل بالكثير من المعلومات الجانبية الممتعة ، عن حقائق هامة جديرة بالدراسة والتأمل ، وأولى هذه الحقائق ، وربما أهمها هو نجاح بعض فرق القطاع الخاص فى انشاء ما يسمى بالبيت المسرحى المستقل ، وفشل هـذه الفكرة تماما فى ظل الادارة الحكومية سواء فى الماضى أو الحـاضر بسبب غيـاب القيادة الفنية الواعية وحرية الحركة المالية والادارية ، والمؤلف اذ ليست قضية القطاع العام أو القطاع الخـاص ولكنهـا فى الحقيقة قضية المسرح أو اللا مسرح فهناك من عروض القطاع العام ما يتدنى فكرا ويترخص فنا وهناك من عروض القطاع الخاص ما يتخذ من الكوميديا معبرا للاشتبـاك الحيـوى مع الواقع ، وسلاح مواجهة ونقد لاذع • ولا يعنى هذا أن جلال العشرى ينتصر للمسرح التجارى، فما أكثر العروض التجارية التى ينزع عنها قنـاع الكوميديا الـزائف بضراوة ليعـرى ما يكمن خلفه من بلاهة وسذاجـة وتخلف • أن ما يؤرق العشرى حقا هو ذلك الانفصال المروع بين المسرح والجمهور بين دراما المثقفين التى تمثل مسرحا بلا جمهور وكوميديـا الجماهير التى تمثل جمهورا بلا مسرح ويتمخض الكتاب فى مجموعه عن دعوة حارة الى مسرح ينبثق من جدل صادق بين الواقع والفن بين الفكر والمتعـة ، بين الوجـه والقنـاع • فالمؤلف ينظر الى المسرح باعتباره واقعة حية تلخص وتجسـد بلغة المسرح واقع اللحظة التاريخية وتشتبك معه •

وقد نختلف مع المؤلف فى توصيفه لبعض المسرحيات كأن يصف مسرحية « ريا وسكينة » مثلا التى تقترب من البرلسك فى أسلوبها العام بأنها مأساة واقعية اجتماعية وقد نأخذ عليه حماسه الزائد فى المديح هنا وهناك وقد نتمنى لو أنه أشبع

بعض النقاط والقضايا التى أثارها لكن يظل الكتاب سياحة فنية وفكرية ثرية وممتعة فى دهاليز المسرح وأروقة النقد يقدمها لنا ناقد واسع الثقافة رحب الحساسية ، عريض الخبرة والتجربة ٠

obeikandl.com

صرخات

عبد الفتاح البارودى

ارحب بكتاب الزميل جلال العشرى (صرخات فى وجه العصر) ٠٠ لماذا ؟! لأنه فعلا صرخات مع المعرفة وضد الجهل٠

يكفى انه يعطينا ـ أو يزيدنا معرفة بمجموعة من الفلاسفة والعلماء والفنانين والمفكرين عموما ٠٠ وكما أن بينهم اعلاما عرفناهم فى كتب أو دراسات سبق ظهورها (مثل هيجل وابسن وبرتراند راسل وسارتر) فان بينهم اعلاما لا نعرفهم أو لم نعرفهم معرفة وثيقة مثل (ألان روب جرييه وصول بيلو) ٠٠ ولكن سواء كانت اعلامه متداولة أو غير متداولة فانه يناقش موضوعاتهم باضافات جديدة ٠

هذه مزايا تحسب للناقد جلال العشرى ٠٠ وأنا أحيى فيه اجتهاداته المتواصلة للمساهمة فى التثقيف والتنوير بمترجماته ومؤلفاته ٠

ثم أذكر بعض ملاحظاتى على كتابه الجديد : أسلوبه ـ أحيانا ـ فى حاجة الى تبسيط ، مثل وصفه للأرض ـ فى المقدمة ـ بانها (هى التسكين المادى للرقعة المعاشية) ٠٠٠

و (الماضى هو التوصيف الروحى لابعـاد المعنى وأغـوار القيمة) ؟!

أيضا عندما تحدث عن الوجوديين فى العصر الحـــديث (قال انهم هاجموا) فلسفة الماهية باعتبارها فلسفة عقليـة خالصة تغفل عن مشكلة (الوجود) ٠٠ وطبعا عبارة (العصر الحديث) قد يفهم منها أن هناك وجوديين فى عصور أخرى ٠٠ أيضا لا أدرى كيف ومتى حدثت هذه المهاجمة ٠٠ هذا كله كلام يحتاج الى دليل ٠

مهما تكن الملاحظات فالكتاب يعطينا دراسات مفيدة جدا عن ١٧ مفكرا ٠ ومع ذلك هل أدعو المؤلف الزميل الى كتابة كتاب مستقل عن كل مفكر ؟!

الثقافة والدموع

عبد التواب يوسف

سوف يستوقفنا عنوان هذا الكتاب « ثقافة بلا دموع » ونتساءل على الفور فى دهشة : وهل لابد للثقافة من دموع ؟ .. مما لا شك فيه أن ناقدنا الأستاذ جلال العشرى سيجيب .. واجابته ان الثقافة الغربية جعلت انسانها اما دون كيشوت : فارس حزين يحارب طواحين الهواء ، واما هاملت المعذب الذى يعيش لذاته ، ويشك فى كل شىء ، ويحلل ، ويسأل دائما عن حقوقه .. أما حضارة العرب فهى حضارة الفرح بالحياة ، حضارة القلب والوجدان ، حضارة الفن والايمان .. واعلامنا وعلماؤنا بناة عوالم من القيم والمثل والمبادىء ، وهم صناع ثقافة لا تعرف الدموع !

وهو يؤكد لنا أن كتابه رحلة : طولها حضارة ، وعرضها ثقافة ، وعمقها تاريخ .. لكنها حضارة بلا أرقام ، وثقافة بلا خرائط ، وتاريخ بلا لوحات أو هى بالأحرى فكر بلا شعارات وأدب بلا خطب وفن بلا قناع .وسواء اتفقت مع المؤلف أو اختلفت : تحس برغبة عارمة فى التعرف على

وجهة نظره لتتبينها على حقيقتها ، ولتناقشها مع نفسك ، فقد يعن لك ان تعترض أو تقبل ·· اذن انت مطالب بأن تفكر ! و « فى الفكر » عنوان القسم الأول من الكتاب وفيه يحدثنا عن « تجديد الصلة بالله » وهو يعرض لنظر الاسلام الى الله جل جلاله من خلال كتاب العقاد « الله » ، وكتاب الدكتور أحمد زكى « مع الله فى السماء » وكتابين آخرين هما كتاب « الله » للدكتور مصطفى محمود وكتاب « الله » لأحمد بهجت ، ويعتصر لنا المؤلف ما ورد فى هذه الكتب الأربعة · لأن كتب الغرب التى تناولت مسألة الالوهية تجهل هذه النظرة ، أو لا تنصفها عن سوء فهم أو سوء نية ··

ويحدثنا بعد ذلك عن حجة الاسلام : الغزالى ، ثم يدافع عن الفكر الفلسفى ، ويتجه بنا بعد ذلك « نحو فكر عربى موحد » مركزا فى حديثه على الدكتور زكى نجيب محمود خاصة فى كتابه : مجتمع جديد أو الكارثة ··

والقسم الثانى من كتاب جلال العشرى « ثقافة بلا دموع » يدور حول الأدب ·· يكتب عن شوقى بين الأصالة والمعاصرة ، وهى دراسة عميقة ، ومدخل طيب لمن يريد من الأجيال الجديدة تذوق شعر شوقى ، وعندما يتساءل « هل انتحرت القصيدة الغربية » يقدم دراسة أخرى عن صلاح عبد الصبور أمير الشعر الحر ، وهى أيضا مقدمة لمن يريد أن يتعرف على الشاعر وشعره ومدرسته الحديثة وروادها ··

وهو يرى اننا اذا استثنينا قلة قليلة شاعرة ـ بعد رحيل عبد الصبور ـ لا يزال فى صدرها النفس الشعرى وفى قلبها النبض الحى ، لا نكاد نجد سوى دندنات واهية وأصوات واهنة ، لذلك كان التساؤل ولذلك أيضا بكى بين يدى الشعر الحر ، وهو يتحدث عن أمل دنقل الباكى بين يدى

زرقاء اليمامة ·· وصولا الى الغرفة رقم ٨ التى أسلم فيها الروح ·· والحق ان الدراستين من أجود ما كتب عن الشعر الحر !

هـذا الشعر الذى يحتاج دائما الى قلم أمين ، وتقييم جاد ، محايد ، ازاء ما يتعرض له من هجمة شرسة من جانب بعض نقاده ، وكثيرين من قائليه ، دون ادراك كامل لطبيعته وحقيقته ··

ويبدو الفصل الأخير من قسم الأدب «أدب الجنس الآخر» ·· الأدب ذو الطابع الخاص والنكهة المتميزة ، ليس لمجـرد ان كاتبته امرأة وكلماته وآراؤه فى هـذا المجال واضـحة وصادقة وفاصلة ··

ونجىء للقسم الثالث من الكتاب ·· وفيه يكتب جلال العشرى فى « الفن » مستهلا ذلك بفصل عن شكسبير والذى ينقله من الأدب للفن آن الحديث حول أعماله من المسرح الى السينما ·

وشكسبير يغرى بالكتابة عنه ، يكفى ان هناك مليـون صفحة كتاب ظهرت عنه وعن أعماله بلغات الدنيا ·· فضلا عن لغة السينما ، ويقـول لورنس أوليفييه ان السينما لو وجدت عام ١٥٥٩ لكان شكسبير أعظم مؤلفيها فى عصره ، ان أعماله تكاد تكون مكتوبة خصيصا للسينما بعد أن ضاق بحدود المسرح ، فاهتم بتقطيع المواقف وتوزيعهـا على عدة مناظر ·· ويعرض كتابا كاملا كتبه روجر مانفيل بعنوان شكسبير والسينما لتحويل مسرحياته الى أفلام ناجحة ··

ثم يدخل بنا الأستاذ جـلال العشرى الى « عالم المسرح العجيب » ·· المسرح الذى هو ليس فقط مرآة للعصر بل هو أيضا وسيلة لتغييره لأن الكاتب المسرحى العظيم شاهد عـلى

عصره : شاهد نفى أو اثبات ، ولابد من اقتحام قضاياه ، والمسرح الذى لا يحس بقضايا المجتمع والعصر ـ فيما يقول لوركا ـ أولى به أن يسمى ملهى ليليا أو كباريه ..

وليت هذه العبارة تكون واضحة وجلية أمام مسارح القطاع الخاص كمشاركة لوجدان الجمهور وعقله.. ويحظى فن الالقاء التمثيلى ، ومسرحنا الغنائى بفصلين يلقيان الضوء على موضوعين هامين فى مجال الفن العربى ، اولهما عن كتاب للمرحوم عبد الوارث عسر والثانى يتساءل فيه الكاتب عن اتجاهات مسرحنا الغنائى ، وتحس فى نهاية الكتاب انك كنت أمام وجبة ثقافية شهية ودسمة ، وممتعة فى نفس الوقت .. الأسلوب جميل ، والعرض جذاب ، والموضوعات جديرة بالبحث والدراسة ، والتناول بجدية والتزام ..

ان كتاب « ثقافة بلا دموع » للناقد جلال العشرى لابد أن يطرح تساؤلا هاما .. هل وفى غرضه ؟ هل حقق هدفه ؟ ان المقدمة قارنت بين ثقافة الغرب وثقافة العرب بشكل حاسم ، الفارق فى رأى الكاتب هو الدموع .. فهل عمق الكتاب هذا الرأى ووضحه تفصيلا ؟! ، وخاصة والكاتب ممن شغلتهم ويلا قضية الأصالة والمعاصرة ، وساهم كثيرا بقلمه فى توضيح جوانبها .. ومما لا شك فيه ان فى كتابه هذا الكثير من الحديث عن الماضى والجذور ، وهو من أكثر الناس ادراكا لحقيقة هامة هى أن الشجرة التى لا تعمق جذورها ليس أيسر من اقتلاعها مع العواصف ..

ثم انه ضمن كتابه الكثير من قضايا العصر ، لأنه يعرف جيدا انه من الضرورى أن نواكب الجديد ، ولا نتخلف عنه، لذلك تطرق لموضوعات الشعر الحر ، والسينما ، والمسرح الغنائى ..

والسؤال : هل ضفر الأصالة بالمعاصرة أم تحدث عن كل منهما على حدة ؟ هل بات مفهوم «ثقافة بلا دموع» أوضح مما كان قبل قراءة الكتاب ، أم اكتفى المؤلف بالاشارة التى فى المقدمة ؟

نقد « النقاد » ليس سهلا ولا يسيرا ، خاصة اذا عثرنا على ثغرة ننفذ منها الى السلبيات ·· ولقد استمتعنا بالكتاب بحق وصدق · وبلا مجاملة ·· لكن النقطة التى أثرناها مازالت واردة ··

هل يجلوها لنا الكاتب الناقد كما فعل مع قضايا الشعر الحر ، وأدب الجنس الآخر ، وغير ذلك فهى مازالت فى حاجة منه الى « دراسة » أو « بحث » أو « مقال » يوضح مسيرة الفرحة بالحياة فى ثقافتنا كما انه بحاجة الى تبيان مسيرة الدموع فى ثقافة الغرب ، اذ أن النموذجين اللذين أوردهما ليسا بكافيين ، ولا نظنهما ينتظمان كل الانماط الثقافية لديهم ·· وللكاتب التحية على جهده ! ··

مسرح أو لا مسرح !

د · نبيل راغب

● تفتقر المكتبة العربية الى الدراسات النقدية التطبيقية فى مجال المسرح ، ذلك أنها تحتــاج الى متابعــة للعــروض المسرحية وللمسرحيات التى تنشر تباعا سواء فى كتب أو مسلسلات فى صحف ومجلات · وهذه المتابعة تحتاج الى يقظة صحفية وأدوات نقدية أكاديمية فى الوقت نفسه ·

ونظرا للانفصال القائم بين الحياة الاكاديمية والعمل الصحفى فى مصر فان الكتب التى تقدم الدراسة التطبيقيــة للحياة المسرحية من الندرة بمكان · فكل ما يوجد من دراسات مسرحية فى المكتبة العربية يتمثل فى ترجـمة الدراســات النقدية الأجنبية سواء النظرية أو التطبيقية منها ، بالاضافة الى تحليل اتجاهات المسرح العالمى المعاصر اعتمادا على المراجع الأجنبية ·· أما المسرح المصرى المحلى فلم يكن له نصيب من الدراسة سوى التعليقات الصحفية والمقالات الانطباعية التى سرعان ما تتلاشى مع صدور العدد التالى من المجلة أو الجريدة·

obeikandl.com

من هنا كانت أهمية الكتاب الذى أصدره أخيرا الاستاذ الناقد جلال العشرى تحت عنوان « مسرح أو لا مسرح » فقد تعرض بالتحليل والدراسة لكل العروض المسرحية من أكتوبر ١٩٧٣ حتى الآن ، ولم يستثن من ذلـــك عروض ما يسمى بالمسرح التجارى لأنه أراد أن يكون شاهدا على هذه المرحلة فى حياة المسرح المصرى المعاصر • والشاهد لا بد أن تكون نظرته شاملة وموضوعية بصرف النظر عن ميوله الشخصية ، حتى تكون شهادته وثيقة ينظر اليها كل دارس للمسرح بعين الاعتبار والتقدير وخاصة بالنسبة للأجيال التالية لهذا الجيل •

واذا كان الكتاب يعتمد على النقد التطبيقى أســاسا ، الا أنه بطبيعة الحال يحمــل فى طياتــه كل مبادىء النقد النظرى التى يقــوم جــلال العشرى بتطبيقهــا كلــما سمح الموضوع بهذا • لذلك يقول فى تصديره للكتاب انه يحتوى على مجموعة من الدراسات النقدية تجمع بين التنظير والتطبيق وتحاول أن تقدم نوعــا من التــاريخ التقييمى ، أو التقييم التاريخى لعطاء مسرحنا المصرى من يوم السادس من أكتوبر باعتباره تاريخا فاصلا بين مرحلتين : بين ساحق النكســة وشاهق النصر •

من هذا المنطلق عالج جلال العشرى مسرح العبور الى سيناء واستلهام المعركة الاوكتوبرية ، ثم هاجم الكوميديات الهزلية التى تحيل المسرح الى مكان أشبه بالكباريه • ولذلك كان من الطبيعى أن يتعاطف جــلال العشرى مع مسرحيــة « أيوب الجديد » لأنه يرفض الصـــبر ويعلن الثورة • أما « حبيبتى شامينا » فهى دراما العرض والأرض برغم كــل ما تحمله من غنائية ، فى حين يتساءل العشرى فى مسرحية « شهرزاد » هل هى جسد للرغبة أم عقل للثورة ؟ لكن جلال لم يترك القارىء حائرا أمام تســاؤلاته بل وضــع الحدود

والحلول لها مثلما فعل فى تساؤله حول مسرحية يوسف السباعى « أقوى من الزمن ·· أم من التاريخ ؟ » ، وفى العرض المسرحى « حبيبتى يا مصر » من الذى بنى مصر ؟ وهل هذا هو السؤال ؟ ، وفى مسرحية الريحانى « ياما كان فى نفسى » العودة الى الريحانى ·· تراث أم افلاس ؟ ··الخ·

ولعل هذا يؤدى بنا الى القاء بعض الأضواء على اهتمام جلال العشرى بالمسرح الكوميدى بصفة خاصة · فقد أصدر من قبل كتابه « الضحك فلسفة وفن » ومن الطبيعى أن يبلور هذا الكتاب نظرته النقدية الى العروض المسرحية التى يتناولها بالنقد والتحليل · فهو يرى أن كوميديا الريحانى بمقدار ما كان لها من تأثيرها الايجابى فى حركتنا المسرحية العامة ـ كان لها أثرها السلبى على ما تلاها من مراحل : هو يعدم قدرته على كتابة مسرحيات مبتكرة ، واعتماده على التمصير عن مسرح البوليفار الفرنسى ، ووقوفه عند عتبة النقد الاجتماعى دون أن يصعد الى سطح الموقف الثورى ـ ترك بصماته على كل من جاءوا بعده ، بمواهب أقل وقصور أكبر ، مما أدى الى ظهور موجة المسرح التجارى التى تغرق مسرحنا الكوميدى الآن ·

ويأسف جلال العشرى لأن الحركة الكوميدية فى المسرح بعد وفاة الريحانى لم تتجاوز ما يسميه « بالمرحلة الريحانية» الى مرحلة أخرى يتم فيها الجمع بين الأصالة والمعاصرة خروجا بفننا الكوميدى من نطاق التقليد الى آفاق التجديد ،

عن المؤلف الكوميدى المصرى الأصيل، وتعرفا على ملامح الكوميديا الشعبية الأصيلة · ولكن الأصوات الكوميدية التى حاولت ذلك من أمثال نعمان عاشور ويوسف ادريس وعلى سالم لم تستطع ان تتجاوز الجمهور المحدود الى الجمهور العريض ، أو أن تنتقل من كوميديا البورجوازيين الى كوميديا

الشعب ظلت مقصورة على مخاطبة الفئة دون الكل ، أو الطبقة دون المجتمع ٠

لكن جلال العشرى ينسى أن المسرح الكوميدى على أيدى نعمان عاشور ويوسف ادريس وعلى سالم وغيرهم لم يأخذ فرصة على الاطلاق لكى يمد جذوره فى الوجدان الشعبى المصرى ٠ فقد بدأوا فى منتصف الخمسينيات وجاءت النكسة فى عام ١٩٦٧ لكى تقضى على الأخضر واليابس فى المسرح المصرى المعاصر ٠ وكان من الطبيعى أن يزدهر المسرح التجارى فى أعقاب هزيمة ١٩٦٧ كما ازدهر من قبل ابان الحرب العالمية الثانية ٠ فمسرح التسلية الهزلية مرتبط بمثل هذه الظروف لانه يتيح للجمهور الهرب من وطأة الواقع الثقيل الجاثم على كاهلهم كالكابوس ٠

ويرى جلال العشرى أن ثنائى «الريحانى ـ ميمى شكيب» هو نفسه ثنائى « المهندس ـ شويكار » الطابع نفسه والاطار نفسه مع استبدال التمصير عن الفودفيل الفرنسى بالتمصير عن الفودفيل الأمريكى ، بل بالتمصير عن الأفلام الأمريكية بالذات التى لا علاقة لها بالبناء الدرامى فى المسرح ٠ وهى الظاهرة التى تفشت بالذات فى سنوات النكسة حتى حجبت المؤلف الكوميدى الجاد ، وجرفت فى تيارها كل القوى الابداعية فى مجال الاداء الكوميدى مثل عبد المنعم مدبولى ، وأمين الهنيدى ، ومحمد رضا ، ومحمد عوض ، وأبو بكر عزت ، وبدر الدين جمجوم ، فضلا عن نجوم الكوميديا من الشبان : عادل أمام ، وسعيد صالح ، وجورج سيدهم ، وسمير غانم ، ومحمد صبحى ، ووحيد سيف ، وصلاح السعدنى ، وعبد السلام محمد ، وسيد زيان ٠ ولم يعد المسرح الكوميدى فى عمومه سوى مسرح النكت اللفظية الفارغة ، والمواقف الكوميدية الهزيلة ، والمفارقات السطحية

الساذجة ، بالاضافة الى اقحام الرقصات الاستعراضية والموسيقى الغنائية بلا مبرر سوى اجتذاب أكبر (كم) من الجمهور ٠

ويضيق بنا المجال للتعرض لكل ما جاء فى كتاب جلال العشرى « مسرح أو لا مسرح » اذ أن كثرة القضايا التى يثيرها تجعل من العسير مجرد الاشارة اليها كلها ٠ لذلك فهو كتاب ضرورى لمكتبة كل عاشق للمسرح ٠٠

obeikandl.com

بين أدب الرحلات وأدب الآخرة !

د٠ عبد العزيز شرف

ليس الانسان فيلسوفا بالطبيعة ، ولا فيلسوفا بالفطرة ، وانما هو فيلسوف عندما يوجد ما يدعـــوه الى التفلسف ، فالفلسفة استجابة ذهنية ، كما ان الشعر استجابة وجدانية ، لما فى الواقــع من دوافــع ودواع ، أو هى تعبير عن ذوات العقول كما ان الشعر تعبير عن ذوات النفوس !

بهذه الكلمات يستهل الأستاذ جلال العشرى كتابه عن « مصفى محمود شاهد على عصره » ، وهى كلمات توحى بما يشتمل عليه الكتاب من آراء وما يقوم عليه من أفكار ينتظمها منهج نقدى تميز به جلال العشرى فى العديد من الدراسات والكتب الأخرى ، وهو المنهج الذى يفيد من ثقافته الفلسفية، افادة تجعل من النقد استجابة ذهنية للابداع الأدبى الذى هو فى الأصل استجابة وجدانية ، وهو المنهج الذى تمكن عــن طريقه من اكتشاف عالم مصطفى محمـــود الرحب ، بحيث نذهب معه الى أن مصطفى محمود لم يتأثر ولم يقلد ، وانما قد استطاع أن يحيا « الثقافة الانسانية الفكرية » وان يتمثلها ويستفيد منها ، فترددت فى كتاباته أصداء العصر ، وتشكلت

أفكاره بكل ما أسهم فى تكوينها من حقائق أصيلة ووقائع معاصرة • ومهما يكن من أمر الأفكار التى تشابهت مع أفكار مصطفى محمود ـ كما يقول المؤلف ـ والأصداء التى ترددت فى كتبه وكتاباته . فان الذى لا شبهة فيه ولا شائبة ، ان مؤلفاته ليست مجرد مرآة انعكست على صفحاتها قراءاته ، وانما هى قد اشتملت على الكثير من الخطرات الفلسفية ، والمبادىء الأخلاقية ، والنظرات الصوفية ، هذا بالاضافة الى الآراء التى يمكن أن يكون لها أثر فى حياتنا الاجتماعية ! ويتضح عالم مصطفى محمود من خلال المنهج الذى رسمه المؤلف لكتابه ، حيث ينقسم الكتاب الى أربعة أبواب ، كل باب منها يؤدى بنا الى عالم مصطفى محمود ، فالباب الأول عنوانه : « العلم والايمان » يتحدث فيه عن العلم والفلسفة والتصوف ، أما الباب الثانى فهو عن « الأدب والفن » أو « الانسان » وفيه يتحدث عن القصة القصيرة والرواية والدراما ، و « أدب الرحلات » هو عنوان الباب الثالث حيث يتحدث عن العالم : المدنية ـ الغابة ـ الصحراء ، وأخيرا : رحلة الرحلات أو آدب الآخرة : الطريق الى الكعبة ـ رأيت الله ـ سدرة المنتهى • ذلك أن الفكر عند مصطفى محمود كائن حى له يدان ، على حد تعبير المؤلف ، يسراه العلم ، ويمناه الفلسفة ، أما التصوف فهو قلب الطائر الخفاق ! فعصرنا هو عصر الفكر •• لا الفكر النظرى الخالص الذى يبدأ أو ينتهى فى رأس صاحبه ، ولكنه الفكر المخلوط بالعاطفة الممزوج بالوجدان •• الفكر الذى يخرج من العقل لا ليخاطب العقل ، بل ليتلقفه الاحساس فيحيله الى صورة ترى ، وكلمة تسمع، وحركة تدرك بالوعى والشعور •

وقاعدة لاطلاق هذه المحاولة ، وكأنما يتمثل عبارة الشاعر الصوفى الكبير محمد اقبال :

« لا يتيسر فهم الكتاب الكريم حتى يتنزل على المؤمن كما تنزل على النبى » ٠

ذلك هو الباب الأول لاكتشاف عالم مصطفى محمود ، أما الباب الثانى فهو باب الانسان أو الأدب والفن ، حيث المتناهى فى الصغر والمتناهى فى الكبر ، هما المداران اللذان يدور فى فلكهما أدب مصطفى محمود كما دار فيهما فكر مصطفى محمود ٠٠ من الوعى كأداة للمعرفة ، والانسان كموضوع للمعرفة ، انطلق مصطفى محمود فى أدبه وكتاباته سواء الفلسفى منها على مستوى التفكير أو الأدبى على مستوى التعبير ٠٠ وهو ـ كما يقول المؤلف ـ لم ينطلق انطلاقة أى كاتب تقليدى يقول ما عنده ثم يستدير ليقول ما عند الآخرين ، وانما انطلق بفنيته الهائلة التى جمع فيها بين احساس الأديب وادراك الفيلسوف ، ومزج هذين البعدين بأسلوب عصرى جديد فيه عمق الفكرة ودفء العبارة ، فيه البصر الذى يوحى بالبصيرة، والمادى الذى يؤدى الى المعنوى، والرؤية التى تلتقى بالرؤيا كأروع ما يكون اللقاء ٠ فهو يتعاطى الأشياء بعقله ، ثم يعيها بوجدانه ، ثم يجسدها بكلمة فاذا هى مسرحية أو رواية أو قصة قصيرة ٠٠

ومن هنا كان فن مصطفى محمود غير قابل للتمذهب ، يعنى المؤلف اننا لا نستطيع ان ندرجه تحت مذهب أدبى معين أو نطلقه وراء فيلسوف بالذات ٠٠ فهو ابن حياة ٠٠ استطاع أن يفلسف حياته ويحيا فلسفته وان يتخذ منها جميعا مادة لكتاباته فى الأدب والفن : فى القصة القصيرة والرواية والدراما وأدب الرحلات ٠

ان كتاب جلال العشرى فى نهاية الأمر تأكيد لتيار « الأصالة والمعاصرة » الذى يورده فى كتاباته .. الأصالة فى العودة الى تراثنا الفكرى والروحى الأصيل ، والصدور عنه بما يتوافق ومتطلبات الواقع وروح العصر .

مصطفى محمود شاهد على عصره

فتحى سلامة

أحببت مصطفى محمود ، وازددت حبا له من خلال جلال العشرى فى كتابه القيم « مصطفى محمود شاهد على عصره » والكتاب رحلة رائعة ، عذبة ، تأخذك داخل وجدان مصطفى محمود ، وترشدك الى مسالك ودروب عقله ·· وفى النهاية تقودك الى الايمان انها رحلة مصطفى محمود نفسه التى قام بها من « يقين الشك » ، الى « يقين الايمان » ، وفى خلال رحلته لم ينس مطلقا الهدف الذى يسعى من أجله ·

ورحلة الكتاب تنتهى حيث بدأت ، انها رحلة هادفة ، تسعى جاهدة لكى تصل الى هدف سبق لها أن حددته ، فهى رحلة مؤمنة بهدفها قبل أن تبدأ ، وبالتالى فهى ليست رحلة تنقيب أو بحث ، أو كشف عن مجهول ، ولكنها رحلة تعليم ، يقوم فيها الباحث بدور المرشد الذى يعرف طريقه جيدا من قبل ·

وجلال العشرى يبدو انه يعرف ذلك ، بل ويؤكده « ·· واذا كانت رحلة المعرى الفلسفية الى العالم العلوى ، اطلالة

فكرية على عالمه الأرضى بكل ما يصطرع فيه من مشكلات ومعتقدات ٠٠ » ، « ٠٠ واذا كانت رحلة ابن شهيد الخيالية الى عالم الجان ، رحلة أدبية التقى فيها بزهير بن نمير أحد فرسان الجن » ، « ٠٠ أقول انه على الرغم من اختلاف رحلة دانتى عن رحلة المعرى عن رحلة ابن شهيد ، الا أن هذه الرحلات جميعا تختلف برغم ما بينها من تشابه عن رحلة مصطفى محمود » ٠

مصطفى محمود يؤكد ذلك أيضا فى كتبه التى أوردها جلال العشرى ، لقد أورد المؤلف خمس روايات وكلها تدور حول « رحلات » ، وليست بالقطع كلها رحلات مكانية كما فى رواية « الخروج من التابوت » ، أو رحلات زمانية كما فى روايتى « العنكبوت » و « رجل تحت الصفر » ولكنها رحلات ذات طبيعة خاصة يقودها ملاح يسعى الى اثبات فكرة ما ، أو كما يقول جلال العشرى « ٠٠ ولكن اذا لم يكن مستحيلا على الانسان أن يعلو على كل شىء الا يقودنا هذا الى التساؤل ٠٠ والى أين يريد أن يصل الانسان ؟ ألا يؤدى به العلو على كل شىء الى الوصول الى اللا شىء ؟ » ٠٠ هذه هى الشحنات الكهربائية التى تدفع التدفق الفكرى لتحيله الى تيار متصل متواصل يسعى جاهدا الى الوصول ٠٠ الوصول الى المحبة ٠

« كتاب جلال العشرى يثير عدة قضايا من أهم قضايا الأدب العربى عامة والأدب المصرى على وجه الخصوص ، وأولاها وأهمها ـ على ما أعتقد ـ فكر الكاتب أو الأديب ، وليس المقصود هنا « بفكر الكاتب » مجرد رأيه السياسى ، بل بمعنى أشمل « مقياس شهادته عن عصره » ، أو الفكر الشمولى الذى من خلاله يرى ويسمع ويتحرك ويصدر أحكامه ويثبت من خلال هذا كله أعماله الأدبية بصورها المختلفة ، فلا يكفى للكاتب أن يثبت مجرد رأى ، أو يؤلف سردا لمجموعة

أحداث متشابكة فى رواية أو قصة أو فى دراما ·· بل عليه أن يكون على دراية باطاره الفكرى الباحث أو « المفلسف » و « ليست الفلسفة شيئا آخر سوى تلك المحاولة التى يراد بها معرفة الله والانسان والعالم » ·· ولا يكفى ـ فقط ـ ان يتفلسف أو يفكر ، بل عليه ـ أيضا ـ أن يفعل كما يفعل المفكرون ـ وفقا لما قاله ·

والكاتب الذى يصل الى هذا المنهج يعد بالتالى شاهدا ، وهذا ما فعله مصطفى محمود ·

« وهذا ما حدث فى الفكر الاسلامى الوسيط حيث الغزالى ، وفى الفكر الاسلامى الحديث حيث العقاد ، وفى الفكر الاسلامى المعاصر حيث مصطفى محمود » ··

ان « الشهادة » هنا تعطى لصاحب الرحلة الفكرية التى قام بها محاولا دواما أن يجعل هناك تواصلا بين تيار فكره المتدفق الباحث وبين تيار العصر الذى يعيش فيه ، هذا التواصل هو دليل « شهادته » ··

·· ويظل كتاب جلال العشرى شهادة على أن أدبنا العربى غير قاصر فى فكره الخاص والمتأصل ، وان لديه كنزه الثمين من فكره المستقل ولا داعى للاستيراد ··

البير كامى وأدب التمرد

أحمد زكى عبد الحليم

يأتى هذا الكتاب ليرد اعتبار الكاتب الفرنسى الشهير « البير كامى » الذى اشتهر بأنه من رواد مدرسة العبث • وقد تصور بعض الناس ان معنى العبث هو أن يعيش الانسان متحللا من كل الالتزامات ، وبخاصة الالتزامات الأخلاقية • رغم أن هذا المعنى بعيد كل البعد عن الحقيقة •

وكتاب « البير كامى وأدب التمرد » كتاب بالانجليزية ، كتبه « جون كرد كشانك » ، حيث صدرت طبعته الأولى فى يونيو ١٩٥٩ ، وأعيد طبعه فى نوفمبر من نفس العام ، وكان كامى لا يزال على قيد الحياة • وقد حاول فيه الكاتب أن يكون منصفا فى هذه الدراسة ، لأنها كانت متعلقة بكاتب آخر مازال يعيش بيننا • ولذلك لقيت اقبالا وتقديرا عظيمين ، على المستوى الأوربى • ثم جاء الكاتب والناقد والفنان « جلال العشرى » ليقدم هذه الدراسة الرائعة لقراء العربية ، فيفتح أمام الاذهان مجالا متسعا للوقوف على أدب كامى وأفكاره وفلسفته ، وبالتالى يرد له اعتباره بين الجماهير العادية •

وأحسب أن جلال العشرى قد أرهق نفسه كثيرا وطويلا فى هذا الكتاب ، لأنه لم يقف فيه عند حد الترجمة ، ولكنه حرص على أن يكتب تعليقات على جوانب هذه الدراسة ، كما حرص على تصدير الترجمة بمقدمة اضافية عن الأديب وأدبه ٠

يقول لنا جلال العشرى أن كامى قد ولد فى ٧ نوفمبر ١٩١٣ فى مندوني من أعمال قسطنطينة بالجزائر ، وأنه مات يوم الاثنين ٤ يناير ١٩٦٠ فى حادث سيارة على طريق سانس باريس ٠ وأن هذا الرجل كان يحب عشر كلمات أكثر من غيرها ، وهى : العالم ، العذاب ، الأرض ، الأم ، الناس ، الصحراء ، الشرف ، البؤس ، الصيف ، البحر ٠٠ لكن حياة كامى وأفكاره تلخصت فى أقانيمه الثلاثة : العبث والتمرد والثورة ٠

ويتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء : الجزء الأول عن التمرد كموقف من الحياة ٠ والجزء الثانى عن التمرد والسياسة ، والجزء الثالث عن التمرد والأدب ٠

ويرى المترجم جلال العشرى أن البير كامى قد أطلق صرخة النور ، التى استهدف بها التنوير الأخلاقى والتأثير الفكرى ٠ وهى صرخة تدل على اتحاد الكاتب ورجل الأخلاق فى شخصية واحدة ٠ كما أن ارتباطه بأهل الجنوب أو شعوب البحر المتوسط يبدو واضحا فى فكره ونثره ، وبالتالى فانه يبدو بمثابة النور الأفريقى الساطع الشجاع ٠

ويبقى أن نؤكد أن ترجمة جلال العشرى قد أضافت الى هذه الدراسة مقوماته الذاتية المتمثلة فى القدرة على التعبير من خلال استخدام لغة راقية ورقيقة ومعبرة ومليئة بالمشاعر الانسانية ٠ ومن هنا تأتى أهمية هذه الدراسة باللغة العربية ٠

الأصالة والمعاصرة ‥ وأزمة النقد !

محمد جبريل

« ليس عندنا نقد ، فالنقد عندنا شىء ‥ أى شىء ‥ كلام ‥ مجرد كلام يتراوح بين الكتابة اللامنهجية ، والرأى الشخصى الخالص ، والتعبير لمجرد التعبير ٠ وليس أدل على ذلك من فوضى النقد عندنا واختلاف النقاد حول مشروعية العمل ، فضلا عن درجات التقويم ٠

بهذا الاتهام المثير ، يبدأ الصديق الناقد جلال العشرى كتابه الجديد « ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة » ذكرنى بما فعله البطل الاسطورى شمشون بأعمدة المعبد ‥ ذلك لأن جلال العشرى هو أحد هؤلاء النقاد الذين يتناولهم اتهامه !

واذا كانت الأدلة التى ساقها العشرى للتدليل على رأيه . مثل الاختلاف فى شاعرية العقاد ، وقيمة سلامة موسى الفكرية ، وانتماء رشاد رشدى الحقيقى : هل هو كاتب مسرحى ، أم ناقد مسرحى ؟

وتناقض النظرة الى أدب احسان عبد القدوس بين الرفض والترحيب الشديد ، الأمر نفسه بالنسبة لقضية الشعر الجديد

وغيرها من القضايا ·· اذا كانت هذه الأدلة لا تتصل بالاتهام الخطير الذى يطرحه العشرى ـ ذلك لأن الدول المتقدمة ثقافيا ، والتى حققت تفوقا منهجيا فى مجال الدراسات النقدية ، تعانى من التباين فى التفسيرات النقدية ·· كما يتبدى فى عشرات المقالات والكتب التى تناقش الفكر الأوروبى منذ سقراط الى ما بعد كولن ولسن · تعيد النظر ، وترفض أحيانا ، وترد الاعتبار أحيانا أخرى ··

ولعلنا نذكر هنا بالذات كتاب جارودى الممتاز « واقعية بلا ضفاف » الذى أحدث تغيرا مؤكدا فى مدرسة الواقعية الاشتراكية ، والذى أعاد فيه جارودى ، كافكا العظيم من غربة المنفى ·

فهل يعنى ذلك ان « النتيجة » التى بدأ بها العشرى كتابه ـ وهى افتقاد النقد المنهجى العلمى السليم ـ غير صحيحة ؟

الواقع ان تلك « النتيجة » تكاد تصل ـ فى واقعنا الثقافى ـ الى مرتبة الحقيقة البديهية ·· فالنقد انطباعى ، يعبر فيه الناقد عن ذوقه الشخصى الذى لا يستند الى نظرة شمولية يخضع لها أحكامه وتفسيراته ·· أما الاجتهادات النقدية الأوربية ، فهى تصدر ـ فى كل الأحوال ـ عن نظريات متكاملة ربما تتفق فى وجهة نظر ، وربما تختلف فى وجهة نظر أخرى ، لكنها بعد روافد نقدية لها منابعها وأصولها ·

ولكن جلال العشرى اكتفى بالنتيجة دون أن يمهد بالسبب · ومن هنا جاءت أشبه بالحكم المقتضب الذى تنقضه مذكرته التفسيرية ·· وتبقى القضية التى يطرحها العشرى فى كتابه ما الأصالة وما المعاصرة ؟

ان أيا من هذين البعدين لا يتحقق ـ فى رأى الكاتب ـ الا اذا كان الناقد صاحب نظرة ثقافية عميقة واسعة تتناول كل الأمور ..

أما الأصالة ، فهى أن يصدر الناقد فى نظريته عن نفسه أولا ، بحيث تجىء هذه النظرية نابعة أصلا من طبيعة الأدب فى بلاده ، ومعبرة بعد ذلك عن مزايا لغة هذا الأدب فى الفن والتعبير . وأما المعاصرة فمعناها أن يعيش الناقد واقع عصره ، محاولا بعد ذلك الا يظل عليه من الخارج .. متأملا .. بل ان يحياه من الداخل ثائرا ، حتى يتمكن من تطوير هذا الواقع وتغييره .

ولقد عرض الكاتب بصورة سريعة ، لتطور حياتنا الثقافية منذ أواخر القرن الماضى ، حتى جيلنا الحالى .. ابتداء بالشيخ حسين المرصفى وانتهاء بالكاتب نفسه ، الذى يمثل ـ كما يقول ـ الأصالة والمعاصرة أدق تمثيل .. فرجاء النقاش استمرار للمدرسة المندورية التى تعتمد على المنهج الايديولوجى وغالى شكرى استمرار لمدرسة الواقعية الاشتراكية عند لويس عوض وأمير اسكندر استمرار لمفهوم الالتزام النقدى عند محمود أمين العالم ، أما العشرى فانه « يجىء بمحاولاته التعرف على كنه النقد العربى وجوهره الأصيل ، من حيث هو نقد له سماته الخاصة وملامحه الذاتية وهو اذ يصدر فى محاولاته النقدية عن ارهاصات النقد الأولى التى قام بها نقاد العرب القدامى ، وعن مزايا اللغة العربية انما يفعل هذا فى ضوء ثقافة أجنبية هادفة ، وفى ضوء تجربتنا الاشتراكية الرائدة .

ثم نأتى الى السؤال : أين افتقاد النظرة الموضوعية فى ثقافتنا العصرية ، ارتكازا الى رأى الكاتب فى افتقادهما فى حركتنا النقدية ؟

.. فى الفكر الفلسفى يعرض الكاتب لأفكار العقاد وزكى نجيب محمود وأنيس منصور .. وهو لا يعرض لتلك الأفكار اجمالا ، وانما من خلال كتب ثلاثة يجد انها تمثل اتجاهات أصحابها تمثيلا صادقا .. أما النقد الأدبى فان الكاتب يعرض لبانوراما خياة شيخ النقاد الراحل محمد مندور ، ثم لويس عوض ، ثم كتاب رجاء النقاش « أدباء معاصرون » .. وفى مجال الشعر يتناول الكاتب مدرسة الديوان التى بدأ بها العقاد ثورة على الاطر التقليدية فى الشعر العربى ، ثم ثورة الشعر الجديد التى وضعت العقاد بين غلاة المحافظين .. ويتناول الكاتب أيضا شعر عبد الوهاب البياتى من خلال دواوينه العديدة ، ثم شعر صلاح عبد الصبور من خلال مسرحية « مأساة الحلاج » ، ثم شعر عبد الرحمن الشرقاوى من خلال « مأساة جميلة » و « الفتى مهران » .. أما أدب المسرح ، فان الكاتب يناقش مسرحيات نعمان عاشور ، ومسرحية « الفرافير » ليوسف ادريس ومسرحية « الاسلاف يتميزون غيظا » لكاتب ياسين .. وأخيرا يتناول العشرى فى مجال القصة ، روايتى الطيب صالح « موسم الهجرة الى الشمال » و « عرس الزين » ومجموعات يوسف الشارونى القصصية الثلاث ، ثم مجموعة غادة السمان « ليل الغرباء » .

ولقد تعمدت ان أشير الى الأدباء والنقاد الذين تناول جلال العشرى أعمالهم فى كتابه ، لأصل بك الى الانطباع الذى غادرت به الكتاب وأنا أغلق آخر صفحاته ، وهو ان القضية التى يثيرها فى البداية ــ وان كانت صحيحة ــ لا تنتسب الى الكتاب ، وان الكتاب نفسه ينتسب الى المحاولات الجادة والمخلصة التى يبذلها جيل الأدباء الشبان غالى شكرى وأمير اسكندر ونبيل راغب ورجاء النقاش وفاروق عبد القادر وسامى خشبة .. وجلال العشرى .. لخلق تيار نقدى يعتمد

على الموضوعيــة العلميـــة ، وليس عـــلى التأثر الــذاتى و « الفهلوة » ٠

أما القنبلة التى حرص الكاتب على تفجيرها فى بداية الكتاب ، فهى أشبه بحيل كاتب القصة البوليسية لشد انتباه قرائه منذ السطر الأول ، اذا اضفتها الى « التفرد » الذى خص به الكاتب نفسه فى قائمة نقادنا ، فلن يغير ذلك ــ فى تقديرى ــ من نظرتك للكتاب وانها ــ فى النهايــة ــ ستكون نظرة تفهم ومشاركة واعجاب ٠

جلال العشرى يحقق أسس الموضوعية

نبيل أصفهانى

جلال العشرى فى مقدمة كتابه الجديد :

« ليس عندنا نقد ... فالنقد عندنا شىء أى شىء ... كلام .. مجرد كلام ... »

صدر أخيرا فى القاهرة للناقد جـــلال العشرى كتاب « ثقافتنا .. بين الأصالة والمعاصرة » ، وهو مجموعة أبحاث فى النقد نشرها الكاتب خلال السنوات العشر الماضية فى الصحف التى كان يعمل فيها ويتابع من خلالها حركة الأدب فى البلاد العربية . يبين الكاتب مستقبل النقد فى العـــالم العربى ويدعو النقاد الى مزيد من المسؤولية الواعية للظروف المحيطة بمسيرة الثقافة العربية .

يبحث المؤلف عن نظرية نقدية ترسى أسس الموضوعيـــة وتخلص نقادنا من النسبية فى المقاييس والأحكام ، وذلك عن طريق التخصص فى أدب النقد ليوازى أدب الابداع منهجا وموضوعا .

obeikandl.com

فالكتاب محاولة خلق نظرية توفيق بين الأصالة والمعاصرة لتصوغها معادلة توضح أسس المستقبل النقدى • وهو مواكبة الأدب النقدى والابداعى ـ بعيدا عن التقصير فى النقد التراثى القديم ـ على ضوء الثقافة العالمية وضمن اطار من فعالية التوجيه فى العمل النقدى • فتخلف النقد المحلى انما يعود الى عوامل موضوعية تتعلق بالواقع الخارجى ، والى ظروف ذاتية يفرضها النقاد بأنفسهم حين يضعون النقد فى موضع تجاذب بين القديم والحديث بخلقهم فجوة بين ادابنا والنقد المستورد •

يتطرق المؤلف الى النقد الاكاديمى لجيل الجامعيين باتجاهاته الموضوعية أو الاجتماعية أو الوجودية أو النفسية أو الشارحية ـ الكلمة للمؤلف وتعنى دراسة الأثر بحد ذاته بعيدا عن كافة العوامل الخارجية • لكن تلك الاتجاهات تمثل دوائر منعزلة تعبر عن ذات أصحابها مما يحصرها ضمن مجالات ضيقة ، كاتجاه الربط بين التاريخ والاجتماع مثلا ، دون أخذ بقية العوامل بعين الاعتبار •

ويستهويه فكر العقاد وفلسفة الوعى الكونى فيدافع عن مؤلفاته بتقريبه ، كمؤرخ فلسفة ، من الفلاسفة ، ويبين أثر التقبل والابداع الذاتى فى كتاباته ، ويختم البحث باعتبار العقاد واضعا الايديولوجية الاسلامية ومكملا رسالة الافغانى ومحمد عبده • ان دراسة العشرى لنواحى اهتمام العقاد تدل على تعمق فى عبقرياته وغوص فى أعماق الفكر العقادى •

أما التزاوج بين الفلسفة والفن فيظهر فى قسم «فيلسوف الأدب وأديب الفلسفة » ، وفيه دراسة عن فكر الدكتور زكى نجيب محمود ، الذى يعتبره مرحلة الفكر المستقر الرزين ومنطلقا لمذهبه الوضعى العلمى التجريبى فى الفلسفة • أما نقد جلال العشرى لمنهج التصنيف عند زكى محمود فتمليه

دوافع منهجية وذاتية لكنه فى معرض اتهام الدكتور زكى بالتقصير لا يقلل من قيمة احاطته بالجزئيات لادراكها متكاملة مع سواها من الظواهر ٠

أما « الشاهد على هذا العصر » فهو أنيس منصور ناقل الفلسفة من الغيبيات الى باطن الأرض السوداء ليصور بها الملل الخلاق فى « وداعا ايها الملل » ٠ ويقارن المؤلف بين غربة ويلسون وملل منصور ليحدد دراما الملل بالمولد والحياة والموت ٠

فى « النقد الأدبى » يبرز « شيخ النقاد » محمد مندور صاحب منهج النقد الايديولوجى من خلال اهتمامه بقضية الالتزام فى نظرته للثقافة المعاصرة ٠ كما يبرز « البعد الرابع » فى النقد لويس عوض ، فيعرض المؤلف المراحل التى عايشها فى السياسة والاجتماع والمجال الروحى ، ويظهر براعته كمحلل للتاريخ الأدبى العربى فى مصر كما يركز على مضمون دعوته : « الأدب القائد للمجتمع والأدب فى سبيل الحياة » ٠

لكن أزمة الأديب تنبع من أزمة الناقد ، وذلك مدعى للحديث عن تمرس رجاء النقاش فى النقد ٠ ويشدد المؤلف على مبدأ الربط بين الظاهرة الأدبية والواقع السياسى ٠

واليوم يعلنها النقاد ثورة على أمير الشعراء تتجلى فى تاريخ المؤلف للظواهر الأدبية المرتبطة بالأرضية الاجتماعية، والكشف عن كافة المناشط الحياتية فى ذلك الوقت ٠ ويعتبر نقد شعر شوقى من أهم أجزاء الكتاب ومدخلا لشعر «الالتزام والاغتراب » عند الشاعر عبد الوهاب البياتى ٠ أما « شاعر الكلمة والموت » فهو صلاح عبد الصبور » ٠

وتحت عنوان « شعر المسرح والشعر فوق المسرح » يستعرض المؤلف ظاهرة مسرحة الشعر ثم قسمى التجربة الشعرية : الدراما والشعر ٠

ويستمر فى موضوع المسرح ليبحث عن مسرح مصرى فى تمثيلية « الفرافير » ليوسف ادريس كدلالة على التزام المؤلف المسرحى بواقع عصره ٠

أما نعمان عاشور فهو مؤرخ دراما التغير الاجتماعى فى البيئة المتجهة نحو الاشتراكية ٠ ويبدأ المؤلف من الحاضر ليكشف مراحل التطور النقدى والأدبى ، ويتطرق الى مؤلفات الأدباء الجزائريين التى وضعت باللغة الفرنسية مع أن جذورها قومية بحتة ، كأصالة الروائى الطيب صالح الباحث عن الذات الأفريقية فى مؤلفاته ٠

ويعدد العشرى قصص يوسف الشارونى ، ويعود الى تاريخ القصة القصيرة حتى انفصالها الى اتجاه واقعى وتعبيرى ، وفى هذا القسم دراسة شاملة لتاريخ القصة القصيرة فى مصر وتطورها المرتبط بالواقع الاجتماعى والذات المبدعة ٠ ويشدد على فكرة الالتزام بمعناها الرحب الشامل ، ثم يتناول غادة السمان فى نضالها ضمن أسوار مجتمع الحريم وضمن أزمة القصة القصيرة بعد طول احتجاب ٠

كتاب « ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة » دليل على عمق التجربة النقدية فى مصر ، ووثيقة هامة فى تاريخ الأدب العربى تناولت كافة النقاد المحليين ، وصنفتهم تبعا لانتمائهم المنهجى ووفقا لارتباطهم بالواقع الأجتماعى ـ السياسى ٠

فاذا أدركنا قيمة منهج العشرى التاريخى فى مؤلفاته الفلسفية والأدبية والمسرحية والنقدية الى جانب ترجماته لروائع المسرح العالمى ، تحققنا من هدف رؤياه القائمة على ايجاد النقد الأصيل منبتا ، والمعاصر تأثرا ، والعربى واقعا .

obeikandl.com

لن يسدل الستار

عزت الأمير

أحدث كتاب للكاتب الناقد جلال العشرى يحدثنا فيه عن عشرين من ألمع كتاب المسرح العالمى فى العصر الحاضر ·· ولكن الذى يهم فى هذا الكتاب ـ مع احترامى للصور السريعة والدقيقة فى نفس الوقت التى قدمها لنا عنهم ـ هو مقدمة الكتاب نفسه ·· التى يرسم لنا فيها لمسرحنا المعاصر صورة أقرب الى الرسم الكروكى ـ بحكم انها مقدمة ـ الا انه رسم فنان متمكن ·· استطاع فيه ان يقدم الخطوط الهامة والرئيسية أمام خلفية من الثقافة كبيرة المساحة بعيدة العمق مكنته من أن يستعرض فى عشر صفحات معظم كتاب مسرحنا بدءا من مارون نقاش وفرح أنطون ·· وجعلتنى أتمنى لو أن المؤلف خصص كل صفحات كتابه من أجل الحديث عنهم فى توسع وتعمق أثبت باشاراته السريعة الواعية انه قادر عليهما ·· هذا مع المحافظة على هدفه من تقديم مقالاته العشرين عن كتاب المسرح العالمى كعلامات طريق ·· أو على حد تعبيره « دقات مسرح أو اشارات مرور » ترشدنا أثناء مسيرتنا فى الطريق الى مسرح نابع من شخصيتنا وحضاراتنا ·· أقول مع

المحافظة على هدفه هذا عن طريق الاستعانة بالحديث عنهم أو عن أى منهم فى الموضوع المناسب أثناء توسعه فى الحديث عن مسرحنا نحن ·· وربما يكون هذا تدخلا منى ـ بدون حق ـ فى الكيفية التى أراد جلال العشرى أن يقدم لنا كتابه بها ·· ولكن يدفعنى الى هذا كما قلت ·· اعجابى وتقديرى لما يشف عرضه المضغوط لكتاب مسرحنا عن أبعاد عميقة ·

ان مسرحنا يعانى بلا شك أمراضا عديدة·· من أسبابها ما يرجع كما أشار جلال العشرى الى تاريخ بعيد ·· عندما أخذت الحضارة الاسلامية عن الحضارة اليونانية المنطق والفلسفة والطب والفلك والهندسة والرياضيات ·· دون فن أو علم الدراما لتعارضها مع طبيعة الدين الاسلامى ·· ومن أسبابها ما يرجع الى كتاب مسرحنا ·· ولكن يكفى أنهم يحاولون أن يبنوا وأن يضعوا الأساس فى آن واحد ··

وأعود فأقول ان هذا من الدواعى التى دفعتنى الى الرغبة فى توسيع الحديث عنهم ·· وأيضا لكى تكون الفرصة متاحة وعادلة بالنسبة لجلال العشرى ولقرائه لمناقشة آرائه وأحكامه عليهم أما الأسباب التى تقع فى حدود مسئوليتنا بخصوص مشاكل مسرحنا فهى تصرفنا أو تصرف المسئولين عنه ·· وربما كان هذا ما جعل جلال العشرى ·· يحدثنا عنه بتوسع نسبى ·· وباحساس الطبيب الذى يعرف أن دواء مريضه فى متناول اليد ·· وليس عليه الا أن يصفه له ·· لقد تكلم عن سعى مسرحنا وراء الجمهور بدلا من أن يجعل الجمهور يسعى اليه عن طريق تربية الحس الدرامى لديه ·· والى الفوضى فى اختيار النصوص التى تستحق الترجمة ·· وازدواج بعض النصوص المترجمة بينما هناك مسارح لم ننقل منها الى العربية أى نص مثل المسرح الصينى والمسرح الزنجى والمسرح الاسترالى ·· وأيضا مشكلة ترجمة المسرح الكوميدى ، بين

الفصحى والعامية ·· ومشكلة المترجم نفسه وصلاحيته لترجمة المسرح بالذات ·· كل هذه المشاكل حدثنا عنها جلال العشرى بفهم ·· وبجدية ·· وباخلاص ·· وبما يوحى به عنوان كتابه « لن يسدل الستار » من تصميم واصرار يعبران عن حب حقيقى للمسرح ·· ولمسرحنا نحن بالذات ·

obeikandl.com

سقوط الأقنعة لجلال العشرى

محمد على مصلحى

ان الحركة المسرحية لم تكن فى يوم من الايام حركة فى الفراغ انما كانت هدفا ثقافيا ورائداً من المعين الكبير الذى امتد فى احشاء البلاد • فالمسرحيـة التى تعرض لابد وان تتلقفها وسائل الاعلام المختلفة نقدا وتحليلا ووسائل اخرى من ندوات تنعقد فى الحال وعلى كل المستويات الاعلامية •

على أن جلال العشرى قد استمر يواكب الحركة المسرحية بحرص شديد ومتابعة دقيقة •• ويحدثنا خيرى شلبى عـن جلال العشرى فى نقده فيقول ان كتب جلال العشرى يمكن ان تصير الى جانب قيمتها الموضوعية سجـلا تاريخيا بعـدد المسرحيات التى قدمت منذ بداية الحركة المسرحية حتى اليوم وهذه مثابرة افتقدها الكثيرون ، صحيح ان ظروفه الخاصـة خدمته بان جعلته على الدوام مرتبطا بمجلة شهرية أيام كان سكرتيرا لتحرير مجلة الفكر المعاصر •• ثم مجلة أسبوعية مجلة الاذاعة الآن فى مصر الأمر الذى يتيح له فرصة المتابعة ولكن ما يحسب له انه لم يستسلم لليأس من استمرار حركة

مسرحية قيمة يستأهل الدخـول معها فى جـدل ولم تعره الصحافة بالكتابة السريعة بهدف التغطية الصحفية ٠

ان هاتين الميزتين مكنت جلال العشرى من أن يقدم كتابه (متى تسقط الأقنعة) وموضوعه فى هذا الكتاب هو انـه كانت وجهة نظره شمولية بالنسبة للثقافة بوجه عام فهو أول من نادى بالأصالة والمعاصرة فى هذا الجيل وآخر ما صدر لجلال العشرى هو (سقوط الأقنعة) فنراه يصـدر الكتاب بمقدمة اضافية يربط فيها بين ما سبق أن تناوله بالنقد من العروض المسرحية السابقة فى شتى المواسـم ٠ ان هـذه الأرضية بمثابة أرضية نمشى فوقها ونحن نتلقى معطيـات الحركة المسرحية فى آخر مواسمها وما انتهت اليه فى نهـاية المطاف ويتحدث العشرى عن أزمة الممثل الموظف فى مصر أو انصاف الممثلين والممثلات واختيار أفضل عـدد ممـكن من العناصر الكوميدية فضلا عن بعض نجـوم السينما ، فلقـد سارت الحركة المسرحية فى مصر هى التمصـير من الأفـلام الأجنبية لا من المسرحيات العالمية ولكنه استطاع أى المسرح التجارى ــ٠٠٠ــ أن يتحرر من البيروقراطية الدرامية وان يحقق حرية الحركة والاتفاق سواء في الديكور أو الملابس أو الدعاية والاعلان والموسيقى والاضاءة ٠ وان يقدم العروض الضخمة الموسيقية والغنائية والاستعراضية ٠٠ وعلى الجانب الآخر نرى ظاهرة التمصير هذه ظاهرة متخلفة تجاوزهـا مسرحهم الحديث فى أوائل الخمسينيات عندما ظهـر المؤلف المسرحى على الأصالة الا أن الأفلام السينمائية التى قصر عنها لا تضيف شيئا أى شىء ــ ٠٠٠ ــ وتكون الجماهير من الكثرة المتنرجة قد شاهدتها على الشاشة ٠

ان جلال العشرى مؤمن بأن رجل المسرح هو المؤلف صاحب النص المكتوب وان على المؤلف تتوقف مسيرة الحركة المسرحية

واداء الممثل والاخراج والنقد والتقييم والسؤال الذى ابرزه المؤلف الى المسرح التجارى هو ان نكون او لا نكون يعنى (مسرح أو لا مسرح) ثم يؤكد لو انه أجاب على هذه الفقرة من السؤال فان الأقنعة تسقط على المسرح كيفما يعود فيطالعنا بوجهه الحقيقى ان التمصير هى انه فى بداية المطاف لأى عمل فنى مبتدىء أما ان يستمر ويتناقله الكتاب المؤلفون فان هذا فيه ادمان وغوص الى التمصير وأحيانا تخرج عن مفهومها الضمنى لمعنى المسرحية ٠

ان المؤلف قدم لنا نماذج تناولها بالنقد بين دفتى هذا الكتاب هى فى الواقع وجوه لم تسقط عنها الأقنعة بعد ولذا فهناك تحفظات باعتبارها مسرحا خالصا أو حقيقيا ، لأنها فى معظمها نتائج المسرح التجارى المكتسح والنتيجة هى أولا وأخيرا ضعف النص المسرحى وعجزه على أن يقوم بدوره الطليعى والايجابى من خلال الممارسة الحقيقية للانتاج بدلا من التمصير لكى تتحاشى النتيجة الحتمية فى ضعف النص المسرحى وعجزه عن مده بقيمة فكرية أو فنية ٠

ان الحصول على مسرح بدون أقنعة لا بد لنا من قراءة هذا المؤلف الجيد الذى شرح المسرح المصرى وخرج به بنتائج باهرة هى ترك التمصير وعدم تفرغ الممثلين والأسباب كثيرة ذكرها فى مضمون هذا الكتاب ، وهو مؤلف جيد فى عرض لهذا الكتاب تساءل احد النقاد قائلا : (متى تسقط الأقنعة) ٠

الضحك .. فلسفة .. وفن !

فايـز فـرج

ما أحوج الانسان الى الابتسامة والضحكة من حـين الى آخر ، فمشاكل الحياة كثيرة ومعقدة والضحكة هى التى تخفف من حدة هذه المشاكل ، وتجدد من نشاط الانسان ، وتحببه فى الحياة ، وتزيد الأمل فى الغد المشرق ، والضحـك ليس عملية بسيطة سهلة كما يعتقد البعض لأول وهلة ، وانما هو عملية مركبة صعبة ، بل هو فلسفة وفن ، وهذا هو عنوان الكتاب الذى نعرض له للناقد جلال العشرى .

يقول المؤلف ان الانسان هو الكائن الوحيد فى هذا الكون الذى يعرف الضحك ، بل هو كما يقول عباس محمود العقاد الضاحك المضحك أيضا ، واذا كان الفلاسفة قـد أطلقـوا تعريفات كثيرة للانسان كحيوان ناطق أو حيوان متدين فاننا نستطيع القول ان الانسان حيوان ضاحك ، ذلك لأن الضحك من أخص خصائص البشر ، ويعبر الفيلسوف « نيتشة » عن ذلك فيقول :

obeikandi.com

« اننى لا أعرف تماما لماذا كان الانسان هو الحيوان الذى يضحك ؟ فانه لما كان الانسان هو أعمق الموجودات شعورا بالألم ٠٠ كان لا بد له من أن يخترع الضحك » ٠

وهناك أسباب كثيرة للضحك ، هناك ضحك السرور والرضا ، وهناك ضحك التهكم والسخرية ، وهناك ضحك المزاج والطرب وهناك ضحك العطف والمودة ، وهناك ضحك الشماتة والعداوة وهناك ضحك الدهشة والمفاجأة ، وهناك ضحك العجب والاعجاب ، وهكذا يتنوع الضحك لأن الانسان وحده هو الذى يدرك المشابهة ويحس بالتعاطف ويستدعى الخواطر من قريب أو بعيد ٠

ويشرح جلال العشرى كيف ان الانسان وحدة عضوية متكاملة تنطوى على الفسيولوجى « وظائف الأعضاء » والسيكولوجى أى الوظائف النفسية فضلا عن السيولوجى أو الاجتماعى ولان الانسان وحدة متكاملة من هذه العناصر الثلاث ، يعرض المؤلف لموقف الضحك من كل منها ورأى الفلاسفة وعلماء النفس ، ففى مجال الفسيولوجيا يقول الفيلسوف هربرت سبنسر فى كتابه « فسيولوجيا الضحك » أن الضحك ذو طبيعة ديناميكية تجعل منه طاقة زائدة لا بد لها من بعض المخارج ، ثم يؤكد سبنسر أن الضحك حركة من حركات رد الفعل ، أو الافعال المنعكسة التى تحدث لصاحبهما دون ما قصد أو ارادة ، شأنها فى ذلك شأن غمضة العين أو رعشة البرد ٠

ويؤكد الفيلسوف (رينيه ديكارت) أبو الفلسفة الحديثة هذا الرأى فيقول ان الضحك ظاهرة عضوية بحته تحدث فى غيبة العقل عن التحكم فى تنظيم العمليات الانفعالية ٠

وهكذا يقف هذا الفريق من الفلاسفة عند تفسير الضحك تفسيرا فسيولوجيا عضويا فقط ٠

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك الى الجانب السيكولوجى النفسى من عملية الضحك فيقول ان الضحك له وظيفة نفسية فى تخفيف أعباء الواقع وترطيب جدية الحياة واراحة النفس من كثافة المشكلات اليومية ، وهذا ما عبر عنه العالم النفسى الشهير سيجموند فرويد بقوله ان المواقف الفكاهية مثلها فى ذلك مثل حالة اللهو أو اللعب انما تنطوى دائما على مبدأ اللذة ، ثم يستطرد فرويد قائلا ٠٠ والنكتة نوع من الفعل الارادى الذى يلجأ اليه الانسان ليتحرر من جدية الواقع ويعفى نفسه من أعباء الحياة ، وهذا معناه أن النكتة والفكاهة نوع من الصحة النفسية تساعدنا على الهروب من عناء الواقع والاستمتاع بلذة الحياة ، وبجانب فرويد هناك من يؤيد الجانب السيكولوجى للضحك أيضا فهذا سى برت يقول فى كتابه « سيكولوجية الضحك » أن الضحك عبارة عن انفعال نفسى يمكن ان يندمج فى الموقف الهزلى أو الفكاهى فيولد لدينا استجابة الضحك ٠

ويعرض المؤلف بعد ذلك للعنصر الثالث فى الوحدة المتكاملة للانسان وهو عنصر السيسيولوجى أو الاجتماعى وموقفه من الضحك فيقول ٠٠ ليس أدل على أن الضحك ظاهرة جماعية من عملية الدغدغة نفسها باعتبارها أبسط صور الضحك فهى تستلزم وجود أكثر من فرد واحد حتى يتولى احدهما أثارة هذا الاحساس ، ويكون من شأن الآخر الاستجابة لهذه الاثارة ولدى الاثنين معا لا بد أن يتولد الضحك ، ثم يستشهد المؤلف برأى الدكتور زكريا ابراهيم الذى ذكره فى كتابه « سيكلوجية الفكاهة والضحك » ولدى الاثنين معا لا بد أن يتولد السيكوفزياتى التى تجعل من

الضحك ظاهرة معدية ، كما فى انتقال عدوى التثاؤب والحماسة والفزع ، والضحك هو الآخر نوع من العدوى النفسية التى تنتقل من الفرد الى الجماعة ، ويؤكد الفيلسوف برجون هذا فيقول ٠٠ اننا نضحك فى الجماعة عامة ولا نضحك منفردين لان الضحك تنبيه اجتماعى أو عقوبة اجتماعية لمن يخرج عن المألوف فى الجماعة أو عن المعتاد فى المجتمع ٠

والمجتمع له تأثيره الكبير على نوع الاستجابة للضحك مما يؤكد العلاقة الوثيقة بين الضحك وبين مختلف الظواهر الاجتماعية ، فالقمع السياسى من شأنه ترويج النكات السياسية ، والتفاوت الطبقى يؤدى الى انتشار اللذعات الاجتماعية ، والكبت الجنسى يساعد على ذيوع الدعابات الفاضحة والتوريات الماجنة ، والجهل يعمل على ظهور الفكاهات الراقية التى لا تخلو من عنصر الذكاء والمعرفة ٠

وهكذا يثبت لنا الناقد جلال العشرى فى كتابه « الضحك فلسفة وفن » الجانب الفلسفى فى الضحك وكيف أنه عملية مشتركة متفاعلة بين وظائف الأعضاء « الفسيولوجيا » وبين نفس الانسان « السيكولوجى » وبين المجتمع الذى فيه وهى « السيولوجى » فالضحك عملية جسمية نفسية اجتماعية ، ومن الخطأ أن نربط الضحك باحد هذه العناصر على حدة ٠

يقول « ماوسيل بانيول » صاحب نظرية الاحساس بالتفوق فى الضحك ، قل لى مم تضحك ؟ أقل لك من أنت ؟ ومعنى هذا أنه يمكن أن يكون الضحك مقياسا للحكم على الشخص وتقييم أبعاده الشخصية وقيمه الأخلاقية ، فالضاحك المسرور قد يكون سروره زهوا بنفسه واحتقارا لغيره ، وقد يكون هذا السرور فرحا بغيره دون أن ينطوى على عنصر

الزهو بالنفس والاحتقار للغير ، والضاحك الساخر قد يكون ضحكه من نقائص الآخرين لانه يستريح الى وجود هذه النقائص فى غيره لا فى نفسه ، وقد يكون ضحكه من هذه النقائص تنفيسا عن شعور برفضها سواء فى نفسه أو فى الآخرين ، ومما يثبت اختلاف الاستجابة للضحك عند الجمهور أن جمهور المسرح لا يضحك دائما للأسباب نفسها ، ذلك لأن استجاباته تختلف باختلاف آدابه العامة وأنماطه السلوكية وطريقته فى الضحك والملاحظ دائما فى تصنيف أنواع الضحك أن النكات الجنسية تتبادل بين أشخاص متقاربين فى العمر والمستوى الاجتماعى وأنها أكثر انتشارا بين الأوساط التى تدمن المخدرات وتتعاطى الخمور وخاصة المهنيين والحرفيين والتجار والصناع ، كما أن النكات السياسية التى تنطوى على النقد الاجتماعى وتتسم بالبراعة والذكاء أنما تتبادل فى أوساط المثقفين والمشتغلين بالصحافة والاعلام ، أما النكات الاجتماعية التى تنطوى على التهكم والسخرية فتتبادل بين الأوساط المقهورة التى تشعر بالغبن الاجتماعى ٠

ويخصص المؤلف فصلا كبيرا عن الكوميديا وفنونها وتاريخها وأصولها ، فهى تعتمد على العقل وتخاطب الوعى ومن ثم فهى فن عقلى يعتمد كغيره من الفنون على الخلق والابداع ، وهى بذلك من أرقى أنواع الضحك ، ورغم أن الكوميديا تتناول بالنقد للاراذل من الناس لتكشفهم لنا وتوضح لنا شر التعامل معهم وتبرز سيئات النفس الانسانية أحيانا من طمع وحقد وشهوة وغير ذلك الا أنها يمكن أن تكتسب طابعا جماليا فى معالجة الموضوع ، وفى هذا يقول الدكتور زكريا ابراهيم ٠٠ ان العمل قد يكون فنيا على الرغم من تصويره للقبح ووصفه للرذيلة ، ويعلق المشاؤون أتباع أرسطو على رأى أستاذهم فى هذا الموضوع بأنه كان يرى أن

خير الانسان فى التطهير من انفعالات الضحك بمشاهدة الملهاة على المسرح ، ذلك لان الملهاة شأنها شأن المأساة تقوم بوظيفة التطهير ، لكنه تطهير من نوع مداواة الشر بمثله ، كما فى بعض الأمراض التى تعالج طبيبا يتناول مقادير من شأنها أن تثير الأمراض نفسها مثل التطعيم ٠

ويستعرض المؤلف نجوم الكوميديا منذ كانت مجرد عروض خاصة يتطوع بها أصحابها ولم يعترف بها رسميا فى فجر التاريخ ، ثم جاء قراطيس وفكر فى تأليف الخرافات ومعالجة الموضوعات العامة ، وهوميروس الشاعر الكفيف الذى كتب الالياذة والاوديسا وهما أساس التراجيديا ، كتبت أيضا قصيدة « مرغيتس » من نوع الهجاء واعتبرت أساسا للكوميديا ، وأرستوفان الذى اتفق المؤرخون على أنه أبو الكوميديا « ٤٦٥ ـ ٤٠٠ » وهو صاحب مسرحيات « السحب » و « الطيور » و « الضفادع » ثم ميناندر صاحب الكوميديا الحديثة التى نشأت فى عهد الاسكندر الأكبر ، وفى العصر الرومانى أشتهر كل من بلاوتس وتبرانس ، ويكمل المؤلف عرضه السريع أو على حد قوله عبوره التاريخى لتطور فن الكوميديا ليثبت انها فنون عديدة وليست فنا واحدا وانها تختلف بسبب ارتباطها بمشكلات البيئة المحلية وصدور عن واقع الحياة المعاصرة ٠

ويتطرق المؤلف الى صناعة الكوميديا فتعرفنا بانها صناعة جد كأصعب ما يكون الجد ، وان التأليف الهزلى فن من أشق الفنون التى تحتاج الى الجهد والمعاناة ، ويعتمد مؤلفو الكوميديا والضحك على ملكات كثيرة قد يناقض بعضها بعضا ، وقد لا يجتمع منها ملكتان لمؤلف واحد ، فمن كتاب الكوميديا من يعتمد على ملكة النقد والسخرية ، وهو يحتاج الى حدة الذكاء وسرعة أدراك المتناقضات ، ومنهم من يعتمد

على الدعابة والمسامرة وهى تحتاج الى روح المرح وخفة الدم وسرعة البديهة ومنهم من يعتمد على الهزل والفكاهة وهو ما يحتاج الى النظرة المتفائلة الى الحياة ، ومؤلف الكوميدى ينجح فى عمله بقدر ما يبذل من جهد ، مع الحرص على محو آثار هذا الجهد حتى يرتفع عمله الى درجة البساطة والطبيعية التى هى قمة العمل الفنى ٠

obeikandl.com

المسرح عامل للتغيير

د٠ عبد المنعم خفاجى

هذه الدراسة الجديدة لمسرحنا المعاصر ، التى كتبها الأديب الناقد ، جلال العشرى ، ونشرتها له دار المعارف فى القاهرة فى أكثر من سبعين ومائتى صفحة ، عمل جديد يستحق الأكبار والتقدير حقا ٠

مقدمة هذه الدراسة « المسرح وماذا يقدم ؟ » يثير الناقد جلال العشرى قضايا كثيرة حول المسرح المصرى ، وماذا أدى من أعمال فنية بعد أكتوبر العظيم ، أكتوبر العبور ، وهو من أجل ذلك يدرس فى عمق المدارس والتيارات الجديدة فى المسرح العالمى والعربى ويوازن بينها وبين واقع مسرحنا المصرى ، فى حكم نقدى نزيه ٠ فان الحقيقة تفرض نفسها ـ كما يقول ناقدنا ـ على وجداننا الفنى ، بل وعلى وجداننا الثقافى كله هى أن السادس من أكتوبر لم يكن مجرد تاريخ مادى وكفى ، ولكنه أصبح بعد ذلك تاريخا روحيا للنفس العربية ، تستطيع عبره ، أو من خلاله ، أن تستأنف مسيرتها الحضارية ، بطول الماضى ، وعرض الحاضر ، وعمق التراث

وان تبدأ زحفها الطويل فى ضمير عالمنا المعاصر نحو آفاق أرحب ، وغايات أبعد مدى ..

ويبلور المؤلف فى هذا الكتاب هدفه منه فى سؤال عميق، يعرضه أمام القراء : كيف الطريق أمام مسرحنا ، كى يستطيع أن يكون وقودا حيا فى قضايا التحرر الوطنى ، والتنوير الاجتماعى ، والتعمير الحضارى ؟

وفى اجابة مختصرة غاية الاختصار ، يرد المؤلف على هذا السؤال الواسع ، فيقول : « انه طريق الانبثاق من هذا الاختمار العظيم ، الذى تعيشه جماهير شعبنا بعد معركة العبور ، بولادات جمالية ودرامية أصيلة ، تعبر عن الصراع الحيوى داخل الابنية الاجتماعية ، والانفتاح الحى فوق خريطة العصر . فبذلك يصير المسرح حقيقة لا مجازا ، لقاء الفنان بالانسان فوق خشبة الفعل والانفعال .. الجدل والصراع ، الخلق والابداع ، وأمام ستار الحب والحرية والحياة ، وبين جمهور أكتوبر المجيد الذى يريد أن يعبر لا مع العبور ، ولا فوق العبور ، ولكن الى ما بعد العبور » .

ويثير العشرى كثيرا من القضايا فى كتابه ، قضية الهجرة الى الغرب ، وما يثيره الوقوف أمام الحضارة الغربية وجها لوجه عند كثير من كتابنا ، من مثل : طه حسين فى « أديب »، وتوفيق الحكيم فى « عصفور من الشرق » ، ويحيى حقى فى « قنديل أم هاشم » وسهيل ادريس فى روايته « الحى اللاتينى » ، والطيب الصالح فى روايته « موسم الهجرة الى الشمال » .

وما أصدق ما يقول الناقد جلال العشرى : ان المسرح اذا كان قديما عند أرسطو أداة للتطهير ، فقد صار حديثا عند بريخت عاملا من عوامل التغيير .

ويثير قضية موقف الفنان المسرحى حيال المادة الاسطورية أو التاريخية ، فيقول : ان الفنان عند أرسطو حر فى مادته الاسطورية أو التاريخية يعالجها كما يشاء ، ولـكن الشرط الأساسى أو الجوهرى ، الذى يشترطه فى مقابل هذه الحرية هو الاقناع أو الايهام بقوة الفن ان الممكن محتمل الوقوع ، بل ان الممكن والمحتمل قد وقعا فعلا ، وبمقدار ما يستطيع الفنان تجسيد رؤيته حتى يسقط الحاجز بين الخيال والواقع، يكون فنانا كبيرا ، وهـــذا هو فيصـــل التفرقـــة بين الفن واللا فن• •

obeikandl.com

جلال العشرى ٠٠ وحياتنا الثقافية

د٠ صلاح عدس

جلال العشرى ناقد وكاتب أثرى حياتنا الثقافية بالعديد من الكتب والدراسات التى نشرها فى المجلات والصحف المصرية والعربية ويمتاز بحسه النقدى وبفكره الفلسفى الذى جعله يستطيع تقييم الحركة الأدبية والثقافية فى بلادنا منذ الستينيات حتى الآن ٠

وذلك بموضوعية ومنهجية أخذها عن دراسته للفلسفة كما تأثر فى ذلك أيضا بالعقاد الذى كان تلميذا له كما تأثر أيضا فى ذلك بعلاقته الفكرية بالدكتور زكى نجيب محمود الذى كان يدعو الى الفلسفة التحليلية أو الوضعية المنطقية التى تهتم بتحليل الألفاظ تحليلا يجعل لها مدلولات علمية محددة كما تدعونا الى التفكير العلمى فى مشاكلنا وذلك فى وقت أغرق العالم العربى طوفان الشعارات اللفظية الجوفاء والحلول الخطابية الانفعالية لكل مشاكلنا ٠٠

وقد أثرت كل هذه العوامل فى كتاباته وظل محتفظا بخطه الفكرى رغم العواصف التى اجتاحت حياتنا الثقافية

ففى نهاية الخمسينات وبداية الستينات مثلا اجتاحتنا موجة الواقعية الاشتراكية فى الأدب التى تهتم فقط بالمضمون الاجتماعى ورفعت شعار الأدب الهادف حتى كاد يضيع الاهتمام بالتكنيك لكن جلال العشرى ظل فى تلك الفترة يهتم فى نقده بالعمل الأدبى كأدب له شكله الفنى أى يهتم بالمفاهيم الدرامية للعمل الأدبى فى وقت تحول فيه النقد الأدبى الى دراسات فى الاقتصاد السياسى ..

وبعد الستينيات اجتاحت حياتنا الثقافية موجات التجديد المتأثرة باللارواية عندنا « تالى ساروت » وبرواية « تيار الوعى » عند جيمس جويس و « فرجينيا وولف » وكذلك موجات الغموض والالغاز والرمز المعقد فى الشعر المتأثرة بسان جون بيرس .

ولكن جلال العشرى راح يدافع أيضا عن ضرورة الاهتمام بالشكل الفنى باعتبار ان القصة فن مستورد وانه مازال بحاجة الى تأصيل فى أدبنا العربى . .

ونلمح أيضا عمق تحليلاته الفلسفية فى كتابه الذى كتبه عن أنيس منصور وعن مصطفى محمود وفى كتابه « ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة » وهو مجموعة من الدراسات المتنوعة فى « الفكر الفلسفى والنقد النظرى والتطبيقى كما تناول أيضا بعض القضايا الأدبية وبعض الأعمال الشعرية والقصصية والروائية من خلال رؤية تحاول رصد عناصر التجديد من خلال العلاقة الوثيقة بين القديم والحديث وهذه الرؤية هى ما يسميها المؤلف بالأصالة والمعاصرة ..

كانت هذه لمحة سريعة عن جلال العشرى وأثره فى حياتنا الثقافية .

obeikandl.com

جلال العشرى

فى رثاء العقاد

obeikandl.com

العقاد الفيلسوف

بقلم جلال العشرى

وصف المازنى زميله وصديقه الأثير عباس محمود العقاد بقوله : « انه سريع البديهة » حاضر الذهن ، وله قدرة عجيبة على النظر المحيط ، والتصفية والتلخيص فى أوجز عبارة • ويسألنا سائل عن كتاب بعينه ، فأرانى حائرا ، واذا به يحمل للسائل لبابه كله ومحوره فى بضع كلمات ، فأتعجب لقدرة هذا العقل على التقاط السريع الى الجوهر •• »

عندى أن تلك الأوصاف أقرب الى الفيلسوف الناقد منها الى الفيلسوف صاحب المذهب ، وأن التآليف العقادية انما تنزع الى النقد الفلسفى أكثر من نزوعها الى النسق المتجانس أو البناء المتكامل ، فهى « نقدية » فيها عوابر وخواطر ، فيها أصالة وابداع ، فيها اقامة الروابط وادراك العلاقات، ولكنها ليست « مذهبية » بحيث تمت الى الهياكل الفلسفية الكبرى من ذوات الاطر المحكمة والقوالب الجامدة ، وليست « مدرسية » بحيث نجد لها المنهج الذى يطيعها بطابعه ، ويشكلها وفقا لأنماطه ومعاييره ••

وكيف نستطيع أن ننسب الى العقاد مذهبا ، أو نتحدث عن « العقادية » كما نتحدث عن الديكارتية أو الهيجلية أو غيرهما من الفلسفات • ومفكرنا قد عادى النزعة التركيبية، وثار على الروح المذهبية ، ووجد فى أرض لا علاقة لها بالفلسفة ولا قدرة لها على انجاب الفلاسفة • ولئن تمكنا بمحاولة أو بأخرى من ضم هذه الأفكار فى نسق ، وادماج هذه الآراء فى نظام بحيث ينتج لنا مذهبا يتناول ثلاثة أبعاد المجال الفلسفى ، من الأنطولوجيا أو بحث الوجود ، الى الابستمولوجيا أو بحث المعرفة الى الاكسيولوجيا أو بحث القيم ، فلن يكون ذلك منا الا تكلفا وتعسفا ، ومخالفة لمنطق الواقع ، ومناقضة لطبيعة الأشياء •

فالعقادية ، فى صميمها ، روح وموقف أكثر مما هى منهج ومذهب ، و هى أقرب الى الأنظار منها الى النظريات ، والى الأفكار منها الى الأحكام ، والى الآراء منها الى القضايا ، كما أنها أقرب لا الى الادراك الحسى ، ولا الى الحدس العقلى ، بل الى « الوعى الكونى » الذى لا يقف عند شهادة الحواس بل يتقدم عليها ، ولا يتوقف عند عيان العقل بل يتخطاه ، فاذا كان ابن سيناء ـ ذلك المشائى الاسلامى الكبير ـ يروقنا بمذهب يحكم التأليف محبوك البناء ، فالعقاد يعجبنا ولا شك بما لديه من شعور دينى ، ونزوع أخلاقى ، وثراء وجدانى جعله يعرف كيف يربط برباط محكم وثيق بين الدين والفلسفة والأخلاق بحيث لا ينفصل الفكر عن العمل ، ولا الفلسفة عن الدين ، ولا الفن عن الأخلاق ، بل تلتئم هذه الأشياء جميعا فى وحدة حية أو حياة واحدة •

وعليه •• فمكان العقاد لابين الفلاسفة الخلص ، بل بين الفلاسفة الشعراء من ناحية ، والفلاسفة النقاد من ناحية

أخرى • هو أبعد ما يكون عن منهج « الجدل » وفلسفة «المثل» اللذين هما فى الأفلاطونية ، وعن منهج « الحدس » وفلسفة « الجوهر » اللذين هما فى الديكارتية ، وعن « منهج النقد » وفلسفة « التعالى » اللذين هما فى الكانتية • هو أبعد ما يكون عن أولئك وهؤلاء جميعا ، وأقرب ما يكون الى المعرى وفلسفته ، وطاغور وحكمته ، واقبال وما انتهى اليه من تصوف •

على أن الذى تصح المقارنة بين العقاد وبينه ــ بحيث يوضع مفكرنا فى مكانه ويحتل مكانته ــ هو الامام الغزالى• ووجه المقارنة بينهما هو ما فى نزوعهما الفكرى من تشابه، وما توصلا اليه من نتائج ، وما اتخذا من موقف بازاء الجو الفكرى الذى أحاط بهما وعمل فيهما عمله • فالوقفة العقادية بازاء « دوجماطيقية » العلم فى العصر الحديث شبيهة بالوقفة الغزالية بازاء « دوجماطيقية » : العقل فى العصر الوسيط • وما فعله الاثنان من الرد على كل مذهب ، والارتداد الى ذات نفسه ، وابتلاع عصره وتمثله والتعبير عنه • كل هذا وكثير غيره كان فى غايته ومؤداه انتزاعا للعقيدة من براثن التجربة ، وانقاذا للدين من أحكام المنطق، وبذلك وفق الأول لأن جعل للدين حق القيام مستقلا عن العلم ، بقدر ما وفق الآخر لأن جعل له حق القيام مستقلا عن الفلسفة • وبذلك أصبح العقاد كما كان الغزالى من أصحاب الفضل على الانسانية بوجه عام ، والعربية بوجه خاص ، والاسلامية بوجه أخص •

أما كيف كان ذلك كذلك ، فهذا ما سنراه الآن •

لكى نفهم العقاد الفيلسوف لابد لنا قبلا من أن نفهم العقاد الشاعر ، فكل من هؤلاء الشعراء الفلاسفة ــ فضلا

عما يتقدم به من استدلالات منطقية وآراء فلسفية ، وبالجملة من نسق صورى فلسفى ـ بطانة وجدانية تصدر عنها تلك الاستدلالات ، وتنبع منها هذه الآراء ، وبالجملة يقوم عليها هذا النسق ٠

وقد لا يكون الفيلسوف على وعى بهذه البطانة الوجدانية ذلك لأنه قد أوتى القدرة على استيعاب الحياة سننها وصروفها، مصادرها ومصائرها على نحو أدى به الى تغذية العاطفة والفكر فى وقت واحد ٠ فما تكاد هذه الانطباعات تستقر فى عقله الباطن حتى تسلك سبيلها الى عقله الظاهر ، فاذا هى أفكار فيها الدليل المحكم والتأمل العميق ، واذا هذه الأفكار عناصر لمذهب هو ثمرة التفاعل بين السليقة والبديهة، بين الاحساس والتأمل ، بين الفكر والخيال ولئن وجدنا فى هذا المذهب أجزاء معقدة وأخرى غامضة فمرجع ذلك الى مساوقة العقل للطبع ، وتأهبه لتعزيز ادراكه وتسويغ أحكامه ٠٠ ولئن انتهى الفيلسوف الى نتيجة ايجابية فهى راجعة الى البطانة الوجدانية الحادة ، أو الى الادراك الفطرى السليم ، أو الى ما يسميه ساتيانا بالايمان الحيوانى :

مهما يكن الفيلسوف نفسه على غير وعى بحقيقة هذا الايمان ٠

وقد يكون الفيلسوف على وعى بهذه البطانة الوجدانية، وبما يصدر عنها ويرتد اليها من آراء ، وعلى علم بالفرق بين حقائق الذهن الخالص ووقائع الحياة ٠ وبين أسلوب الفلاسفة فى التدليل وأسلوب الشعراء فى التعبير ، لذلك نراه يفسر موقفه بأن ثمة قرابة بين السليقة والبديهة : بحيث لا تصدر الفلسفة عن الفكر وحده مجردا من الخيال والعاطفة ، ولا يصدر الشعر عن الخيال والعاطفة وحدهما مجردين من

الفكر ، بل لا بد للفيلسوف الحق من نصيب من الخيال والعاطفة ولكنه أقل من نصيب الشاعر • ولابد للشاعر الحق من نصيب من الفكر ولكنه أقل من نصيب الفيلسوف «فلا نعلم فيلسوفا واحدا حقيقا بهذا الاسم كان خلوا من السليقة الشعرية ، ولا شاعرا واحدا يوصف بالعظمة كان خلوا من الفكر الفلسفى ، وكيف يتأتى أن تعطل وظيفة الفكر فى نفس انسان كبير القلب متيقظ الخاطر مكتظ الجوانح بالاحساس كالشاعر العظيم ؟؟ » •

والبطانة الوجدانية فيما يتعلق بالعقاد هى الشعر ، أو التجربة الدينية ، أو ما يسميه اقبال بالتصوف العالى الرفيع • ولعلنا نستطيع أن نرد شيئا من هذا الى استعداده ، كما نرده الى ميراثه الروحى وخاصة من أجداده لوالدته ، فانه لقى فى جده ما يرهف حسه لاستطلاع عالم الأسرار ، وما يوقظ فى نفسه شعورا أسمى بما بينه وبين الخالق ، وبينه وبين الكون من روابط وصلات . كما أنه نبت وترعرع فى بيتا غلى جانب من التدين كبير ، ونصيب من الروحانية غير قليل ، فأصبح التدين فى نفسه نزعة أصيلة والعقيدة فى كيانه ملكة بارزة فهو يقول :

(وان أجدادى ـ لوالدتى ـ سلالة كردية تفرعت أصولها زمنا بين ديار بكر وآورفة ومرعش ، ورأيت آخر من لقيته منهم يلبس العمامة الخضراء ، كما يلبس الطربوش العثمانى والقلنسوة الكردية ، ولم يزل بيت أخوالى ـ فى البلدة ـ يعرف ببيت الشريف ، ويسجل فى مكاتب البرق بهذا العنوان •

وكنت أسأل كبراء السن منهم مازحا : من أين لكم هذا الشرف وأنتم سلالة أكراد ؟ فكانوا يذكرون لى قصة طويلة

عن اتصالهم بالمصاهرة بمن جاورهم من آل البيت فى مدن الابالة • ويذكرون جيدا كل صلة لهذه المدن بعواصم الايالات مع أرتباك العلاقة يومئذ بين الديار الكردية وعواصم الايالات العثمانية تارة الى حلب وتارة الى العراق » •

والآن فى ضوء هذه البطانة الوجدانية نستطيع أن نتبين ما وسيلة المعرفة عند العقاد ، أو ما أداته الوصول الى الحقيقة ، أو ما الحدس الفلسفى الذى يبدأ منه ويعود اليه أبدا ، والذى هو نقطة الارتكاز ونقطة الانطلاق فى آن •

يرى العقاد أن الحواس والعقل لا يكفيان فى الوصول الى الحقيقة الكونية الكبرى ، وانما الطريق الى هذا هو « الوعى الكونى » وهو ملكة وجدانية أشبه بما يسلكه المتصوفة فى أذواقهم ومواجيدهم • والذى حدا بالعقاد الى هذا هو ما رآه ــ فيما يتعلق بالحواس ــ من أنه اذا كان كل محسوس موجودا فليس كل موجود محسوسا ، بل ما أكثر تلك الأشياء التى نحسها دون أن نستطيع معرفتها ، وأيضا ما أكثر تلك الأشياء التى نعرفها دون أن نستطيع الاحساس بها • فمدركات الحواس لا يمكن الاستغناء عنها • ولكن فى الوقت نفسه لا يمكن الاكتفاء بها •

أما اذا نظرنا الى أداة العلم فى المعرفة ، ووجدنا أن المنهج العلمى القائم على الملاحظة والتجربة يفترض بالضرورة وجود الحواس ، وأن نظريات العلوم الطبيعية تفيد معرفة صادقة ، لأنه يمكن التحقق من صدقها بالرجوع الى الواقع الخارجى ، فلا ينبغى أن ننسى أن ما نسميه ــ العلم ــ ليس نظرة واحدة شاملة للحقيقة ، بل هو مجموعة من النظريات الجزئية لا تقدر على أن تحيط بالحقيقة ، بل لا تقوى على أن

تتكامل فتعرف لنا ما هى الحقيقة ، فهى جزئية بطبيعتها ووظيفتها ، وتطبيقها اعتبارى بالنسبة الى مستوى التجربة الذى نستخدمها فيه ٠

والتجربة كما تنكشف فى الزمان تتمثل فى ثلاثة مستويات كبرى ، هى : مستوى المادة ، ومستوى الحياة ، ومستوى الشعور ٠ وهى على التوالى موضوعات علم الطبيعة ، وعلم الحياة ، وعلم النفس ٠ فعلم الطبيعة مثلا اذ يتخذ من فكرة « العلية » ركيزة له تصبح غير ذات قيمة فى مستوى آخر من مستويات المعرفة كعلم الحياة الذى يعتمد على فكرة « الغاية » ٠ وكعلم النفس الذى يعتمد على فكرة الدافع ٠٠ واذ يبحث فى المادة لا يستطيع أن يعرف لنا ما هى المادة ، لأنه يحصر نفسه فيما هو موضوعى عام ، وليس له أدنى شأن بما هو ذاتى خاص ، والموضوعى هو ما تتساوى علاقته بمختلف الأفراد المشاهدين . والعام هو ما كان مشتركا بين كافة من تتوافر لهم ظروف المشاهدة ، أى انه ــ يقدم لنا اطار الادراك الحسى الذى قوامه العلاقات المكانية والزمانية بين أجزاء الشىء المدرك ، لا مضمون الادراك الذى قوامه ما تنطبع به حاسة الشخص المدرك ٠٠

فهل معنى هذا أن العقاد يلغى المعرفة العلمية أو أنه من شأن العلم ؟

والواقع أن شيئا من هذا أو ذاك لا يمكن نسبته الى العقاد ، فان احترامه للمنهج العلمى مسألة واضحة ، وتقديره للمعرفة العلمية أمر لا شك فيه ، وكل ما هنالك أنه لا ينزل العلم منزلة خاصة تجعله يدخل فى حسابه مالا يدخل فى نطاقه ومالا يعالج بمنهجه ، أو تجعله يؤمن بأن النظرية الآلية لديها التفسير الشامل للطبيعة بما فى ذلك الحياة

والفكر والارادة والشعور ، على نحو ما رأينا عند أصحاب النزعات العلمية المتطرفة فى أواخر القرن التاسع عشر أو أوائل القرن العشرين : كالداروينية فى علم الحياة ، والماركسية فى علم الاقتصاد ، والسلوكية فى علم النفس ، والوضعية فى الفلسفة ، ومذهب المنفعة فى الأخلاق ، فضلا عما ذهب اليه لابلاس فى علم الفلك ، وهربرت سبنسر فى علم الاجتماع ، وبافلوف فى علم وظائف الأعضاء ، وما هى الا آفة العقل المحدود الذى يحد هذا الكون العظيم ، فيحسبه مما يفرع القول عن سره فى عصر واحد ، ركونا الى كشف ظاهر بغير العوارض والأسماء ولا يغير جواهر الأشياء

وعليه .. فاذا رأينا له قولا يخالف المحسوسات فى رأى بعض المفكرين ، فليس مرجعه الى انكار حق الحس فى البحث والاستدلال ، وانما مرجعه أنه مضى مع الحس الى غاية مداه ، فلم يقف به دون الخطوة الأولى بل تابعه خطوة خطوة حتى استقصى جميع خطاه ، فهو لا يشله عن الحركة بل يبلغ به وسعه من الحراك .

وهكذا كان موقفه من العقل ، فهو لا ينكر ، أداة للمعرفة والوعى ، فلا ينزل به الى ما دون الأول ولا يرتفع به الى تدرك ، ومن شأن العقل أنه يبرهن فما أكثر تلك الأشياء التى نبرهن عليها ، دون أن نعرفها ، وكذلك ما أكثر الأشياء التى نعرفها دون أن نستطيع البرهنة عليها ، فتصورات العقل لا يمكن الاستغناء عنها ، ولكنها فى الوقت نفسه لا يمكن الاكتفاء بها .

وليس أمعن فى الخطأ من تلك المذاهب العقلية التى تنتقل من التصورات الى الواقع ، وكان أولى بها أن تنتقل من الواقع الى التصورات، فلا تستحيل الميتافيزيقا على يديها الا تركيبات

شامخة قوامها البراعة المنطقية ، والرياضة الذهنية ، والتلاعب اللفظى بالحدود والتصورات ، فان كل محاولة يراد بها معرفة الواقع عن طريق مجموعة من التصورات ، والحكم على الوجود ابتداء من طائفة من المسلمات ــ لابد أن تفضى بنا الى مذاهب ميتافيزيقية متهافتة تضع الوجود فى قوالب جامدة ، وتدخل الحقيقة فى اطار ثابت ، أما اذا أردنا لأنفسنا ميتافيزيقا حقيقية فلابد لنا من ألا نعتمد كثيرا على العقل التصورى الذى يجعلنا بارعين فى اقامة مبانى فلسفية تبدأ وتنتهى داخل الرأس دون أن تخرج منه لتلتقى بالواقع ٠

فهل معنى هذا أن العقاد يلغى العقل لحساب الوعى ، وينكر التصور لحساب التصوف ويوجد تناقضا بين ما هو متصور فى الذهن وما هو متحقق فى الخارج ؟

الواقع أن لا ، فالعقاد لا ينكر العقل بل يؤمن به ، ولا يعلن قصوره بل يدافع عنه ، حتى ليكن القول بأنه واحد من العقليين ان لم يكن زعيما من زعماء العقل ؟ وكل ما هنالك أنه يعطيه نصيبه فى البحث وحقه فى الاستدلال ، فلا يغالى فى نصيبه ولا يمنحه أكثر مما يستحق ٠

وعليه ٠٠ فاذا رأينا له قولا يخالف المعقولات فى رأى بعض المفكرين فليس مرجعه انكار حق العقل فى البحث والاستدلال ، وانما مرجعه أنه مضى مع العقل الى غاية مداة ، فلم يقف به دون الخطوة الأولى ، بل تابعه خطوة حتى استقصى جميع خطاه ، فهولايشله عن الحركة ، بل يبلغ به وسعه من الحراك ٠

فالعقاد اذن يذهب الى أن الحواس والعقل لايكفيان فى الوصول الى الحقيقة ، لأن الحواس تدرك ولا تعرف ، والعقل

يبرهن ولا يعرف ، والحقيقة أكبر من أن تدرك بالحواس ، وأعمق من أن يبرهن عليها بالعقل ، وأجدر بأن تعرف عن طريق الوعى الذى يجعلنا نحياها ونعيش معها ونتصل بروح روحها ان صح هذا التعبير ٠٠ « فالموجودات اذن غير محصورة فى المحسوسات ، ومن الواجب آن نسلم بقيام موجودات لا تحيط بها الحواس والعقول ، لأن انكارها جهل لا يقوم عليه دليل ، ولأن وجودها ممكن وليس بالمستحيل (١) « وان أحق الناس بعرفان هذا لأولئك الذين نظروا الى الكون بعين الباطن ٠٠ وقالوا فى ذلك ما لم ينقضه علم ولن ينقضه مادام للانسان لباب وراء الحواس والعقول (٢) » ٠

وهذا من ناحية هو سر اعجاب العقاد بفلسفة الغزالى ، فهى « فلسفة أوحى بها العقل الذى لم تخدعه ملايين الظواهر فى ألوف السنين عن لباب الحقيقة التى تكمن وراءها (٣)» وسر دفاعه عن صاحبها فى معرض المذاهب والآراء ٠ « ولسنا نعصم الغزالى من الخطأ فى التفكير ، ولكنا نعلم أن تخطئته من أصعب الأمور ، وأنها أحق شىء بالتأخير الى أن تبطل معاذير الصواب ، فانه ليعرف ما يقول ، وانه ليقوله بعد أن يعرف كل ما يقال » (٤) ٠

وهذا من ناحية آخرى هو سر اعجابه بصوفية الاسلام الذين ربما كانوا ــ بما يخضعون له آنفسهم من رياضيات ومجاهدات ، وبما يتعاقب على نفوسهم من مواجيد وأذواق،

---

(١) العقاد : الله ، ص ٣٥ الطبعة الأولى ٠

(٢) العقاد : التصوف عند الدوس هكلى : مجلة الكتاب ص ١١٣ سنة ١٩٠٠ ٠

(٣) العقاد : السببية عند الغزالى ٠ مجلة الكتاب ص ٧٠١ ، مايو سنة ١٩٤٨ ٠

(٤) العقاد : الأسباب بين الغزالى وابن رشد ، مجلة الكتاب ، ص ٢٠٣ ، يونية سنة ١٩٤٦ ٠

وبما يفتح به عليهم بعد هذا كله من مكاشفات ومشاهدات ـ أقدر من العلماء والفلاسفة على معرفة حقيقة الذات الالهية، فالنظريات العلمية الناتجة عن المشاهدات الخارجية والتجربة الحسبية تصف الظواهر دون أن تتجاوزها الى ما وراءها ، والأنظار الفلسفية المؤسسة على النظر العقلى والدليل المنطقى تفسر الظواهر دون أن يرقى تفسيرها الى مرتبة اليقين ، أما الأذواق الصوفية الصادرة عن البصيرة والالهام فهى وحدها التى تستطيع ادراك حقيقة الذات الالهية ادراكا مباشرا ، كما تستطيع مشاهدة كل ما يصدر عنها فى الكون من آيات الحق والخير والجمال ٠

وهذا سر دفاعه عن التكشف الصوفى الذى يدعيه أصحاب الأذواق ، ويزعمون فيه انهم يستطيعون الوصول الى الحقيقة العليا عن طريق غير طريق العقل والحواس ٠ فعند العقاد أن الانسان قد تعرض له فيما بينه وبين نفسه حقيقة يستطيع أن يدركها ادراكا مباشرا ، وأن يثبتها اثباتا يقينيا ، وأن يستكنه سرها لأول وهلة تعرض له فيها هذه الحقيقة دون أن يكون فى ذلك كله معتمدا على الحواس ، أو مستندا الى العقل ، بل كل ما هنالك هو شعور روحى بهذه الحقيقة ، واشراق باطنى يشع فى جوانب القلب اشعاعا يكشف عن هذه الحقيقة ولعل هذا هو ما عبر عنه هنرى فوجان تعبيرا شعريا قال فيه :

I saw Eternity the other night رأيت الأبدية ذات مساء

تشبه حلقة كبيرة من الضوء النقى اللامنتهى

Like a great ring of pure and endless light

All calm, as it was bright. سكون كامل وضياء تام

ورأيت أسفلها الزمان فى ساعات وأيام وأعوام

And round beneath it, time in hours days years

تدفعه أفلاك السما Driven by the spheres.

فيتحرك كأنه ظل كبير قذف فيه بالعالم

Like a vast shadows moved ; in which the world

وكل ما اليه ينتهى • And all her train were hurled

ولقد حدثنا الأستاذ عن حالات من هذا القبيل تعرض له بين الحين والحين ، أما الذى يعرض له فى كثير من الأحايين فهو تلك الحالة النفسية التى تعرف فى علم النفس الحديث باسم « التليبثى » telepathy أو على حد ترجمته « النجوى على البعد » وهى حالة نفسية يمتاز بها بعض الناس ، فيدرك الواحد منهم ما يفكر فيه الآخر دون أن يكون هناك كلام أو اشارة ،ولو كان البعد بينها شاسعا •

وسواء أكان الأمر من قبيل « الكشف illumination أو من قبيل « النجوى على البعد » ــ فهذا من ناحية هو ماك لاسبيل الى اتهامة أو الطعن فيه ، وهو من ناحية أخرى ما يتلاءم مع طبيعة العقاد الشاعر ، لأنه يعى الكون بالشعور قبل أن يدركه بالحواس والعقل ، ثم يتمثل هذا الكون وينقله من العالم المادى الفيزيقى الى عالم الصور والمثال « فاذا قال لنا قائل اننى أحس الحقيقة الكونية ، أو أحس خالق الكون • فلا ينبغى أن نكذبه لزعمنا أن الحقيقة الكونية مستحيلة ، وأن الوعى الكونى مستحيل » •

وبعد تفصيل المنهج المؤدى الى المعرفة يبقى الكلام فى الموضوع ، وموضوع المعرفة عند العقاد واسع بقدر ما هو عميق ، فهو ينطلق من عقاله ليقبل على كل مجهول ، وينهل من كل مورد ، ويفكر ليعيش ويعيش ليفكر على السواء ، أو هو يتناول بالبحث كل شىء : ان فى أجواز الفضاء أو فى أرجاء الأرض أو فى أعماق الانسان •

أما الموضوع الذى جعله العقاد نصب عينيه ، ورأى أنه بمثابة المحور الذى تدور حوله كل فلسفته وأنه لا بد للباحث من أن يبدأ منه ويعود اليه دائما أبدا ـ فهو العقيدة « ان المشكلة الكبرى فى العصر الحاضر انما هى مشكله العقيدة ، وان أزمة الضمير الانسانى فى عصرنا هى الأزمة الشاملة التى تنتهى اليها جميع الأزمات • ولولاها لهانت كل أزمة وجدانية تعترض حياة الانسان فردا كان أو جماعة(١)» •

واذا كان هذا هكذا فما هو موضوع العقيدة عند العقاد ؟

موضوعها الله •

وما الله ؟ أهو موجود ؟ وإذا كان موجودا فما هو الدليل على وجوده ؟ هو الدليل الكونى ؟ أم هو الدليل الوجودى ؟ أم هو الدليل الغائى ؟ أم هو غير ذلك من الأدلة التى لا يخرج عنها الفلاسفة المدرسون ولا غيرهم من محترفى الفلسفة ، وكلها تخفق ولا تفضى الى شىء ؟ وسبب اخفاقها أنها ــ اذ تعتمد على العقل وتتخذه وسيلة للمعرفة ــ تنظر الى الله على أنه « موضوع » لا على أنه « ذات » فتحاول أن تثبته كما لو كان معادلة رياضية ، وتحاول أن تبرهن عليه كما لو كان نظرية فى الهندسة ، ويقول العقاد ما يعتبر ردا على هذه الأدلة : « وليس تصور الذات الالهية » عادة انسانية تعودها الانسان بغير تفكير ــ كما يرى بعض النفسانيين ــ لأنه تعود أنه يخلع صورته على الأشياء ، ويحسبها ظلالاله تحكيه فى ملامحه وخوافيه ، ولكنها نهاية ما يدركه العقل واعيا صاحيا مع التفكير ومتابعة التفكير الى مداه » (٢) •

(١) العقاد : عقائد المفكرين فى القرن العشرين ، ص ١٦٥ •
(٢) العقاد : الله ، ص ٦٠

« فان العقل ليستطيع التفرقة بين عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد ، ويستطيع التفرقة بين أدلة الايمان وأدلة التعطيل، ويستطيع التفرقة بين ضمير مؤمن وضمير عطل من الايمان، ويستطيع أن يبلغ حدوده ، ثم لا ينكر ما وراءها لأنه وراء تلك الحدود » (١) ٠

« وأعجب الصور العقلية حقا وجود يتصف بكل كمال ولا يعلم أنه كامل ٠٠ والعلم بالذات فضلا عن العلم بالغير أول صفات الكمال ٠ » (٢) ٠

أما العقاد فعندما استقام له المنهج استقام له الموضوع وعندما تبين وسيلة المعرفة تبين له موضوع المعرفة ، وهو « الله » فالوعى لا بد وأن يكون وعيا بشىء ؟ كما أن الشعور لابد وأن يكون شعورا بشىء ، أعنى أنه ليس ثمة وعى مغلق الى حد أن لا تكون له فكرة عن موضوعه الخاص ، بل لابد أن يكون مفتوحا لتلقى هذه الفكرة ، فيكون وعيا كاملا غير ناقص ولا مبتور ، أو وعيا على الحقيقة والتمام ٠

فالوعى هو تيقظ فى ذات واعية حتى يحصل لها موضوع وعيها ، وموضوع وعيها ليس فى داخلها هى ، وانما هو فى، الخارج ٠ وان المنهج السومتولوجى الذى وضعه هوسرل ليتخلص فى اعتبار الشعور لا على أنه « اليقين الخالص الذى لنا عن أنفسنا » بل على أنه شعور بشىء أو اتجاه نحو شىء ، وهذا هو ما عبر عنه الفيلسوف الأمريكى هوكنج بقوله « ان الشعر لا يقل عن الفكرة فى كونه وعيا موضوعيا ، وهو يشير دائما الى أمر وراء النفس الحاضرة لا وجود له الا فى

---

(١) نفس المصدر : ص ٢٩٦ ٠

(٢) نفس المصدر : ص ٥٧ ٠

توجيهها نحو هذه الذات التى يجب أن ينتهى بحضورها بقاء الشعور نفسه » • وعليه • فوعى لا يكون له اتجاه أمر مستحيل ، كما تستحيل الحركة من غير أن يكون لها اتجاه ، والاتجاه لا بد له من هدف ، والهدف هو الله •

وما الله ؟

الله ذات واعية ، ولا يجوز فى العقل ولا فى الدين أن تكون له حقيقة غير هذه الحقيقة ، فمن فكر فى الله فكر فى ذات ، ومن آمن بالله آمن بذات • وعند العقاد أن كلمة « الذات » « لا تستلزم التشخيص فى الحقيقة ولا فى المجاز ، ولا تقتضى نزاهتها عن التشخيص أنها معنى بغير كيان مستقل عن الوعى والصفات الواعية • فهى تدل على الجوهر الذى تضاف اليه الأوصاف وتدل على الكائن الذى يملك صفاته فهو « ذو » تلك الصفات » (١) • وهكذا استحالت مشكلة الله عند العقاد من مشكلة وجود الى مشكلة صفات ، مادام الله موضوع وعى لا موضوع برهان ، ومادام الله واقعة تشاهد وليس مشكلة تحل •• وعليه ، فليست المشكلة فى اثبات وجود الله ، وانما هى معرفة ما صفات الله •

والحق أن هذه بديهة كان من التوفيق أن تنبه لها العقاد ، فالله لا يمكن تعريفه لأنه لا يقع تحت جنس من الأجناس وان كان لا ينقصه كمال أى جنس من الأجناس • أعنى أن الله ليس جنسا يشمل الموجودات بوصفها خاضعة للتقسيم الى أجناس أدنى وأنواع ، وانما هو فوق كل جنس مهما كان عاليا • وهذه الفوقية نفسها تستلزم عدم قابلية الله لأن يحد ،

---

(١) العقاد : الله ، ص ٥٦ •

ما دام الحد لا يتم الا بالجنس القريب والفصل النوعى ، والله ـ كما رأينا ـ لا يدخل تحت جنس لأنه أعم الأشياء ، وليس له فى ذاته فصل نوعى ، لأنه غير متعين بأى نوع من أنواع التعينات ،

وموقف العقاد من مشكلة الألوهية شبيه بموقف ديكارت من مشكلة الحرية • فكما تمكن الثانى عن طريق منهجه « الحدس » من اثبات واقعة الحرية ، تمكن الأول أيضا « الوعى » من اثبات حقيقة الألوهية ، وكما استحالت المشكلة عند ديكارت من اثبات الحرية الى السؤال عن طبيعتها ، استحالت المشكلة عند العقاد من اثبات الله الى السؤال عن صفاته •

فالمنهج الديكارتى القائم على الشك ـ وهو المعروف فى تاريخ الفلسفة بالشك العلمى أو المنهجى ـ انما هو فى جوهره عملية ادارية تعبر عن أسمى ضرب من ضروب الحرية • ذلك لأننى لا أستطيع أن أشك ثم أثبت أو أنفى الا بوساطة الحرية التى تجعلنى قادرا على الشك والنفى والاثبات « فحريتى وحدها هى التى تستطيع أن تشك ، أو أن تضع الوجود كله موضع شك ، والفلسفة الديكارتية اذ تتخذ من الشك ركيزة لها انما تبدأ بفعل ادارى حر ، وتجعل من الحرية تعبيرا صارخا عن روحها ان صح هذا التعبير •

فلا يكفى عند ديكارت أن نجد أدلة عقلية منطقية أو أخلاقية نبرهن بها على وجود الحرية لأن الحرية ليست موضوعا يبرهن عليه ، وانما هى تجربة نعانيها ونختبرها فى صميم ذواتنا ، وليست محسوسا نمتلكه وانما هى احساس يتملكنا ، وليست موضوعا يعاين وانما هى ذات تعانى • ومجرد معرفة الذات لنفسها تكفى لأن تثبت وجود الحرية ،

لأن حضور الذات أمام نفسها هو فى صميمه فعل حر ، أو فعل حرية ، ففكرة الحرية اذن متضمنة فى معرفتنا لأنفسنا، والذات بنفسها وفى نفسها تحمل دليل حريتها وبرهان وجودها الحر ٠

وهكذا استحالت لأنفسنا المشكلة عند ديكارت من معرفة ما اذا كان ثمة حرية ، الى معرفة ما طبيعة هذه الحرية ، كما استحالت المشكلة عند العقاد من معرفة ما اذا كان هناك اله الى معرفة ما صفات الله ٠

وما صفات الله ؟

يرى العقاد أن تقييد « الذات » الالهية بأية صفة من الصفات المألوفة لنا او المعهودة لدينا انما هو من قبيل الوهم والضلال ٠ فلا أساس للقول بأن « الله » لا تكون له صفات متعددة ، لأنه جوهر بسيط ٠ ولا أساس للقول بأنه لا يعلم الجزئيات ، لأنه يعلم أشرف المعقولات ، وهو ذات الله ٠ فمثل هذه الأقوال لا أساس لها من الصدق ولا من الصواب ان فى الذهن أو فى الخيال ، ولم يفعل أصحابها شيئا أكثر من أنهم زادوا اللغة كلمة . ولم يزيدوا العقل تفسيرا ، ولا الفلسفة مذهبا ، ولا الدين عقيدة ، أو كما قال : «وهنا نعلم أن الدين لم يكن أصدق عقيدة وكفى ٠ بل كذلك أصدق فلسفة حين علمنا أن الله جل وعلا « ليس كمثله شيء » (١) « فكل ما نعلمه أنه ــ جل وعلا ــ كمال مطلق ، وأن العقل المحدود لا يحيط بالكمال المطلق الذى ليس له حدود ٠ وليس لهذا العقل أن يقول للكمال المطلق كيف يكون وكيف يفعل وكيف يريد » (٢) ٠

---

(١) ، (٢) العقاد : الله ص ٢٩٥ ٠

وشبيه هذا الذى ذهب اليه العقاد بما وجدناه عند شيخ الاسلام ابن تيمية الذى أنكر ما ذهب اليه مفكرو عصره من تقدير الأحكام على أساس القياس والاجماع ، وأعطى نفسه حق الاجتهاد ، واستأنف النظر فى الأصول الأولى ليصدر عنها من جديد • ففيها يتعلق بمشكلة الصفات قال : « ومن الايمان بالله الايمان بما وصف به نفسه فى كتابه، وبما وصف به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل ، بل يؤمنون بالله سبحانه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » (١) •

على أن الكلام فى صفات الذات قد أفضى بالعقاد الى الكلام فى امكان الايمان • فما دامت الذات كمالا مطلقا . والعقل أمرا محدودا ، فلابد من السؤال عن العلاقة بين العقل والايمان ، اذ كيف يكون ايمان والعقل الانسانى قاصر عن ادراك الذات الالهية ، وكيف ، تكون صلة بين الكمال المطلق والانسان ؟

غير معقول ــ فى رأى العقاد ــ أن يكون سبب الايمان هو السبب المبطل للايمان ، وغير معقول ــ فى رأيه أيضا ــ أن يستحيل الايمان مع وجود الاله الذى يتصف بأكمل الصفات • وانما المعقول هو أن الصلة بين الخالق وخلقه لا تتوقف على العقل « وحده » مادام الانسان « كله » ومادام العقل وحده ليس هو قوام وجود الانسان « فان العقل ليستطيع التفرقة بين عقيدة الشرك وعقيدة التوحيد ، يستطيع التفرقة بين أدلة الايمان وأدلة التعطيل ، ويستطيع التفرقة بين ضمير مؤمن وضمير عطل من الايمان • ويستطيع

---

(١) ابن تمية : العقيدة الواسطية ، ص ٧٠ •

ان يبلغ غاية حدوده ثم لا ينكر ما وراءها لأنه وراء تلك الحدود » (١) ٠

بيد ان العقاد لا يقف عند هذا الحد الذى وقف عنده ـ من قبل ـ الفيلسوف الألمانى « كانت » عندما كشف فى كتابه « نقد العقل الخالص » قصور العقل الانسانى عن الوصول الى المطلق أو التوصل الى الله ٠ فكانت تمشى مع مبادئه التى تلزم الفيلسوف ـ قبل أن ينظر نظرا ميتافيزيقيا فى النفس والعالم والله ، وفيما اذا كان الوجود الصحيح للأشياء سهل المنال ـ أن يبحث فى امكان العلم بما بعد الطبيعة ، وأن يمتحن مدى قدرته على القطع والتأكيد قبل أن « يقطع » و « يؤكد » أنه يعرف هذا أو ذاك من الأشياء ٠ وحين تمشى كانت مع هذه المبادىء وجد نفسه بازاء أمرين : اما أن يثبت امكان معرفة الله فيقضى على النسق الفلسفى الذى بناه ، واما أن يجعله من قبيل الشىء « فى ذاته » الذى يتصف بالوجود وان عجز العقل عن اثباته أو البرهنة عليه ٠ ورأى كانت فى كتابه « نقد العقل العملى » أن المخرج الوحيد من هذا المأزق هو أن يعتبر وجود الله ـ كخلود النفس والحرية ـ مسلمة من مسلمات العقل العملى ، لا تدخل فى نطاق العقل النظرى الذى لا يستطيع أن يتجاوز الظواهر الى الحقائق ليقيم عليها الدليل والبرهان ، فيكون وجود الله شرطا لازما للتفكير لا موضوعا للتفكير ، أى اننا نفكر به ولا نفكر فيه ان صح هذا التعبير ٠

أما العقاد فعندما مضى بالعقل الى غاية مداه ورأى أن العقل قاصر عن معرفة الله ، ولى وجهه شطر المعرفة الصوفية

---

(١) عباس محمود العقاد : الله ، ص ٢٩٣ ٠

فتمكن « بالوعى الدينى » الذى هو ضرورة لا محيص عنها ، وواقع ملازم للانسان من أن يجد الله فى مجال العقيدة مكانا مستقلا بنفسه قائما بذاته « ويبقى بعد ذلك أن « الوعى » أعم من العقل المجمل وأعمق منه وأعرق فى أصالة وجوده مع الحياة الانسانية منذ نشأتها الأولى ، ونعتقد أن الوعى الكونى المركب فى طبيعة الانسان هو مصدر الايمان بوجود الحقيقة الكبرى التى تحيط بكل موجود (١) » وبذلك وفق العقاد ـ كما وفق الغزالى من قبل ـ فى أن جعل للدين حق القيام الى جانب العلم والفلسفة ٠

ونعود فنقول انه كائنا ما كان رأى العقاد فى قيمة المعرفة العقلية ، وكائنا ما كان رأيه فى الصلة بين العقل والايمان ، فان الذى لا يحتمل الشك ولا الجدال بحيث لا تتضارب فيه الأقوال ولا تتنوع فيه الأحكام هو رأيه فى « الذاتية » وكيف أنها أعلى ما تتصوره من مراتب الكائنات على الاطلاق ٠

فعند العقاد أن الذاتية هى الغاية من الرقى ، وأن الرقى انما هو فى الانتقال من وجود بغير ذات الى وجود له ذات ، أو الى وجود يعلم ذاته ويشعر بوجوده « فالجماد المبهم الذى لا تعيين فيه أقل من الجماد الذى تعين بعضه من بعض وتميزت له أشكال وصفات ، وهذا الجماد أقل من النبات ، كلما ارتقى النبات ظهر فيه التعيين بين شجرة وشجرة ، وبين ثمرة وثمرة ، واتجه الى التخصيص بعد التعميم ، وهكذا آحاد الحيوان وهكذا آحاد الانسان ، حتى اذا بلغ غاية مرتقاه أصبح « ذاتا » لا تلتبس بذات أخرى من نوعه ، وكان

---

(١) العقاد : الله ، ص ٢١٠ ٠

هذا هو المقياس الصادق لترتيب درجات الكمال فى جميع الكائنات » (١) ٠

والحق أن اهتمام العقاد بفكرة الذاتية انما هو بديهة أخرى كان من التوفيق آن تنبه لها ، واتخذها معيارا للتطور وأساسا للحرية ٠ فالذاتية هى جوهر الكاهن ، وليست مجرد مظهر معين لبنية الجسم ، وهى تترك طابعها على كل جزء فى هذا الكل رغم بقائه غير قابل للتجزؤ ، كما أنها تتخلل وجود الكائن كله بحيث تجعل منه واقعة منفردة فى تاريخ العالم٠ فكل كائن من الكائنات له خصائصه الفذة ومميزاته الفريدة التى تجعل منه واحدا لا يشاركه شريك آخر فى واحديته . وفردا لا يشبهه شبيه آخر فى فرديته ، وعكس ذلك يوقعنا فى تناقض ، فالواحد اذا لم يكن فيه تغاير يتميز به عن غيره لم يعد واحدا بالمعنى الصحيح، أو بأى معنى من المعانى٠

فيستحيل أن تقع فى القطيع مهما بلغت كثافته على واحدتين متشابهتين تمام التشابه ، أو متماثلتين الى حد التطابق ، فلكل منهما ما يجعله قواما بذاته ، لاختلافه ولو قليلا عما عداه ٠

وقل هكذا أيضا فى عالم النبات مادام قد أصاب شيئا من الحياة ، فيستحيل آن تجد فى الغابات المترامية الأطراف شجرة أو غصنا أو ورقة متماثلة مع « غيرها » من الأشجار أو الأغصان الأوراق على نحو تنتقى فيه الصفات المميزة ، وتنمحى معه الخصائص الخاصة والا فكيف يكون غيرها ؟

بل ان هذا الذى يقال فى عالم الأحياء يمكن آن يقال أيضا فى عالم الأشياء ، فطالما كان الشىء طبيعيا مصنوع ، أو لا أثر فيه للصنعة تفرد بصفاته وتوحد بخصائصه بحيث

(١) نفس المصدر : ٢٩٣ ٠

لا يكون له شريك ولا قسيم • فيستحيل أن تصادف عند سفح الجبل ـ مهما امتد وانبسط ـ جلمود صخر قد تكرر، أو حبة من حصى • قد وقعت مرتين • بل ان الاختلاف بين الأفرد لأدق من هذا كله فى النوع الانسانى حيث لاتتشابه بصمات الأصابع فى الفرد الواحد ، دع عنك بقية الأفراد الآخرين ، وحيث تكون حياة الفرد سلسلة من الحلقات الوجدانية يستحيل لواحدة فيها أن تقع أكثر من مرة واحدة ، فهى لحظة خاصة لم تسبق ولن تلحق بلحظة أخرى تشبهها من قريب أو بعيد •

تلك هى الحياة ، حياة الأحياء والأشياء على حد سواء • لا حى فيها يتكرر ، ولا شيئين فيها يتماثلان على الحقيقة والتمام ، فاذا ما وصلنا الى الله ، كان هو « الذات » التى لا تشبهها ذات أخرى على الاطلاق •

ولكن ما علاقة الذاتية بالحرية ؟

الحرية تتمثل فى مقدار من التكاليف والمسئوليات والواجبات ، وقدرة الانسان على أداء هذا كله بما يحقق شخصيته ، ويؤكد ذاتيته المتميزة والمتفردة عن غيرها من الشخصيات والذوات •

فهل الانسان حر بهذا المعنى ؟

لا شك انه حر ، وحر بأكمل معنى معانى الحرية ، بل ان التاريخ كله ـ على حد قول الفيلسوف الألمانى هيجل ـ ليس الا تطور الشعور بالحرية ، وتطور تقرير الذات الفردية ، وان دراسة الانسان فى تاريخه الطويل لتشير الى زيادة هذا الاطراد ، ولا يزال هذا الاطراد يزيد •

فالانسان الذى كان فى مطلع التاريخ فردا ، ليس له كيان مستقل عن كيان المجتمع الذى هو منه ـ حتى يكون جزاء الخارج على القانون العرفى هو الطرد من العشيرة ، وحتى يكفى ان يهدد أحد أفراد العشيرة باللعنة الجماعية لارغامه على أمر من الأمور ، وحتى يكون الاعتداء على أحد أفراد العشيرة من الخارج اعتداء على العشيرة كلها وخطرا يتهدد كيانها كلها ـ هذا الانسان الذى كان فانيا فى مجتمعه فلا يرى الا بعينه ، ولا يفكر الا بعقله ، ولا يكون له الا كرجع الصدى قد أصبح اليوم فردا أولا وقبل أن يكون عضوا فى مجتمع صغير أو كبير (١) ·

والمسئولية التى كانت جماعية ـ لأن الفرد لا اعتبار له ولا وزن حتى تشمل الجريمة قبيلة مقترفها أمام القبيلة الأخرى التى وقع عليها الاعتداء ، وحتى تكون عقوبة قاتل ابنة خصمه فى شريعة حمورابى هى قتل ابنته فى غير ذنب ولا جريمة ارتكبتها الطفلة المسكينة ـ قد أصبحت مسئولية فردية لا يحاسب عليها الأبناء ولا الآباء ·

والملكية التى كانت ملكية جماعية أو ملكية أسرية ـ حين كانت الأسرة فيما مضى واسعة الانتشار تضم عددا كبيرا من الأفراد ـ قد أصبحت ملكية فردية حتى لا دخل للزوج فى أملاك زوجته أو للابن فى أملاك أبيه ·

والقانون نفسه ـ وهو آخر مظهر من مظاهر الاجتماع ـ يعترف بالرقى الذى وصلت اليه الانسانية فلا يؤخذ الابن بدين أبيه ، ولا الوالد بديون أبنائه الا اذا كانوا فى مرحلة الاعتماد عليه قبل أن تتكون لهم شخصياتهم المستقلة كأعضاء مستقلين فى المجتمع ·

---

(١) الهوامش السابقة التى فى هذا المقال (عن الأصل) بعد اتمامها ·

والعقيدة التى كانت شعائر وتقاليد يفرضها الكهان ورجال الدين على أبناء مجتمعهم قد أصبحت علاقة فردية بين المعتقد ومن يعتقد فيه ، ولم يعد الكاهن صلة بين الفرد وربه ، اذ أصبح الانسان مستغنيا بنفسه عن الكهان والكهانة يؤدى واجبه بغض النظر عما يفعله سائر الأفراد ، دون أن يكون شفيعا لأحد أو مشفوعا له من أحد ٠

لا غرو تظهر فى هذا الزمن بالذات العناية بالتصوير الضوئى الذى يحفظ صورة الانسان المتميزة عمن عداه ، ويظهر علم النفس المرضى الذى يدرس شخصية الفرد فى أحواله ووشائجه فى الحياة ، فضلا عن علم النفس الفردى الذى يعنى بتفسير انتقال الانسان من طور الفردية البيولوجية الى طور الفردية السيكولوجية ٠ وعلم الشخصية الذى يعنى بمعرفة الأشخاص يتتبع حياتهم وما أثر عنهم وما كان من أثر لآثارهم ٠

ولا غرو تظهر فى هذا الزمن أيضا علوم الاجتماع ، والتحليل النفسى ، والآداب المقارنة ، واللغات المقارنة ، والأديان المقارنة ، وما الى ذلك من العلوم التى ظهرت فى الزمن الأخير ، وكلها تعنى بشخصية الفرد المتميز بخصاله وخصائصه من الغمار والمجموع ، وأن تظهر أيضا فلسفات ترى أن كل تفكير يتناول « الانسان » بصفة عامة مجردة دون أن يقف عند الأفراد ، انما هو تفكير منحرف عن جادة الصواب ، فالأفراد هم الحقائق المحسوسة الواقعة ، أما المجردات فكائنات وهمية لا يكاد يتجاوز وجودها دماغ الانسان ، وهذا هو ما تذهب اليه « الفلسفة الوجودية » بوجه عام ، وفلسفة ج٠ ب٠ سارتر بوجه خاص ، وآخر رواياته وهى المسماة « سبيل الحرية » بوجه أخص ٠

بل هذا أيضا هو ما تذهب اليه فلسفات كثيرة معاصرة تقدس الفرد أولا وقبل كل شيء ، كفلسفة البطولة عند كارلايل ، وفلسفة السوبرمان عند نتشه ، وفلسفة العبقرى عند لومبروزو ، وفلسفة الذات عند عباس العقاد ٠

وهكذا يتبين لنا أن اطراد تقرير الذات الفردية دليل واضح على اطراد الشعور بالحرية ، ومادام الانسان يزيد على جميع الكائنات فى تفرده بذاتيته فهو بالتالى يزيد عليها فى شعوره بحريته ، حتى نصل الى ذات الله التى لا تشبهها ذات أخرى ، فاذا هى أكثر الذوات حرية على الاطلاق ٠

وبعد ، فتلك كانت خلاصة موجزة لأهم الجوانب البارزة فى فلسفة العقاد ، وهى ــ كما رأينا ــ منهجه فى المعرفة ، وموقفه من مشكلة الألوهية ، وتقديره للذات الفردية واثباته لواقعة الحرية ٠ الا أنها خلاصة ذات دلالة ، وانها لتدل على ملكته الذهنية التى يعالج بها مشكلات الفلسفة . فيبلغ فيها شأوا لم يبلغه الكثيرون ممن اشتهروا بأنهم فلاسفة ، وممن لم يكتبوا فى غير الفلسفة ٠ ولقد حاولت جهدى فى هذه الخلاصة أن أبين كيف أن الفلسفة عند العقاد انما تعنى تفلسفه أو ملكته الفلسفية أو قدرته على معالجة المسائل من وجهة نظر الفلسفة ٠

فالعقاد لم تكمل له آداة قط ــ بعد الشعر ــ كما كملت له أداة الفلسفة ، اذ جمع بين ملكة التجريد والتحليل والمقارنة ، وبين الادراك الفطرى السليم ، واستخلاص المبادىء العامة ، والنفاذ الى الحياة الباطنة ٠٠ حياة الوعى ٠ فاذا راعينا الاتجاهات العامة لفكره استطعنا أن نقول ان العقاد فيلسوف ، وفيلسوف بأجمل وأكرم ما فى الكلمة من معان ٠ فقد استطاع أن يعيد لنا مع حضورنا أمام أنفسنا

حضورنا أمام الكون وأمام الله ، كما استطاع أن يحمل لواء الحرية الفكرية ، وأن يرفع مرتبة القيم الروحية ، وأن يدعم مبدأ الاجتهـاد العينى ، وأن يؤدى للعقـل ما ينبغى له من احترام ٠

وبعد ثانية ٠٠ ففى محيط من الركاكة والفوضى ، وفى مضطرب من الجهالة والسخف ، انطلق هذا الصوت العملاق فضرب ضربة واحدة قضى بها على الجهالة وأعاد بها النظام ، وكأنما هو نهر يفيض فى أرض بور ، فيبعث فيها النماء ، وكأنما هى دعوة نمت وترعرعت وارتفع فرعها فى السماء ، اذا استجاب لها بعد شاعر ، وكاتب بعد كاتب ، وناقد بعد ناقد ، وأديب بعد أديب ٠

وكأنما العقاد لم يكن أستاذا بل كان جـامعة بأكملها ، ولم يكن فردا بل كان جيلا بأسره ، ولم يكن رائدا بل كان حضارة نحن ورثتها وان تفاوت حظنا فى هذا الميراث ٠ فنحن جميعا بطريقة مباشرة أو غير مبـاشرة متأثرون بالفـكر العقادى من حيث انه كان ثورة من أعمق ما عرفته العربية من ثورات فكرية ، ومن حيث أنه كان استعادة العقل سلطانه على نفسه ، ومن حيث انه كان نصرا حاسـما فى الطـريق المؤدى بالانسان الى التحرر الروحى ٠

obeikandl.com

جلال العشري

مؤلفاته وترجماته

obeikandl.com

obeikandl.com

١ ـ حقيقة الفلسفات الاسلامية

دار الكتاب العربى

٢ ـ مسرح أو لا مسرح

دار المعارف بمصر

٣ ـ لن يسدل الستار

مكتبة الأنجلو

٤ ـ ثقافتنا بين الأصالة والمعاصرة

الهيئة العامة للكتاب

٥ ـ المسرح أبو الفنان

دار المعارف بمصر

٦ ـ سقوط الأقنعة

دار المعارف بمصر

٧ ـ الضحك فلسفة وفن

دار المعارف بمصر

٨ ـ صرخات فى وجه العصر

دار المعارف بمصر

obeikandl.com

٩ ـ تياترو ٠٠ فى النقد المسرحى

دار المعارف بمصر

١٠ ـ مصطفى محمود شاهد على عصره

دار المعارف بمصر

١١ ـ جيل وراء جيل

الهيئة العامة للكتاب

١٢ ـ الكلمة ضمير العصر

مسرحيات مختارة

١٣ ـ ثقافة بلا دموع

دار المعارف بمصر

١٤ ـ المسرح وجه وقناع

الهيئة العامة للكتاب

١٥ ـ ثقافة هذا العصر

الهيئة العامة للكتاب

١٦ ـ المسرح فن وتاريخ

الهيئة العامة للكتاب

obeikandl.com

جلال العشرى . . ولحظة تأمل . . فى الحياة وربما فى الموت أيضاً !

obeikandl.com

مع ابنتيه منى وسارة . . فى أبوة وأمل وحياة !

جلال العشرى وزوجته الدكتورة فايزة شحاته ورحلة عمر قصيرة !

obeikandi.com

في إحدى الندوات المسرحية مع د . عبد المعطى شعراوى ومحمود يس وشهيرة وحمدى الوزير .

obeikandl.com

مع دورينمات ود . مصطفى ماهر . . فى القاهرة .

obeikandl.com

قلادة من المحافظ الفنان !

الأستاذ والتلميذ . . د . زكى نجيب محمود وجلال العشرى ومرحلة الصداقة !

obeikandl.com

التلميذ الذى أثر أن ينعم برثاء إستاذه .

جلال العشرى عضو مجلس إتحاد الكتاب مع الرئيس أنور السادات والدكتورة سهير القلماوى .

مع أستاذه الأول عباس محمود العقاد فى بيته .

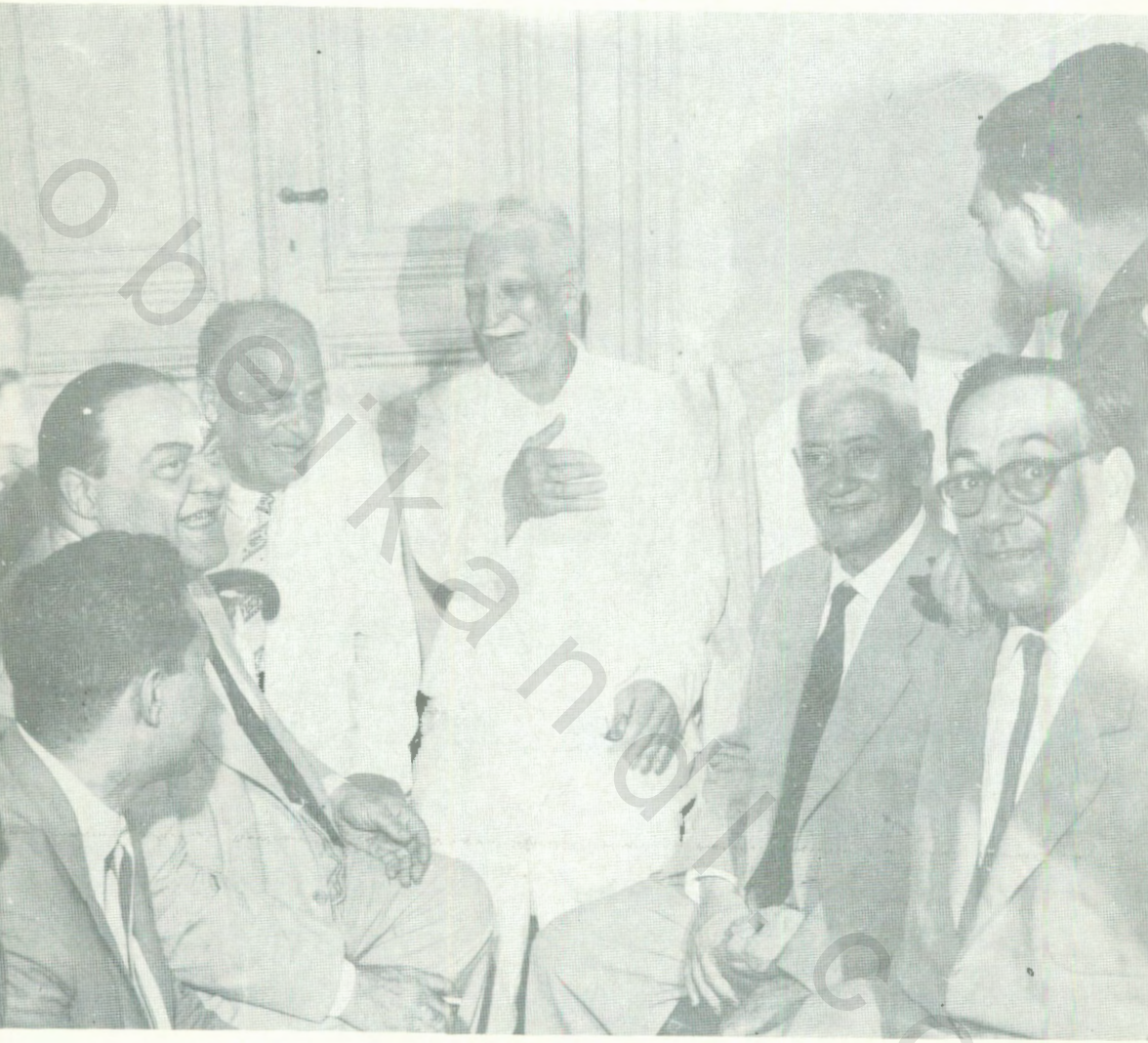

هو واحد من أبرز خلصاء العقاد فى ندواته الأسبوعية .

obeikandl.com

مع توفيق الحكيم ونخبة من المسرحيين فى إحدى ندوات الأهرام .

مع الأديب الكبير يحى حقى .

جلال العشرى وصديق العمر د . مصطفى محمود .

شهد له وعلى عصره ، فرثاه وبكاه وخلد ذكراه .

obeikandl.com

فى حفل زفافه وحوله الرفاق والأصدقاء (صبرى العسكرى ، محمد نوح ، فاروق شوشة ، هالة الحديدى ، فوزى فهمى ، مرفت سلامة ، على شلش ، مصطفى عبد الله ، أحمد عبد الوهاب ، عبد الوهاب داود ، وفتحى سعيد الذى رثاه ورحل بعده بشهرين فقط) .

مع ثروت أباظة وأنيس منصور وأحمد فريد وعبد العزيز شرف .

الصديق الرابع أنيس منصور ، بعد العقاد وزكى نجيب ومصطفى محمود !

أنيس منصور ود . عبد العزيز شرف وأحمد فريد .

obeikan.com

فى إحدى الندوات مع صلاح طاهر والدكتور سمير سرحان ولويس جريس .

obeikandl.com

جلال العشرى وفتحى العشرى وزميلهما القديم والصديق المحافظ الوزير عبد المنعم عمارة .

obeikandl.com

عبد المنعم عمارة زميل الدراسة بجامعة القاهرة .

obeikandl.com

مع الأصدقاء فى البلد الحبيب الإسماعيلية عبد العال الحمامصى وفتحى سلامة ومصطفى عبد الله .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٩/٢١٧١

ISBN ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ٢٠٦٦ ـ ٩